

نظمها وعلق عليها فضيلة الشيخ
عبد العزيز بن أحمد عبد العزيز
(ابو أنس)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

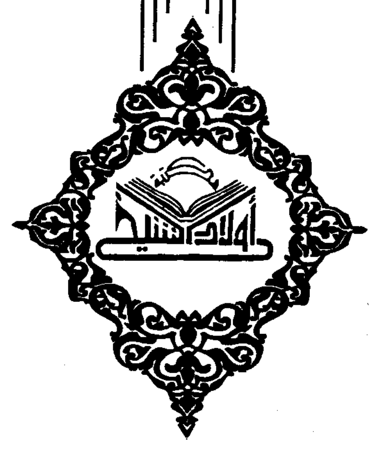
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عبد العزيز. عبد العزيز أحمد.
ألفية الآداب والأخلاق.
نظمها وعلق عليها / عبد العزيز أحمد عبد العزيز.
الجيـــــزة/ مكتبة أولاد الشيخ للتراث
١٣٦ ص، ٢٤ سـم ط١ ٢٠١٠
تدمك : 977-371-273-3
رقم الإيـــداع : ١٤٥٩٤ / ٢٠١٠ ديوى : ٢١٢

١- الأخلاق الإســـلامية.
أ- عبد العزيز. عبد العزيز أحمد (معلق).
ب- الشــعر الديـــنى.





٣٦ ش اليابان - الهرم ت/ ٣٥٦٢٨٣١٨
٦٣ ش المنشية - فيصل ت/ ٣٧٤١٠٧٠٤
٥ درب الأتراك الأزهر ت/ ٢٥١٤٨١٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقدِّمة الكتاب

الحمدُ للَّهِ، أعطى فأجزَل، وتكرَّمَ وتفضَّل، والصلاة والسَّلامُ على من توَّجَهُ ربُّه بالأدَبِ الكريم، وحَلَّاهُ بالخلق العظيم، وعلى آل بيتِه المُطهَّرين، وأصحَابه الغُرِّ المَيَامِين، ومَن تبعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، وبعد.

* * *

فما أكثرَ الأزماتِ التي تعيشُ فيها أمَّتُنا الإسلامية! ولكنَّ أزمَة الأزمَاتِ هي أزمة الآدَابِ والأخلاق، فكم من مُسلم تراهُ في المسجدِ قائمًا قاعِدًا، رَاكِعًا سَاجدًا، فإذا خرجَ تحوَّلَ ـ سَريعًا ـ أسَدًا كاسِرًا! أو انقلبَ ثعلبًا مَاكِرًا!؟

وكم من مُسلم إذا تكلمَ خلبَ عقلكَ ببيانِه وعذوبةِ لفظِه، وذكَّرك بالحسَن البَصريِّ في نصْحِه ووَعظِه، فإذا عاملتهُ خاب ظنُّكَ فيه! وبَدَا لك ما انطوى عليه قلبُه من التزوير والتمويه!؟

بل وكم من كافر ـ لم يعِشْ في بلادِ المُسلمين ـ قرأ عن الإسلام فبهَرَهُ كمَالُهُ ورَوعتُه، وامتلكَ أقطارَ نفسِه جمالُه وعظمتُه، ثم نزل على أرض واقع المسلمين، وتعامل مع مَن يَنتمُونَ لهذا الدِّين، فخارَتْ قُوَى نفسِه، ثم نُكِسَ ـ مُتأسِّفًا ـ على رأسِه، عائِدًا إلى كفره ونجَسِه! لأنه رأى البَونَ بينَ ما قرَأهُ وَما رَآهُ شاسِعًا! والفيصلَ بينهما واسِعًا!!

* * *

وكم بذلَ علماءُ الأمَّة وأئِمَّتُهَا ـ جزاهُمُ اللَّهُ خيرًا ـ من مجهُودٍ؟ حفاظا على الدين وعلومِه، وحِرصًا على تثقيفِ الأمةِ وتوعِيَتِها، وتقريبها من ربِّها، بتقويةِ عقائِدِها، وتصحيح عباداتِها، وإصلاح مُعَاملاتِهَا، وتقويم آدَابها وأخلاقِها،

فأرشَدُوا ونصَحُوا، وعَلَّمُوا ودرَّسُوا، وألَّفوا وصَنَّفوا، ما بَينَ شارح ومُعَلِّقٍ ومُختصِر.

ولمَا كانَ الشِّعْرُ أخصَرَ في العِبَارةِ، وألذ للأذن عندَ السَّمَاع، وأسرَعَ لدَى الذاكرَةِ في الحفظ، مال إليه الكثيرُون في تقييدِ عُلوم الشرع، فنظمُوا العُلومَ في قصائدَ وأرَاجيزَ، ومنهم من طال نفَسُه فبلغت قصيدتـُه الألفَ بيتٍ أو زادتْ على الألفِ بقليل أو كثير!

* * *

فمِمَّن نظمَ ألْفِيَّـةً في عِلم القراءَات الإمامُ أبو محمدٍ الشاطبيُّ (ت٥٩٠ هـ)، والإمَامُ شمسُ الدِّين بنُ الجَزَريِّ (ت٨٣٣ هـ)، وفي علم الحديثِ الحَافِظُ زينُ الدِّين العِرَاقيُّ (ت٨٠٥ هـ)، والحَافِظُ جلالُ الدين السُّيوطِيُّ (ت٩١١ هـ)، وفي العَقائدِ الإمَامُ شمسُ الدِّين ابنُ قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، والإمَامُ أبو عبدِ اللَّهِ الشيبانيُّ، وفي الفقهِ الإمَامُ نجمُ الدِّين الطَرسُوسِيُّ (ت٧٣٢ هـ)، وفي عِلم الفرائض (المَوَاريثِ) القاضي محبُّ الدِّين بنُ الشِّحْنة (ت ٨١٥ هـ)، وفي أصول الفقهِ الإمَامُ شمسُ الدِّين بنُ البِرَمَاويِّ (ت٨٣١ هـ)، وفي السِّيرةِ النبويةِ الحَافِظ زينُ الدِّين العراقيُّ.

ومِمَّن نظمَ ألفِيَّةً في علم النحو الإمامُ زينُ الدِّين بنُ عبدِ المُعطي (ت ٦٢٨ هـ)، والإمَامُ جمالُ الدِّين محمدُ بنُ مالكٍ (ت٦٧٢ هـ)، والحَافِظ جلالُ الدِّين السُّيوطيُّ، وفي المعاني والبيان الإمَامُ برهانُ الدِّين القبَاقِبيُّ (ت ٨٥٠ هـ)، وفي الرُّؤى والمناماتِ الإمَامُ زينُ الدِّين بنُ الوَرْديِّ (ت ٧٤٩ هـ)، وفي الطبِّ الشيخُ الرَّئيسُ أبو عليٍّ ابنُ سِينا (ت٤٢٨هـ)، والشيخُ الطبيبُ داودُ بنُ عمرَ الأنطاكيُّ (ت١٠٠٦هـ)، وفي الألغاز الإمَامُ أبو بكر بنُ محمدٍ الإربلِيُّ (ت ٦٧٩ هـ)، وغيرُهم وغيرُهم، رحِمهمُ اللَّهُ.

* * *

ولم أرَ ـ فيما أعلمُ ـ أحدًا نظم ألفِيَّةً مُستقِلَّة في عِلم الأدابِ والأخلاق، اللهُمَّ إلا (الألفية، في الآدَابِ الشرعيَّة)، التي نظمهَا الإمامُ شمسُ الدِّين محمدُ ابنُ عبدِ القويِّ المَرْدَاويُّ الحَنبَليُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ (٦٣٠ـ ٦٩٩هـ)، وقد شُرحَتْ وطبعَتْ، وانتفعَ بها خلقٌ كثيرٌ من أهل العِلم، معَ صُعُوبةِ ألفاظِها، لتمَشِّيها مع طبيعةِ العَصر الذِي نظِمَتْ فيه، ومَيلِهَا إلى الأحكام الفقهيَّةِ أكثرَ من النواحِي الآدَابيَّةِ الأخلاقِيَّة، فقد غلبَتْ على ناظمِهَا صَنعتُه، فهُوَ من كبار فقهاءِ الحنابلة!

* * *

وقد جَمَعتُ ـ بعَون اللَّهِ وتوفيقِه ـ ما استطعتُ جَمعَه من آدابِ الإسلام وأخلاقِه، بعدَ أن استنبطتها من الآياتِ القرآنيَّةِ، وأحادِيثِ خير البريَّة، واستقيتها من الحِكم والأمثال العربية، والخِبراتِ والتجاربِ الواقعيَّة، وصُغتها في قالبٍ شِعريٍّ سَهل سَلِس، لا تعقيدَ فيه ولا تكَلُّفَ، وبلغتْ هذه الأبياتُ ألفًا وخَمسَمائةِ بيتٍ، وسمَّيتها «**أَلْفِيَّة الآدَابِ وَالأَخْلاق**».

وجعلتهَا من مُقدِّمَةٍ، وتمهيدٍ، وبابَين، وخاتِمة، ووزَّعتُ البَابين على مائةِ فصل، أوَّلُهُما في الآدَابِ الإسلاميةِ حَوَى سِتينَ فصلًا، وثانيهما في الأخلاق الإسلاميَّةِ جَمعَ أربعينَ فصلًا، وقد جعلتُ أبياتَ كلِّ فصل مُرتَّبة مُتناسِقة، يأخذ كلُّ بيتٍ بيَدِ أخيه في تماسُكٍ، ويتعانقُ معَهُ في سَلاسَةٍ وترابط، من غير أن تظهرَ بين الأبياتِ فجوَة أو تنافر!

* * *

فأبدَأ الأدَبَ ـ مثلًا ـ ببيان قدْر صَاحبِ الأدب، وقيمةِ وفضيلةِ هذا الأدب، ثم بحَثِّ الشرع ودَعوتِه إليه وأمره به، ونَهْي الدِّين عن ضِدِّه ونقيضِه، وكيفيةِ التأدُّبِ وطريقتِه بتسلسُل وترتيب، وأبيِّن فائدة التمسُّكِ بهذا الأدَبِ، مُحَذرًا من مَغبَّةِ تركِه والبُعدِ عنه.

كما أبدأ الخُلقَ ـ مثلًا ـ بتعريفِ وتجلِيَةِ معناه، وبإظهار مكانتِه ومَرتبتِه، وبأوامر الشرع بالتحَلِّي به، والتخلِّي عن نقيضِه، وما يعُودُ بسببِ التخلق به من منافعَ وفوائدَ، ثمَّ بضربِ أمثلةٍ في التخلق به بالأنبياءِ والصَّحابةِ ومَن سار على دَربهم، ونسج على مِنوالِهم، وهكذا.

* * *

وقد آثَرتُ بألفيَّتي هذه «مكتبة أولادِ الشيخ للتراثِ»؛ لمَا لها من عِنايةٍ فائقةٍ واهتمام بالغ بنشر كتبِ السَّلف عامَّة، ويَدٍ طولَى في طبع مُتون ومنظومَات وألفِيَّاتِ العلم الشرعِيِّ على وجهِ الخُصُوص، فجزاهُمُ اللَّهُ عن الإسلام والمُسلمينَ خيرَ الجزاءِ، ووفقهُم وسَدَّدَ خُطاهُم.

وأخيرًا أدعُو اللَّهَ الحَنَّانَ المَنَّانَ أن يجعلَ هذه الألفيَّة مُتقبَّلةً خالِصَة لِوجهه الكريم، وأن ينفعَني بها عِلمًا وعَملا وعُمُومَ المُسلمين، وأن يَحشُرَنا في الحِزبِ الذي رضِي اللَّهُ عنهُ وأرضَاه، وأن يُبيِّضَ وُجُوهَنا بينَ يَدَي مُتمِّم مَكارم الأخلاق حين نلقاه. آمِينَ، آمِين.

عبد العزيز أحمد عبد العزيز

(أبو أنس)

(ت: ٠١٢/٤٠٠٨٣٢٤)

(ت: ٠١٠/١٩٢٥٩٠٣)

* * *

مقدِّمة الألفيَّة

(١)	الحَمْدُ لِلَّهِ العَظِيْمِ الشانِ	المَالِكِ المَعْرُوْفِ بالإِحْسَانِ
(٢)	من خلقَ الخلقَ وَأحْسَنَ الصُّوَرْ	وَأكمَلَ الشرْعَ وَأحْكَمَ السُّوَرْ
(٣)	وَ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١]	وَيَسترُ الذنوْبَ ثمَّ يرْحمْ
(٤)	ثمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَاطِرَا	مباركًا منوَّرًا مكرَّرَا
(٥)	عَلى النبيِّ المُجْتَبَى الكريْمِ	مُحَمدٍ ذي الخلقِ العَظِيمِ
(٦)	مَنْ عَلمَ الناسَ جَمِيعا الأدَبْ	وَحَقه على الأنامِ قد وَجَبْ
(٧)	صَلى عَليْهِ اللَّهُ مَا حَيِيْنا	وَدَامتِ الصَّلاةُ مَا وُوْرِينا[٢]
(٨)	وَآلِ بَيتهِ نجومِ الليلِ	عُلومُهمْ وَجُوْدُهمْ كالسَّيلِ
(٩)	وَصَحبهِ مَشاعِلِ الأنوَارِ	مِنَ المهاجرينَ وَالأنصارِ
(١٠)	وَهَذِهِ أرْجُوْزَةٌ[٣] قدْ يسَّرَتْ	آدابَنا أخلاقنا وَفسَّرَتْ
(١١)	سَمَّيْتهَا بمددِ الخلاقِ	«ألفيةَ الآدَابِ وَالأخلاقِ»
(١٢)	«عَبْدُ العَزيزِ» ناسِجٌ لِبُرْدِها[٤]	وَقاطفٌ لزَهرِها وَوَرْدِها

---

(١) سورة «العلق» (١).

(٢) وُوْرينا: سَترنا الترابُ وغطانا، أي: متنا ودُفِنا.

(٣) الأرجُوزَة: القصيدة على بحر الرَّجز، والجمعُ: الأرَاجيز، والبيت في بحر الرَّجز يتكون من «مُسْتفعلن» ستَّ مَرَّات، ويُسَمَّى بحرُ الرَّجز «حِمارَ الشعرَاءِ»، لأن الكلَّ يركبُه، الفقيهُ والنحويُّ وغيرُهُما، ويُستخدَمُ غالبا في القصائدِ ذاتِ النفس الطويل، لسُهولتِه ولعدم الالتزام في قصائدِه بقافيةٍ واحدَة.

(٤) ناسِجٌ لِبُرْدِها: صاحِبُها وناظِمُها، بمَدَدِ اللَّهِ وعَوْنِه، وَجُودِهِ ومَنِهِ، من غير حَوْلٍ مِنهُ ولا قوَّة:

واللَّهِ لوْلا أنتَ مَا نظمْنا	وَلا تعلمْنا وَلا فهِمْنا
ففِي رضَاكَ رَبَّنا استخدِمْنا	وَبالثبَاتِ وَالْهدَى أكرِمْنا
وأسْعِدِ القلبَ أقرَّ العَيْنا	والطفْ بنا يَا رَبِّ إنْ أتيْنا

(١٣) فاغفــرْ لــهُ يَــا غافِــرًا ذنــوْبَهُ ... وَاسْـــترْ لـــهُ يَـــا سَـــاترًا عُـــيُوبهُ

(١٤) وَكـــنْ لـــهُ يـــا ربَّـــنا مُعِيْـــنا ... وَأخـــــزِيَنْ شـــــيْطانهُ اللعِيْـــــنا

(١٥) وَاغفِــــرْ إلَـهـــــنا لِـــــوَالِدَيهِ ... وَكـــــلِّ مَـــــنْ حقـــوْقهمْ عَلـــيهِ

(١٦) وَكـــــلِّ مَـــــنْ أدَّبـــــهُ وَعَلمــــهْ ... وَكـــــلِّ مَـــــنْ أحـــــبهُ وَأكـــــرَمهْ

(١٧) وَمَـــنْ لـــرَبِّ الكائِـــناتِ وَحَّـــدَا ... وَلِلنبـــيِّ الهاشِـــمِيْ قـــدْ شَـــهدَا

❊ ❊ ❊

التَمْهِيْدُ: مَنزِلَةُ الآدَابِ وَالأخلاق

(١٨) وَبَعــدُ، فــالأخلاقُ وَالآدَابُ　　　جــاءَتْ بِهَــا الســنّةُ وَالكِــتابُ

(١٩) وَجاءَنــا النبــيُّ باتفــاقِ　　　مُــتممًا مكــارِمَ الأخــلاقِ

(٢٠) لمَّــا اصْــطفاهُ رَبُّــهُ حَبيْــبا　　　قــدْ أحْــسنَ الأخــلاقَ وَالتأدِيْــبا

(٢١) وَالمَـرْءُ إنْ كـانَ عَظِـيْمَ الخُلـقِ　　　يَـسْمُو وَيَعْلـوْ فـوْقَ كـلِّ الخلْـقِ

(٢٢) وَكـانَ مِـثلَ مَـنْ يَعِـيْشُ قائِمَـا　　　فِــي لــيْلِهِ وَمَــنْ يَظــلُّ صَــائِمَا

(٢٣) وَيَرْتقِــيْ في دَرَجٍ[١] الجــنانِ　　　كمــا بــذا أخبــرَنا العدْنانِــيْ

(٢٤) وَالخُلـقُ يَكسُو القلبَ بالسَّعَادَة　　　وَيَجْعَــلُ التفكِيْــرَ في الــزِّيَادَة

(٢٥) وَهْــوَ نِــتاجُ صِــحةِ العقِــيدَة　　　وَزُبْــدَةُ العــبادَةِ الــسدِيدَة

(٢٦) وَهْــوَ بحــقٍّ يُكمــلُ الإيمانــا　　　وَفِــي المعــادِ يُــثقلُ المِيْــزَانا

(٢٧) كـمْ كافِـرٍ أسْـلمَ بَـيْنَ الخلـقِ　　　لمــا رَأىْ مِــنْ أدَبٍ وَخُلْــقِ؟

(٢٨) فـصَاحِبُ الأخـلاقِ كالمُلـوْكِ　　　وَالمَــرءُ يَدْعُــو الغيْــرَ بالــسُّلوكِ

(٢٩) كـمْ صَنفَ الأعْـلامُ مِـن كِـتابِ　　　يُرْشِــدُ للأخــلاقِ وَالآدَابِ؟

(٣٠) فــ«الأدَبُ المُفـرَدُ»[٢] لِلبُخارِيْ　　　أنــارَهُ بِــسُنةِ المُخــتارِ

(٣١) وَابْـنُ أبـي الدُّنـيَا رَوَىْ «مَكـارِمْ　　　الاخْـلاقِ»[٣] وَهْـوَ مِـثلُ سَـيْفٍ صَارِمْ

---

(١) الدَّرَجُ: جَمعُ دَرَجَة، وهِيَ: المِرْقاة التي يُرْقى عليها ويُصعَدُ، وتجمَعُ أيضًا علَى: الدَّرَجَات، بمعنى طبقات المَرَاتب.

(٢) كتابُ «الأدَبُ المُفرَدُ»؛ صنفه إمامُ المُحَدِّثينَ على الإطلاق، أميرُ المُؤمنينَ في الحديث، الإمامُ محمدُ بنُ إسماعيلَ البُخاريُّ صاحبُ «الجامعُ الصَّحيحُ»، و«التاريخُ الكبيرُ»، و«القراءة خلفَ الإمام»، تُوفِّي بسَمرَقند، سنة (٢٥٦هـ).

(٣) وكتابُ «مَكارِمُ الإخلاق» صنفه الإمامُ أبو بكر عبيدُاللَّهِ بنُ محمدِ بن أبي الدنيا، وكانَ ورعًا زاهِدًا، عالمًا بالأخبار والرِّوايَاتِ، ومن كتبه: «ذمُّ المَلاهي» و«تزويجُ فاطمة» و«سِدرَة المُنتهى»، وتُوفِّي سنة (٢٨١ هـ).

(٣٢) بـ«أَدَبُ الدُّنـيَا» أتانا «البَصْريْ» و«خلـقُ المُـسْلِمْ»[١] غزَالي المِصْريْ
(٣٣) وَدرَّجَ[٢] ابْــنُ قــيمِ لِلــسالِكيْنْ وَلخَّـصَ «الإحْـيَاءَ» «نَهْـجُ القاصِدِيْنْ»
(٣٤) وَجَاءَنـا «مُـسْتخْلصُ»[٣] قدْ دَوَّىْ زَكـــىْ بـــهِ سَـــعِيدٌ بـــنُ حـــوَّىْ
(٣٥) فـزَكِّ[٤] يـا حَـنانُ مِـنا الأنفسَا بخلـــقٍ وَأدَبٍ مـــا نُكِّـــسَا
(٣٦) وَأحْيـــنا اللهـــمَّ مُهْتدِيْـــنا وَاشـــرَحْ صُـــدُوْرَنا مُوَحِّدِيـــنا

* * *

(١) كتاب «أدَب الدنيا والدين» ألفهُ الإمامُ القاضي أبو الحُسين عليُّ بنُ محمد البصريُّ الماوَرْديُّ الشافعيُّ، مُصَنف «الحاوي الكبير» و«الإقناع» و«الأحكام السُّلطانيَّة» وغيرها، وكان إمامًا في الفقه والأصُول والتفسير والعربية، تُوُفِّي سنة (٤٥٠ هـ)، وكتابُ «خلق المُسلم» ألفهُ الداعية الإسلاميُّ المصري الشيخ محمد الغزالي السَّقا، من عُلماءِ الأزهر الشَّريف، ومن محافظة البُحيرَة، وله العديدُ من الكتبِ القيمة التي خدم بها الإسلامَ، كـ«فقه السيرة» و«هُموم داعية» و«دفاع عن السنة ضد مطاعِن المستشرقين»، وتوُفِّي في مُؤتمر الدعوةِ الإسلاميَّةِ بمدينةِ الرِّياض، بالمملكةِ العربيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، عام (١٤١٧هـ ـ المُوافق ١٩٩٦م)، ودُفنَ بالمدينةِ المُنوَّرة، بجوار قبر الإمام مالكِ بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) كتاب «مدارج السالكين بين منازل إياكَ نعبُدُ وإياك نستعين» للإمام الحافظ المفسر الفقيه الأديب شمس الدين بن قيِّم الجوزية، وقد شرَحَ به كتابَ «منازل السائرين» للإمام الهرَوي، ومن كتبِ ابن القيم «زاد المعاد من هدي خير العباد» و«أعلام الموقعين عن رب العالمين» و«إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» وغيرها، توُفِّي الإمام ابنُ القيم بدمشق سنة (٧٥١هـ)، وكتابُ «إحياء علوم الدين» ألفه حُجَّة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزَّالي، صاحب كتاب «البسيط في الفقه» و«المستصفى في أصول الفقه» و«المنقذ من الضلال» و«تهافت الفلاسفة» وغيرها، توفِّي بطوس سنة (٥٠٥ هـ)، وكتابُ «منهاج القاصِدين» مختصر لكتاب «الإحياء»، وقد ألفه الإمام الحافظ أبو الفرج بن الجوزي، مصنف «زاد المسير في علم التفسير» و«المنتظَم في تاريخ الملوك والأمم» و«تلبيس إبليس» و«صفة الصفوة» وغيرها، توفِّي ببغداد سنة (٥٩٧ هـ).

(٣) كتابُ «المُسْتخلصُ في تزكِيَةِ الأنفس» من تصنيف الأستاذ العلامَة السُّوري المُعَاصِر سعيد حوَّى، صاحب كتاب «الأسَاس في التفسير»، «جُندُ اللَّهِ ثقافة وأخلاقًا» و«اللَّه جَلَّ جَلاله»، توفِّي سنة (١٤٠٩ هـ).

(٤) زَكِّ الأنفسَا: طهِّرْها، وحسِّن أخلاقهَا، وَهَبْهَا الأدَب.



البابُ الأول

الآدابُ الإسْلاميَّة

الفصل الأول: الأدب مع الله ﷻ

(٣٧)	اللَّـهُ رَبِّـي مَالِـكُ النواصِـيْ[١]	فاعْـبُدْهُ بالتوْحِـيْدِ وَالإخـلاصِ
(٣٨)	لا تـسْتعِنْ أوْ تـسْتغِثْ إلا بـهِ	وَاقـدُرْهُ حـقَّ قـدْرِهِ وَانتـبهِ
(٣٩)	كـنْ رَاجـيا ثـوَابهُ وَرَحْمَـته	وَخائِفًـا عِقابـهُ وَسَـطوَته
(٤٠)	إلـيْهِ حَـتمًا سَيـصِيْرُ المُنتهَـىْ	فاحْـذرْهُ أنْ يَـرَاكَ قـرْبَ مَـا نَهـىْ
(٤١)	وَاسْتحْي أنْ تَحِـيْدَ[٢] يَـوْمًا عَنهُ	وَمَـا بكـمْ مِـنْ نِعمـةٍ فمِـنهُ
(٤٢)	وَانـسُبْ إلـيْهِ كـلَّ مَـا يَلـيقُ	وَاختـرْ مِـن الألفـاظِ مَـا[٣] يَـرُوْقُ
(٤٣)	أصْـغِ إلـىْ مَـا قالـهُ الخلِـيْلُ	تأدُّبًـا وَسَـاقهُ التنـزيلُ
(٤٤)	فقـدْ عَـزَا[٤] الإحْسَانَ لِلرَّحْمَن	وَنـسبَ الأمـرَاضَ لِلإنـسَان
(٤٥)	وَمُؤْمِـنو الجـنِّ أضَافوا[٥] الرَّشَدَا	لـهُ، وَفِعـلُ الـشرِّ أضْـحَى مُـبعَدَا!

---

(١) النواصِي: جَمعُ الناصِية، وهي: مُقدِّمة شعر الرَّأس، ومن ملكها فقد ملك صاحِبَها وأذله، واللَّهُ ﷻ مالكُ كل شيءٍ، وفي القرآن: ﴿... مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ...﴾ [هود: ٥٦]، وقال النبيُّ ﷺ في دُعاءِ الهمِّ والحَزَن: «... ناصِيَتِي بيدِك، مَاضٍ فيَّ حُكمُك...». رواهُ أحمد والبزار وأبو يعلَى وابن حبان والحاكم.

(٢) تَحيد عنه: تبتعد عن عبادتِه، وتميل عن شرعِه.

(٣) مَا يَرُوقُ: ما تحسُنُ وتجمُلُ نسبتهُ إلى اللَّه، ويدُلُّ على تقديس اللَّهِ وإجلالِه، وحُسن أدَبِ من نسَبَ وكمال ذوقِه.

(٤) عَزَا: نسَبَ وأضَافَ، وقد أشَرْتُ في البيتين إلى قول اللَّه ﷻ على لِسَان خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء]، فقد أضَافَ المَرَضَ لِنفسِه، وأضاف غيرَهُ إلى اللَّه.

(٥) أشرتُ بهذا إلى قول اللَّهِ ﷻ على ألسِنةِ مُؤمِنِي الجنِّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ١٠]، فقد بُنِي الفعلُ معَ الرَّشَدِ للمعلوم، وبُنِي عِندَ الشَّرِّ لِمَا لَم يُسَمَّ فاعِله، أدبًا وذوقا!

(٤٦) مَعْ أنَّهَا جَمِيْعَهَا[1] مِنْ عِندِهِ ... لكِنَّ حسْنَ اللفظِ خلقُ جُندِهِ

(٤٧) وَاشْكرْهُ فالأفضَالُ[2] مِنهُ تترَا ... وَشُكرُهُ يَحْتاجُ مِنا الشُّكرَا

(٤٨) وَارْضَ بما يَقضِي طوَالَ العُمْرِ ... ألا لهُ الخَلقُ وَكلُّ الأمرِ

(٤٩) وَعَظمِ الحُرُمَاتِ[3] وَالشَّعَائِرَا ... وَحوْلَ ما أنزَلهُ كنْ دَائرَا

(٥٠) وَقرِّبِ العِبادَ مِنْ حَضرَتِهِ ... وَحَبِّبِ القانِطَ في رَحْمَتهِ

(٥١) وَاذكرْهُ بالتحْمِيْدِ وَالتهْلِيْلِ ... إنْ كنتَ بالنهَارِ أوْ بالليلِ

(٥٢) وَأكثِرِ التسْبِيْحَ وَالتكبِيْرَا ... فالذكرُ يَجْلوْ القلبَ وَالتفكِيْرَا

* * *

---

(١) جَميعها: جَميع الأفعال، خيرها وشرّها، أرادها اللَّهُ وخلقها، قال اللَّهُ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال: ﴿...وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ...﴾ [النساء: ٧٨].

(٢) **الأفضَالُ**: جَمعُ فضل، وهو: العَطاءُ والمَنّ، وتترَا: مُتابعاتٌ مُتتاليَات بكثرة.

(٣) **الحُرمات**: جَمعُ حُرمَة، وهي: كلُّ ما جعَل اللَّهُ له مكانة وقدسيَّة من الدين، وأمرَ بتعظيمِه، وحرَّم انتهَاكه وإهَانته، قال المَولَى ﷻ: ﴿...وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ...﴾ [الحج: ٣٠]، **والشَّعَائر**: جَمعُ شَعِيرَة، وهيَ: مُتعَبَّدات اللَّهِ التي جعلها أعلامًا لنا، وغلبَت على مناسِكِ الحج، قال اللَّهُ ﷻ: ﴿...وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ۝﴾ [الحج: ٣٢].

الفصلُ الثاني : الأدبُ مع القرآن

(٥٣) وَكُـنْ مُـؤَدَّبا مَـعَ القـرْآن ... فإنَّــهُ رَسَــائِلُ الــرَّحْمنِ
(٥٤) أنــزَلهُ هــدًى لِلمُتقِيــنا ... يُـسْعِدُنا يُـريْحنا يَقيــنا
(٥٥) وَهْــوَ مُهَـيْمنٌ(١) عَلـى التمامِ ... مفخــرَةٌ لأمَّــةِ الإسْــلامِ
(٥٦) تكفَّــلَ اللّــهُ لــهُ بــالحفظِ ... أعْجَــزَ بالمَعْنــىْ كـذا بـاللفظِ!
(٥٧) لـوْ آيـُهُ على الجبَال أنـزلتْ ... لخـشَعتْ أرْكانُهــا وَصُــدِّعَتْ!
(٥٨) لـوْ زُيِّـنَ(٢) الإيْمَـانُ في قلوْبنا ... مَـا مَلَّـتِ الأرْوَاحُ قـوْلَ رَبـنا
(٥٩) بُـشرَى لِمــنْ رَتلـهُ تـرْتِيْلا ... يـشفعُ فـيهِ إنْ أتـى الجَلِـيلا
(٦٠) فاحْفظهُ وَانشُرْ آيَهُ بيْنَ(٣) الوَرَىْ ... وَإنْ أرَدْتَ مـسَّـهُ كـنْ طاهــرَا
(٦١) وَاقـرَأهُ بـالفهمِ وَبالتدَبـرِ ... وَابْــكِ إذا تلــوتهُ وَاعْتبِــر
(٦٢) وَلا تفـسِّرْهُ بـدُوْن علـمِ ... وَكــلَّ مَــا خالفـهُ فلتــرْمِ
(٦٣) وَاعْمَـلْ بحُكمِـهِ عَسَىْ يَهْـدِيكا ... لأنــهُ الــرُوحُ(٤) لــرُوْح فِــيكا
(٦٤) وَإنْ تـلاهُ قـارئٌ وَأسْـمعا ... رُحِمْــتَ مُنـصِتًا لــهُ مُـسْتمِعا
(٦٥) عَظمْـهُ وَارْفعـهُ على الـرُّؤُوْس ... فهْــوَ شِــفا القلــوْبِ وَالـنفوْس
(٦٦) وَقـدِّمِ القــرَّاءَ وَالحفاظـا ... وَاهْجــرْ شَــقِيا ملحِــدًا مُغــتاظا

* * *

(١) مُهَيمِنٌ: جامعٌ وحاوٍ ومُستوعبٌ لكلِّ ما في الكتبِ الإلَهيةِ السابقة، من علوم ومواعظ، قال ربُّنا: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

(٢) قال الخليفة الرَّاشِدُ عُثمانُ بنُ عَفانَ : «لو آمَنتْ قلوبُنا ما شَبعَتْ منْ كلام رَبِّنا».

(٣) انشُرْ آياتِ القرآن وسُوَرَه بين الناس، على قدر استِطاعتِك، تحفيظا وتفسيرًا وتبليغا وتشجيعا، قال ﷺ: «بلغوا عَني ولو آيَة...». رواهُ أحمدُ والبُخاري والترمذيُّ وابنُ حِبَّانَ والدَّارمي عن ابن عمرو.

(٤) القرآنُ الكريمُ رُوحُ الأرواح، وبه حياتُها، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ...﴾ [الشورى: ٥٢].

الفصلُ الثالِثُ : الأدبُ مَعَ الدِّيْن

(٦٧) وَاعْتــزَّ بالنــسْبَةِ لِلإسْــلامِ وَافخــرْ وَتــهْ[١] بــهِ على الأقــوَامِ

(٦٨) فإنــهُ الــسَّيِّدُ لِلأدْيــانِ وَشِــرْعةُ المهــيْمِن الــدَّيان

(٦٩) وَجامِــعٌ سَــعادَةَ الــدَّارَينِ أزاحَ[٢] عَــنكَ اللَّــهُ كــلَّ رَيــنِ

(٧٠) أحْكامــهُ قــدْ هــدَتِ الأرْوَاحــا فكــلُّ مَــنْ دَانَ بــهِ اسْــترَاحا

(٧١) قــدْ حَــرَّرَ العُقــوْلَ مِــن ظلمَــتِهَا وَهــذبَ الــنفوْسَ مَــعْ شَــهْوَتِها

(٧٢) وَصَــحَّحَ القلــوْبَ وَالأبــدَانا لــهُ القــريْبُ وَالبعــيْدُ دَانــا !

(٧٣) وَخيــرُ أمــةٍ بــدَتْ أمــتكمْ ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾[٣] وَاللَّــهُ لكــمْ

(٧٤) وفي كِــتابِ اللَّــهِ مَــا يَكفِــيكا وَالمُجْتبَــى الْهَــادِيْ أتــى يَهْــدِيْكا

(٧٥) وَأظهِــرَنْ جَمــالــهُ وَرَوْعــتهْ وَانــشرْ كــذا كمَالــهُ وَرَحْمَــتهْ

(٧٦) وَادْعُ إلــيْهِ مَــا اسْتطعْتَ الناسَــا وَاسْــقِهِمُ كمَــا شَــرِبْتَ الكاسَــا

(٧٧) بالقــوْلِ وَالفِعْــلِ وَبالــسُّلوْكِ كــمْ سُــوْقةٍ[٤] هُــدُوا ؟ وَكــمْ مُلــوْكِ؟

(٧٨) فــإنْ هَــدَى اللَّــهُ إلى الإسْــلام على يَــدَيكَ أحَــدَ الأنــام

(٧٩) حَــبَاكَ رَبِّــي بالعَطــاءِ وَالكــرَمْ وَمَــا يَفــوْقُ خيْــرُهُ حُمْــرَ[٥] الــنعمْ

* * *

(١) تهْ: فعلُ أمر من تاهَ يَتِيهُ، والمعنى: اعتزَّ وافتخِرْ بانتِسَابك لهذا الدين، واشكر اللَّهَ على أن اختارَكَ من أتباعِه.

(٢) أزاحَ: أبعَدَ وصَرَفَ، والرَّينُ: الشكُّ والارتِيَاب.

(٣) ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ...﴾ [محمد ﷺ: ٣٥].

(٤) السُّوقة: غيرُ الملوك، وهم العامَّة أو الرَّعية.

(٥) حُمْرُ النعَم: الإبلُ الحمرَاء، وهيَ أغلَى مال عندَ العَرَب، وعَنيتُ بالبيتِ قولَ النبيِّ ﷺ لِعلِيِّ ابن أبي طالبٍ: «فواللَّهِ لأنْ يَهديَ اللَّهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لكَ منْ أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النعم». رواهُ أحمد والبخاريُّ ومسلمٌ والنسائيُّ.

الفصلُ الرَّابعُ: الأدَبُ مَعَ النبيِّ ﷺ

(٨٠)	لا تنسَ قدْرَ الصَّادِقِ المَصْدُوْقِ	وَأدِّ مَا لَهُ مِنَ الحقوْقِ
(٨١)	فهْوَ على الأمَّةِ دَوْماً يُشفِقُ	وَليْسَ عَنْ هَوَاهُ يَوْما يَنطقُ
(٨٢)	قدِّمْهُ في الحُبِّ على كلِّ أحَدْ	ففضْلهُ وَقدْرُهُ ليْسَ يُحَدّ
(٨٣)	لاترْفعِ الصَّوْتَ بقرْبِ رَوْضَتِه	وَلا على الذِي رَوَىْ مِنْ سُنته
(٨٤)	أثْنِ[1] عَليْهِ بلِسَانٍ طلقِ	فهْوَ بحَقٍّ فوْقَ كلِّ الخلقِ
(٨٥)	لا تذكرَنهُ باسْمِه[2] المجَرَّدِ	وَكنِّهِ أوْ صِفهُ حَتى تَهْتدِيْ
(٨٦)	وَسِرْ على مِنهَاجِهِ القويْم	مُسْتمْسِكا بِهَدْيِهِ العَظِيْم
(٨٧)	وَعِشْ مُجَاهِدًا لِرَفعِ سُنتهْ	وَمتْ على طرِيْقِهِ وَملتهْ
(٨٨)	وَلتفدِهِ بكلِّ مَا أوْتيْتا	بالنفسِ أوْ بالمَالِ مَا حَييْتا
(٨٩)	وَأكثِرِ الصَّلاةَ وَالسلامَا	عَليهِ إذ قدْ نصَحَ الأنامَا

* * *

(١) أثنِ عليهِ: امدَحْهُ ﷺ، واذكر محاسِنه، وانشرْ فضَائِلهُ ومَحَامِدَهُ، مُعَظمًا مُبَجِّلًا، من غير إطراءٍ ومُبالغة.

(٢) لا تقلْ مثلًا: «قالَ محمدٌ» و«جاءَ عن محمدٍ»! ولكنْ قلْ مثلًا: «قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ» و«وَرَدَ عن نبيِّنا أبي القاسِمِ ﷺ»، و«في حديثِ أشرفِ الخلقِ ﷺ»، وهكذا، قال ربُّنا: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ...﴾ [النور: ٦٣].

الفصلُ الخَامِسُ: الأدَبُ مَعَ آل بَيْتِ النبيِّ ﷺ

(٩٠) وَاعْــرِفْ حُقــوْقَ آلــهِ الأطهــارِ بِهِــمْ يَــصِيْرُ اللــيلُ كالــنهارِ

(٩١) طهـــرَهُمْ إلَهُهُــمْ تطهيـــرًا وَأذهَــبَ الــرِّجْسَ فكــنْ بَــصِيرَا

(٩٢) وَلَــمْ يُخلِّــفِ[1] النبــيْ لأمــتهْ سِــوَىْ كِــتابِ ربِّــنا وَعِتــرَته

(٩٣) نُــوْرَيْن لــنْ يَفتــرقا عَــنْ بَعْـضِ حَتــى يَجيْـئا ثَــمَّ عِــندَ الحَـوْضِ

(٩٤) وَقــطُّ لَــمْ يَــسْألْ لــهُ مِــنْ أجْـر إلا مَــوَدَّةً لأهـــلِ الطهْـــرِ

(٩٥) فاعْـــرفهمُ وَعـــدَّهُم: آلُ عَلِـــيْ صِـهْرِ حَبيْـبِ رَبِّـنا أخِـي[2] النبـيْ

(٩٦) عَــنهُ الرَّســولُ قــالَ إذ رَبــاهُ: «مَـنْ كـنتُ مَـوْلاهُ عَلِـيْ مَوْلاهُ»[3]

(٩٧) عَقِـــيْلهم وَجَعْفـــرُ الطـــيارُ وَكلهُـــمْ مُجَاهـــدٌ مِغـــوَارُ

(٩٨) كـــذاكَ أهـــلُ عَمِّـــهِ العــباسِ كالحَبْـر[4] وَالفـضْل مِـن الأكيَاسِ

(٩٩) خدِيْجـــةٌ عَائِـــشةٌ صَـــفِية فاطمَـــةٌ وَزَيْـــنبٌ رُقَـــية

(١٠٠) وَسَـيِّدَا الــشَّبَابِ في الفِــرْدَوْسِ سِـبْطا الرَّسُـوْل بَهْجَـةٌ لِلـنفسِ

---

(١) يُخلف: يترُك بعده، والعِترَة: هم آلُ بيتِ النبيِّ ﷺ، وعَنيْتُ بالبيتين قولَ النبيِّ ﷺ فيما رواهُ عنهُ زيدُ بنُ أرقَمَ: «... كأني قدْ دُعِيتُ فأجَبْتُ، إني قد تركتُ فيكم الثقلين، أحدُهما أكبرُ من الآخر: كتابَ اللّهِ وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تَخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يَردَا علي الحوض...». رَواهُ النسائيُّ في «السُّنن» والحاكمُ في «المُسْتدْرَك» والطبرانيُّ في «الكبير».

(٢) أخو النبيِّ ﷺ: لقبٌ لقبَ به علِيُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، فعن سعدِ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال لعليٍّ رضي الله عنه: «أنتَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي». رواهُ أحْمدُ ومسلمٌ ـ واللفظ لِغيرهما ـ، والترمِذيُّ والبزارُ وأبو يَعلَى والطبرانيُّ في «الأوسطِ» ورواهُ النسَائيُّ عن أسماءَ بنتِ عُمَيس.

(٣) «... مَنْ كنتُ مَوْلاهُ فعَلِيٌّ مَوْلاهُ...». رَواهُ أحمد والترمِذيُّ والنسائيُّ وابنُ مَاجه والبزارُ وأبو يعلَى وابنُ أبي شيبة والحاكم والطبراني.

(٤) حَبرُ الأمة وترجُمان القرآن: عبداللّه بنُ عباس، والأكيَاسُ: جَمعُ كيِّس، وهو: العاقلُ الفطِن.

(١٠١) سَجَّادُهُمْ[١] وَصَادِقٌ وَباقِرُ ... وَكَاظِمٌ وَأبلَجٌ وَأنوَرُ

(١٠٢) وَكُلُّ مَنْ لِلمُصْطفىٰ قَدِ انتمَى ... بنَسَبٍ زَاكٍ وَكَانَ مُسْلِما

(١٠٣) قَدِّرْهُمُ وَقَرْهُمُ أجلهُمْ ... فمَنْ لَهُمْ فَضْلٌ يُدَانِيْ فَضْلهُمْ؟

(١٠٤) أحِبَّهُمْ فحُبُّهُمْ مِنْ حُبهِ ... قَدْ فَازَ مَنْ أحَبهُمْ مِنْ قلبِهِ

(١٠٥) في الحُبِّ وَالتقدِيْر لا تغالِ[٢] ... مِثلَ غلاةِ الشِّيْعَةِ الضُّلالِ

(١٠٦) وَلا تكنْ في الذمِّ مِثلَ الخَارجي[٣] ... يا رَبِّ أحرقْ رأسَهُ بمارجِ

(١٠٧) وَاقتدِ في الأقوَال وَالأفعَالِ ... بِهِمْ كذا في كلِّ خُلْقٍ عالِ

(١٠٨) وَامْدَحْهُمُ دَوْمًا بكلِّ خير ... وَعَلِّمَنْ تارِيْخهُمْ لِلغير

(١٠٩) وَكنْ عَليْهِمْ دَائِمًا مُصَلِّيا ... مُسَلمًا في جَلوَةٍ[٤] أو خالِيا

* * *

---

(١) السَّجَّادُ: زينُ العابدين عليُّ بنُ الحُسَين بن عليِّ بن أبي طالب، والباقِرُ: ولدُه محمدُ بن علي، والصَّادقُ: جعفرُ بنُ محمد الباقر، والكاظمُ: ولدُهُ موسى بنُ جعفر، والأنورُ: الحسنُ ابنُ زيدِ بن الحسن بن علي، والأبلجُ: ولدُهُ زيدٌ ﷺ.

(٢) الغلوُّ والمُغالاة: الزيادة في الحبِّ، والإطراءُ في المدح والثناء، فقد ينحرفُ المرءُ ويكفرُ بسببِ الزيادةِ المَقِيتة.

(٣) الخارجيُّ: واحدُ الخوارج، وهم من خرجوا على عليِّ بن أبي طالبٍ، وكفرُوه ولعنوهُ وأهله! والمارج: لهبُ النار الصَّافي.

(٤) الجَلوة: خلافُ الخلوة، أي: علانية بين الناس.

الفصلُ السَّادِسُ: الأدَبُ مَعَ الصَّحَابَة

(١١٠) وَأحْبِبَنْ مِنْ قلبكَ الأصْحَابا   فإنَّ مَنْ أحبهمْ أصابا
(١١١) فهُمْ أحَبُّوا الدِّيْنَ وَالرَّسُوْلا   وَنقلوا الفرُوْعَ وَالأصُوْلا
(١١٢) بالسَّيْفِ جَاهَدُوا وَباللسَانِ   وَثبَّتوا دَعائمَ الإيمَانِ
(١١٣) لوْلاهُمْ بعْدَ الإلهِ مَا وَصَلْ   دِيْنٌ إليْنا أبَدًا، وَمَا اتصلْ
(١١٤) عَسْجدُنا[١] كأحُدٍ مَا وَفَّى   أنْ يَمْلأ الأصْحَابُ بُرًّا كفًّا!
(١١٥) وَاترُكْ لَهُمْ مَا كانَ وَقتَ الفِتنة[٢]   فليسَ خوْضُنا بِهَا بفِطنة
(١١٦) أجْرَانِ لِلمُصِيْبِ وَهْوَ مُجْتهدْ   وَالخَصْمُ مَأجُوْرٌ وَدِيْننا شَهدْ
(١١٧) وَحذَّرَ النبيْ مِنَ السِّبَابِ   «اللَّهَ ثمَّ اللَّهَ في أصْحابي»[٣]
(١١٨) فهُمْ عُدُوْلُ[٤] الأمَّةِ الأثباتُ   قدْ زَكتِ الأفعالُ وَالصِّفاتُ
(١١٩) وَعَنهمُ قدْ رَضيَ الإلهُ   فمَا لهُمْ بَيْنَ الوَرَى أشبَاهُ

* * *

(١) العَسْجَدُ وكذا التبر: من أسماءِ الذهَب، والبُرُّ وكذا الحِنطة: من أسماءِ القمح، والبيتُ يعني قولَ النبيِّ ﷺ «لا تسُبُّوا أصحابي، فلو أن أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا، ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نصِيْفه». رواهُ البخاريُّ وأبو داود ـ بهذا اللفظ ـ، وأحمد ومسلمٌ والترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجه وابنُ أبي شيبة وأبو يعلَى والطبرانيُّ في «الأوسطِ» و«الصَّغير».

(٢) المقصُودُ بالفتنة: ما جرى بين بعض الصحابة من معارك، كالجمل وصِفين، والفِطنة: الذكاءُ والعَقل.

(٣) «اللَّهَ اللَّهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبَّهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن أذاني فقد آذى اللَّهَ، ومن آذى اللَّهَ أوشك أن يأخذه». رواه أحمدُ والترمذيُّ والبيهقيُّ في «الشُّعَب».

(٤) العُدُولُ الأثباتُ: جَمعٌ، والمفردُ: العَدْلُ الثبتُ، ويُطلقان على كامل العقل والديانة والمروءة، والخالي ممَّا يجرحُهُ.

الفصلُ السَّابعُ: الأدبُ مَعَ العُلَمَاء

(١٢٠)	وَعُلمَــاءُ الــشَّرْعِ كالــشُّمُوْس	فليُــرْفعُوا دَوْمــا على الــرُّؤُوْس
(١٢١)	فــإنــهُمْ خلائِــفُ الرَّسُــوْلِ	وَبيَّــنوا الطَــريقَ لِلوُصــوْلِ
(١٢٢)	وَحَفِظُــوا القــرْآنَ وَالأخــبارَا[١]	وَسَــبَقوا الــرُّهْبانَ وَالأحْــبارَا
(١٢٣)	وَعَــرَّفوا الحَــلالَ وَالحَــرَاما	وَعَلَّمــوا وَهَــدَوُا الأنامــا
(١٢٤)	قَــدْ سَجلَ اللَّــهُ لَهُــمْ[٢] شَــهَادَةْ	تلــوا بِهَــا مَلائِــكَ العِــبَادَةْ
(١٢٥)	وَخــشْيَةُ الإلــهِ فِــيْهِمْ حُــصِرَتْ	وَالــناسُ عَــنْ أقــدَارِهِمْ قَــدْ قصَّرَتْ
(١٢٦)	وَلتقــرَءُوا﴿هَلۡ يَسۡتَوِي﴾[٣] ففاصِــلُ	بــهِ بــدَتْ مِيــزَتُهُمْ ، فحَــصِّلوا
(١٢٧)	وَفــضْلهُمْ أعْلــى مِــنَ العــبَّادِ	كالــبدْرِ فــوْقَ كــلِّ نجْــمِ بَــادِي
(١٢٨)	وَالخلــقُ لِلعَــالِمِ في اسْــتِغفارِ	رِضًــا بــهِ بالليــلِ وَالــنهارِ
(١٢٩)	الطيْــرُ في الأرْض وفي الــسَّمَاءِ	وَالحُــوْتُ أيْــضًا سَابِحًا في المَــاءِ
(١٣٠)	كَــمْ مَلِــكٍ قَــدْ توَّجُــوْهُ أوْ أمِيْــرْ	أجْلــسَهُمْ جِــوَارَه على الــسَّرِيْرْ!؟
(١٣١)	فمَلِــكٌ عَــبْدُ المَلــكْ[٤] مُــسَوَّدُ	أعْلــى عَطــاءً وَهْــوَ عَــبْدٌ أسْــوَدُ!

(١) الأخبارُ: جَمعُ خبَر، وهو مُرادفٌ للحديثِ أو السُّنة، والرُّهبانُ: عُبَّادُ النصَارَى، والأحبارُ: عُلماءُ اليهُود.

(٢) هذهِ الشهادَة قول اللَّه ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ...﴾ [سُورَة آل عمران: ١٨].

(٣) ﴿... قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ...﴾ [سُورة الزمر: ٩]، فحَصِّلوا أي: اطلبُوا العِلمَ حتى تكونوا مثلهم.

(٤) ملكٌ: خبرٌ مُقدَّم، وعبدُ المَلكِ: مُبتدَا مُؤَخر، ومُسَوَّدٌ: صفة لـ«مَلِكٌ»، وعبدُ المَلك هُوَ: ابنُ مَروَان ابن الحكم، أحدُ أمراءِ المُؤمنين في الدولة الأموية، وتُوُفِّي بدِمَشق سنة (٨٦ هـ)، ومُسَوَّد: جعلوهُ سَيِّدًا عليهم، وعطاء هُوَ: ابنُ رَباح، أحدُ علماءِ التابعين المعدُودِين، وَوُصِفَ بأنه أسودُ أفطسُ الأنفِ، كأنه غرابٌ أسود، وكان عبدُ الملكِ يُدْنيهِ لعلمه، ويُجلسُهُ على سريره، ويبعثُ مناديا في الحجِّ: ألا يُفتيَ الناسَ إلا عطاءُ بنُ أبي رَباح، مات بمكة سنة (١١٤هـ).

(١٣٢) أَحِبَّهُمْ أجلهُمْ جَالِسْهُمُ — وَانْهَلْ مِنَ العُلوم وَارْوِ عَنهُمُ

(١٣٣) لا تتبَعِ المَسْتُورَ مِنَ عَوْرَاتِهِمْ — وَلتغضُضِ[1] العَينين عَنْ زَلاتِهِمْ

(١٣٤) وَاقْدُرْهُمُ فقدْرُهُمْ مَعْلُومُ — وَلا تعِبْ فلحْمُهُمْ مَسْمُومُ

* * *

(١) **ولتغضض العينين**: ولتغلقهما مُتغاضيا غير ذاكر ولا ناشر، والزَّلاتُ: العيوبُ والسقطات، فلكلِّ عالِمٍ هَفْوَة، ولكلِّ جوادٍ كَبْوَة، ولكلِّ سيفٍ نَبْوَة.

الفصلُ الثامنُ: الأدَبُ مع الحُكام

(١٣٥)	وَالحَـاكِمُ العـادِلُ ظِـلٌّ(١) رَبِّـنا	في الأرْضِ وَهْـوَ رَحْمَـة كبْـرَى لـنا
(١٣٦)	خلِـيْفةُ الرَّسُـوْلِ في ذِي الأمَّـةْ	بِــهِ يُــزيحُ اللَّــهُ عــنا الغمــةْ
(١٣٧)	وَلِــيُّ مَــنْ لـيْسَ لـهُ وَلِــيُّ	وَنُــوْرُهُ مُنتــشرٌ جلِــيُّ
(١٣٨)	طاعَــةُ رَبِّــيْ وَالنبــيْ في الذكــر	مَـعْ طاعَـةِ الحَـاكِمِ(٢) أوْ ذِي الأمْر
(١٣٩)	أمِيْــرًا اوْ رَئِيْــسًا اوْ سُــلطانا	أوْ مَلِكــا أوْ كائِــنا مَــنْ كانــا
(١٤٠)	فلــتكن الــنفسُ لَهُــمْ مُطِــيْعَة	في كــلِّ مــا يُوَافِــقُ الــشَّرِيْعَة
(١٤١)	وَكــنْ لَهُــمْ مُعَاونًــا في الحَــقِّ	وَكــلِّ مــا فــيهِ صَــلاحُ الخلــق
(١٤٢)	وَابْـذلْ لَهُـمْ مِـنْ خَالِص النصِيْحَة	فقــدْ أتــتْ في الــسُّنةِ الــصَّحِيْحَة
(١٤٣)	وَلا تكــنْ فِــيْمَـا لــدَيْهِمْ طامِعــا	وَكــنْ بما آتــاكَ رَبِّــي قانِعــا
(١٤٤)	لا تأكــلِ المَــالَ مِــنَ الحَــرَام	تدْلِــيْ(٣) بــهِ زُلفــى إلى الحُكـامِ
(١٤٥)	وَكلمــا ابْــتعَدْتَ عَــنْ مَـجَـالِهِم	أمِنْــتهُم بَعُــدْتَ عَــنْ أهــوَالِهِمْ
(١٤٦)	وَاصْــبرْعَليْهِمْ وَالْــزَمْ الجَمَـاعَــة	وَاحْــذرْ مِــنَ الخــرُوْجِ أيَّ سَــاعَة
(١٤٧)	وَادْعُ لَهُــمْ بالرُّشْــدِ وَالتوْفِــيْق	لِيَــسْلكوا مُعْــتدِلَ الطــريق
(١٤٨)	وَاسْـمَعْ لِمــا قــدْ قالــهُ الفضَيلُ(٤)	وَالقــولُ مِــنهُ لــيْسَ فــيْهِ مَــيْلُ:

(١) ظلُّ ربنا أيْ: نعيشُ بأمر اللَّهِ في كنفِهِ، فبِهِ تستقِرُّ الأمُورُ، ويَستتِبُّ الأمن، وينتشِرُ العَدلُ، وتقوَى الشوكة.

(٢) قال اللَّهﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ...﴾ [سُورة النساء: ٥٩].

(٣) تدْلي به: تقدِّمُهُ وتدفعُه، وزُلفى: تقرُّبًا، والبيتُ مأخوذ من قول اللَّهِﷻ: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٨].

(٤) الفضَيلُ هُوَ: الفضيلُ بنُ عِياض التميمي، كان فاضلًا عابدًا وَرِعًا كثيرَ الحديث ، مات بمكة سنة (١٨٧ هـ).

(١٤٩) لَوْ كَانَ لِي مِنْ دَعْوَةٍ مُجَابَة ... في وَجْهِهَا يَفتحُ رَبِّي بَابَهْ

(١٥٠) جَعَلْتُهَا لِلحَاكِمِ المُوَحِّدِ ... خالِصَةً - أخِيْ - بلا تَرَدُّدِ!

(١٥١) فإنَّهُ إنْ صَلحَ الإمَامُ ... انضَبَطَ الجَمِيعُ وَاسْتقامُوا

* * *

الفصلُ التاسِعُ: الأدبُ مَعَ النفس

(١٥٢) وَاعْلَمْ حَيَاةُ النفْسِ في تقوَاهَا ... وَأنهُ أفلحَ مَنْ زَكاها
(١٥٣) فزَكِّها دَوْما بِفِعلِ الطاعَة ... وَاصْبِرْ وَعَوِّدْهَا على القناعَة
(١٥٤) وَاشْغلْ جَمِيْعَ وَقتِهَا بالخَيْر ... وَاجْعَلْ إلى اللَّهِ طرِيْقَ السَّيْر
(١٥٥) وَلا تكنْ عَنهَا كسُوْلا نائِما ... فإنَّها لِلسوْءِ تدْعُوْ دَائِما
(١٥٦) وَنارُها مُسْتوْرَةٌ بمَاءِها ... كالثعْلبِ المَكارِ في التِوَاءِها!
(١٥٧) أشَدُّ في الخُبْثِ[1] مِنَ الشيْطانِ ... فاكبَحْ جِمَاحَ النفس بالأشْطانِ
(١٥٨) لا تتبعَنها مَرَّةً هوَاهَا ... فإنهُ قدْ خابَ مَنْ دَساها
(١٥٩) وَاسْمَحْ لَهَا بمَا أباح الدِّينُ ... فـ«سَاعَةً وَسَاعَةً»[2] يَقِينُ
(١٦٠) فإنْ تزَكَّ تغدُ مُطمَئِنة ... رَاضِيةً مَرْضِيَّةً في الجَنة

* * *

(١) أخبثُ: أمكرُ وأشدُّ كيدًا، لأنَّها تأمر بالسوءِ وهي بين جنبي الإنسان، ولضعف كيد الشيطان، وخنسِهِ بالاستعاذة، وقد قيل:
وَقِّ نفسَكَ لا تأمَنْ غوَائِلها ... فالنفسُ أخبَثُ مِنْ سبعِينَ شَيطانا!

(٢) ساعة وساعة أيْ: اقض ساعة في العبادةِ والاهتمام بالآخرة، واقض الساعة الأخرى في أخذِ نصيبك من مباح الدنيا، وإصلاح شأنِك، والترويح عن نفسِك وأهلِك، ويقين: أي: حقٌّ لأنه جاءنا عن الشرع، فعن حنظلة رضي الله عنه قال: (كنا عندَ رسول اللَّهِ ﷺ، فوعظنا فذكر النارَ، قال: ثم جئتُ إلى البيتِ، ولاعبتُ المرأة، قال: فخرجتُ فلقيتُ أبا بكر رضي الله عنه، فذكرتُ ذلك له، فقال: وأنا قد فعلتُ مثلَ ما تذكرُ! فلقينا رسولَ اللَّهِ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، نافقَ حنظلة! فقال: مَهْ، فحدثته بالحديث، فقال أبو بكر رضي الله عنه: وأنا قد فعلتُ مثلَ ما فعل، فقال: «**يا حنظلة، ساعةً وساعة، ولو كانتْ تكونُ قلوبُكم كما تكونُ عندَ الذكر؛ لصافحتكمُ الملائكة، حتى تسلمَ عليكم في الطرُق!**»). رواهُ مُسلمٌ بلفظِه وأحمدُ والترمذيُّ وابنُ ماجه والطبرانيُّ في «الكبير» والبيهقيُّ.

الفصلُ العاشِرُ: الأدبُ مَعَ الوَالِدَيْن

(١٦١) واللَّـــهُ وَصَّـــاكَ بـــوَالِدَيكا ... حُـسْنًا إذا كانـا مَعَـا لـدَيْكا

(١٦٢) فـالأبُ لِلجَـنةِ بـابٌ أوْسـطُ ... وَالأمُّ تحْـتهَا الجَـنةُ تبْـسَط

(١٦٣) بـرُّهُمَا قـدْ صَـحبَ التوْحِـيْدَا ... وَطـوَّقَ[(١)] الإفـضَالُ مِـنكَ الجيـدَا

(١٦٤) دُعاهُمَـا يُفـرِّجُ الـشَّدَائدْ ... قـالَ النبـيُّ[(٢)]: «فِـيْهِمَـا فجَاهِـدْ»

(١٦٥) عَامِلهُمَـا باللـيْنِ وَالـتلطفِ ... وَاحْـذرْ مِـنَ الإغـضَابِ وَالـتأففِ

(١٦٦) وَاخفِـضْ جَـناحَ الـذلِّ ولترْحَمْهُمَـا ... وَأكثِـرِ الـدُّعَاءَ: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾[(٣)]

(١٦٧) أكـرمْهُمـا صَـاحِبْهُمَـا مَعْـرُوْفا ... أرْضِـهمَـا لِترْضِـيَ الـرَّؤُوْفا

(١٦٨) وَقـدِّمِ الأُمَّ على الـنوَافِلِ ... فِفِـيْ جُـرَيْج[(٤)] عِـبرَةٌ لِلعَاقِـل

(١٦٩) وَلـنْ تـسدَّ قـدْرَها الـزِّيادَة ... وَلا بزَفـرةٍ مِـنَ الـولادَة!

(١٧٠) بـرُّهما بالمَـوْتِ غيْـرُ زَائِـلِ ... فاسْمَعْ لِمَـا قـالَ النبيْ لِلسَّائِلِ[(٥)]

---

(١) طوَّقَ: صار كالطوق مُلتفا، والإفضَالُ: الإنعامَ والإكرَام، والجيدُ: الرَّقبَة، والمعنى: أنت مَدينٌ لهما بما لا تستطيعُ سَدَّه.

(٢) عن عبدِاللَّهِ بن عمرو ﷺ قال: (جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: «أحَيٌّ والداك؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»). رواهُ أحْمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي في «الكبرى» و«المجتبى» والترمذي وعبدالرزاق وابن أبي شيبة وابن حبان والطبراني في «الأوسط» والبيهقي.

(٣) قال اللَّهُ ﷻ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء:٢٤].

(٤) جُرَيجٌ: أحدُ عُبَّادِ بني إسرائيل، نادَتْ عليهِ أمُّهُ وهُوَ في الصلاةِ أكثرَ من مرَّةٍ فلم يُجبهَا، فدَعَتْ عَليهِ فتعرَّضَ لِفتنةٍ! ثمَّ نجاهُ اللَّهُ منها، لأنَّ أمَّهُ لَم تدْعُ عليهِ بالفِتنةِ، وحَديثهُ رَوَاهُ أحْمد والبخاري ومسلم وابن حبان والبيهقي في «الشعب».

(٥) عن مالك بن ربيعة ﷺ قال: (بينا نحن عند رسول اللَّه ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هل بقي من برِّ أبوَيَّ شيءٌ أبرُّهُما به بعدَ موتِهما؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما، =

(١٧١)	صَـــلِّ عَلـــيْهِمَـا إذا مَـــا مَاتـــا	وَاذكُـــرْهُمَـا إذ في القَـــبُوْرِ باتـــا
(١٧٢)	وَادْعُ الإلـــهَ عَـــنهُمَـا أنْ يَرْضَـــى	وَيَجْعـــلَ اللحُـــوْدَ[١] مِـــنهُ رَوْضَـــا
(١٧٣)	وَأنْ يُزَحْـــزَحا عَـــنِ النيْـــرَان	وَيَـــسْكُنا في جَـــنةِ الرِّضْـــوَان
(١٧٤)	وَأكـــرم الأصْـــحابَ وَالـــرِّفاقا	وَأنفـــذِ العُهـــوْدَ وَالمِيْـــثاقا
(١٧٥)	وَكـــنْ لأرْحَامِهمـــا وَصُـــوْلا	وَســاعِدِ الفـــرُوْعَ وَالأصُـــوْلا

* * *

= والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدِهما من بعدِهما، وصلةُ الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهمـا»). رَواهُ أحْمد وأبو داود وابن ماجه ـ واللفظ لهما ـ والحاكم وابن حبان والطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الشعب» وزاد ابن حبان: (قال الرجل: ما أكثرَ هذا يا رسولَ اللَّه وأطيبَه! قال: «فاعمل به»).

(١) اللحُودُ: جَمعُ لحْدٍ، وهُوَ: القبر، وكذا الرَّمسُ والجَدَث.

الفصلُ الحَادِي عَشَرَ: الأدَبُ مَعَ الأوْلاد

(١٧٦)	أوْلادُنـا مِـنْ أعْظَـمِ الـهِـباتِ	وَهُـمْ بحَـقٍّ زيـنةُ الـزِّيْناتِ
(١٧٧)	أطـيَبُ في الـشَّمِّ مِـنَ الـرَّيْحانِ	أعْـذبُ في الـصَّوْتِ مِـنَ الألحَـانِ!
(١٧٨)	إنْ أقـبَلوا الـسُّرُوْرُ في الإقـبَالِ	أوْ أدْبَـرُوا فالقلـبُ في بَلـبَالِ[1]!
(١٧٩)	فهُـمْ عُقولـنا مَـعَ الأرْوَاحِ	أكـبادُنا قلوْبُـنا يـا صَـاحِ!
(١٨٠)	لكِـنهُمْ أمَانـةٌ فلْتَـرْعَها	يُـسْألُ مَـنْ صَـانَ وَمَـنْ ضَـيعَهَا
(١٨١)	فاختـرْ وعَـاءً فهُـوَ الأسَـاسُ	وَالعِـرْقُ قـدْ قـالَ النبيْ[2] دَسَّاسُ
(١٨٢)	وَاختـرْ لَهُـمْ أسْـمَاءَ جِـدُّ رَائِقـة	تَـبْهجُ ذاتَ قـيْمةٍ مُـوَافقة
(١٨٣)	مُـحَمَّـدٌ وَعَـبدُهُ رُقـيَة	سَـعدٌ أنـيْسٌ عمَـرٌ سُـمية
(١٨٤)	عَـامِلهُمْ بالعَطْـفِ وَالحَـنان	وَالحُـبِّ وَالظـرْفِ وَالامْتِـنان
(١٨٥)	كُـنْ لَهُـمُ أرْضَـهُمُ الذلـيْلة	وَكُـن لَهُـمْ مِـثلَ الـسَّمَا الظلِـيْلة
(١٨٦)	إنْ سَـألوْكَ حَاجَـةً فَـأعْطِهِمْ	وَإنْ رَأيـتَ غـضَبا فأرْضِـهِم
(١٨٧)	وَارْفـعْ لِـوَاءَ الشَّرْعِ[3] فوْقَ الحُبِّ	قـدْ لقَّـنَ النبـيُّ ذا لِلحِـبِّ

(١) البَلبَالُ: شدَّة الهَمِّ، وَوَسْوَاسُ الصَّدْر، وانشِغالُ البَال.

(٢) «العِرقُ دساسٌ» قال الإمامُ العَجْلونيُّ في «كشفِ الخفاءِ»: «رواه الديلميُّ والبيهقيُّ عن ابنِ عباس مرفوعًا، في حديثٍ أوَّلهُ: «الناسُ معادنُ، والعِرْقُ دسَّاسٌ، وأدبُ السُّوءِ كعِرْق السوء». وللمدينيِّ في كتاب «تضييع العمر والأيام في اصطناع المعروفِ إلى اللئام»، عن أنس بلفظ: «تزوجوا في الحِجْر الصالح، فانَّ العرقَ دسَّاسٌ» ذكره النجم». تحت (رقم: ١٧٣٠).

(٣) المعنى: إذا تعارَضَ حُبُّنا لأولادِنا، مع تطبيق الشَّرع نقدِّمُ الشرعَ، ولا يكن حُبُّنا مانعًا لنا من تطبيق حُدُودِ اللَّه، والحِبُّ: أسَامَة بن زيد، وقد علمَهُ النبيُّ ﷺ ذلك، فعن عائشة ﵂: (أن قريشا أهَمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلمُ فيها رسولَ اللَّهِ ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئُ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول اللَّه؟ فكلم رسولَ اللَّه، فقال: «أتشفعُ في حدٍّ من حدودِ اللَّه!؟» ثم قام فخطب قال: «يا أيُّها الناس، إنما ضلَّ من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريفُ تركوه، وإذا سرق
=

(١٨٨) وَاسْمَعْ لِمَاقَدْ قالهُ المُقَدَّمُ[(١)]: «فلْيَقْسُ أحْيَانا وَحِيْنا يَرْحَمُ»

(١٨٩) وَاعْدِلْ وَلا تَمِلْ عَنِ الصِّرَاطِ وَاحْذرْ مِنَ التفرِيْطِ وَالإفرَاطِ

(١٩٠) قدْ عَدَّهُ[(٢)] رَسُوْلنا تزْويرَا فلتسْألِ النعْمَانَ أوْ بَشِيْرَا

(١٩١) بالعَدْل تلفِي[(٣)] الحُبَّ فِيْهِمْ زَادَا وَالجَوْرُ فِيْهِمْ يَزْرَعُ الأحْقادَا

(١٩٢) عَوِّذهمُ باللَّهِ مِنْ إبْليسَا أبْعِدْ قرِيْنَ السُّوْءِ وَالجَلِيْسا

(١٩٣) أطعِمْهُمُ مِنَ الحَلال الطيِّبِ شارِكهُمُ في لهْوِهِمْ وَاللعبِ

(١٩٤) قدْوَتنا قدْ دَاعَبَ السِّبْطيْنِ[(٤)] فادْعُ يَكوْنوا قرَّةً لِلعينِ

(١٩٥) حَفظهُمُ القرْآنَ كنْ مؤَدِّبا أكسِبْهُمُ الخِبْرَاتِ وَالتجَاربا

(١٩٦) حَبِّبْهُمُ في الدِّيْنِ وَالعبادَة لِيَكن النصْحُ إليْهِمْ عَادَة

(١٩٧) جَنبْهُمُ مَا يَجْلبُ الأضْرَارَا قِ[(٥)] النفسَ وَالأهْلَ أخَيَّ النارَا

❋ ❋ ❋

= الضعيفُ فيهم أقاموا عليه الحدَّ! وأيْمُ اللَّهِ لو أن فاطمة بنتَ محمدٍ سرقت لقطعَ محمدٌ يدَها»).
رَواهُ البخاريُّ ومسلمٌ وأبو داودَ والنسائيُّ والترمذيُّ وابنُ ماجه وابنُ حبان والدارمي.

(١) المُقدَّمُ أي: على غيره في الشعر، أو: المُتقدِّمُ علينا زَمنا، وهُوَ الشاعِرُ أبو تمام الطائيُّ، فقد قال:
فقسَا لتزدَجروا ومن يكُ حازمًا فليقسُ أحيانًا وحينًا يرحَمُ!
وأخافكم كي تغمِدوا أسيافكم إنَّ الدَّمَ المُغترَّ يَحرُسُهُ الدَّمُ!

(٢) فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه: (أن أباه أتى به إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: إني نحلتُ ابني هذا غلامًا، فقال ﷺ: «أكلَّ ولدِك نحلتَ مثله؟» قال: لا، قال: «فارجعْه»). رواهُ مالكٌ والبخاريُّ ـ بهذا اللفظ ـ، ومسلمٌ وأبو داود والنسائيُّ وعبدُالرزاق وابنُ حبانَ والبيهقيُّ في «السنن» وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: (انطلق بي أبي إلى النبي ﷺ، ليشهدَه على عطية أعطانيها، قال: «ألك غيرُه؟»، قال: نعم، قال: «أعطيتهم مثلَ ما أعطيته؟»، قال: لا، قال: «فلا أشهدُ على جَور»). رواه ابن أبي شيبة والبزار.

(٣) تلفِي: تجد، والجَوْرُ: الظلم.

(٤) السِّبطان: مُثنى سِبط، وهُوَ: ولدُ الابن وولدُ البنتِ، والمقصودُ بالسِبطين هنا: الحسنُ والحُسَينُ ابنا عليٍّ رضي الله عنهم.

(٥) قِ: فعلُ أمر من وَقى يقي، أيْ: حَمى يحْمِي، والبيتُ يشيرُ إلى قول اللَّه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ...﴾ [التحريم: ٦].

الفصلُ الثاني عَشَرَ: الأدبُ مع الزَّوْج

(١٩٨) وَلتعْرفِ الزَّوْجَةُ قدْرَ الزَّوْج ... ففضْلهُ وَحقهُ كالموْج

(١٩٩) لأنهُ كافِلُها سَيدُها ... مَلِيكها حَبيْبُها قائِدُها

(٢٠٠) وَهْوَ أبُوْها أمُّها أخوْها ... وَهْوَ لِبَاسُهَا[1] الذِي يَكسُوْهَا

(٢٠١) في الذكر وَالسُّنةِ قدْرُهُ انجَلى ... فليَكنِ المُوقرَ المُبجلا

(٢٠٢) قدْ جَاءَنا: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾[2] ... فضَّلهمْ رَبي وَينفِقونا

(٢٠٣) وَأنهُ جنَّتُها وَنارُها[3] ... بنفسِها تَختارُ، ذا قرَارُها

(٢٠٤) تذكري مَنْ مَاتَ عَنهَا زَوْجُها ... أوْ طلقتْ أوْ فاتهَا زَوَاجهَا

(٢٠٥) دِيْنِي لهُ بالسَّمْعِ قبْل الطاعَة ... وَلاطِفِيْهِ سَاعَةً فسَاعَة

(٢٠٦) إنْ رَضِيَ الزَّوْجُ وَقبْلهُ العَلِي ... مِنْ أيِّ أبْوَابِ الجنان فادْخلِي

(٢٠٧) إنْ كنتِ مِثلَ أمَةٍ أوْ خادِم ... فدَاكِ بالرُّوْحِ حَمَاكِ بالدَّم

(٢٠٨) فقبِّلي الرَّأسَ مَعَ اليَدَينِ ... وَحادِثِيهِ بكلامٍ زَينِ

(٢٠٩) وَوَدِّعِيهِ لحظةَ الذهابِ ... وَذكريهِ الوُدَّ عِندَ البابِ

(٢١٠) إنْ غابَ عَنْ عُشكمَا احْفظِيْه ... في النفسِ وَالمَال وفي بَنِيْهِ

---

(١) الزَّوجُ لِزوجتِهِ كلباسِها في السَّتر والوقاية والقرْب، قال ربُّنا ﷻ: ﴿...هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ...﴾ [البقرة: ١٨٧].

(٢) ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ...﴾ [النساء: ٣٤].

(٣) وجاءَنا في السُّنةِ عن الحصين بن مُحْصَن ﷺ: (أن عمَّةً له أتت النبيَّ ﷺ في حاجةٍ، ففرغَتْ من حاجتِها، فقال لها النبيُّ ﷺ: «أذاتُ زوج أنتِ؟»، قالتْ: نعَمْ، قال: «كيف أنتِ له؟»، قالت: ما آلوه إلا ما عجزتُ عنه، قال: «فانظري أين أنتِ منه، فإنما هو جنتك ونارُكِ»). رواهُ أحْمدُ ـ واللفظ له ـ والنسائيُّ والحاكمُ والطبرانيُّ في «الكبير» و«الأوسط» والبيهقيُّ في «السُّنن».

(٢١١) ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ﴾[١] لِغَيْبهنَّ، مُصْغِيَاتٌ لِلعِظَاتْ

(٢١٢) وَاستأذني مِنهُ إذا ذهبتِ أَوْ صُمتِ نفلًا وَإذا وَهبتِ

(٢١٣) اسْتقبليهِ إنْ نوَى القُدُوْما وَأذهبي الأحزانَ وَالهُمُوْما

(٢١٤) وَأحْدِثِيْ في نفسهِ انشِرَاحا وَبلسِمِي الآلامَ وَالجرَاحا

(٢١٥) وَأكرِمِيْ أسرَتَه وَأهْلَهْ وَابقيْ لَهُمْ مُحبَّةً وَسَهْلة

(٢١٦) تَحَدَّثيْ إن اشتهَى الكلاما وَلتَصْمُتِيْ إنْ مَلَّهُ أوْ نامَا

(٢١٧) تقبَّلي المَعْرُوْفَ وَاشكريْهِ وَأعْلِني الإحْسَانَ وَانشريْهِ

(٢١٨) لا تطلبي مَا زَادَ فوْقَ الطاقَةْ فإنهُ ضَرْبٌ مِنَ الحَماقَةْ

(٢١٩) تزَيني تَجَمَّلي تأنقيْ وَلينَ الألفاظِ دَوْما انتق

(٢٢٠) لا تقعِ العَيْنُ على قبيحِ وَلا يَشمَّ غيْرَ طِيْبِ الرِّيحِ

(٢٢١) وَأدْخليْ إنْ نظرَ السرُوْرَا وَاجْتنِبي الرِّفعةَ وَالغرُوْرَا

(٢٢٢) وَإنْ دَعَاكِ لِقضَا[٢] المَسْتوْر لبِّ وَلوْ كنتِ على التنوْر

(٢٢٣) فإنْ أبَيتِ تسْتحِقي اللعْنا قدْ جَاءَ في السُّنةِ هَذا المَعْنى

* * *

(١) ﴿... فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ...﴾ [النساء: ٣٤].

(٢) لِقضَا المَسْتوْر: للجمَاع وقضاءِ شهوتِه، ولبِّ: أجيبي وأطِيعِي، والتنُّور: موضعُ النار الذي يُخبَزُ فيه، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ «إذا الرجلُ دعا زوجته لحاجتِه فلتأتِه، وإن كانت على التنور!». رواهُ الترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ حبانَ والطبرانيُّ والبيهقيُّ.

الفصلُ الثالثُ عشَرَ : الأدَبُ مَعَ الزَّوْجَة

(٢٢٤) وَزَوْجَـةُ المَـرْءِ سُكُوْنُ الـنفسِ ... وَرَاحَـةُ القلـبِ نعِـيْمُ الحِـسِّ

(٢٢٥) مَــوَدَّةٌ مِــنْ رَبِّنا مَجْعُــولةْ ... فــيْهَا وَرَحْمَـةٌ بهــا مَكفُــولةْ

(٢٢٦) مِــنهَا يَجُــوْدُ اللَّــهُ بــالأوْلادِ ... فتــصْبحُ الــسِّيْرَةُ في امْــتدَادِ

(٢٢٧) وَانظـرْ لِمَـنْ لِـباءَةٍ[1] مَـا أكمَـلا ... أوْ زَوْجَــهُ مَاتــتْ فأمْسَى أرْمـلا

(٢٢٨) فاعْـرفْ حُقـوْقا وَجَبَتْ لِـزَوْجكا ... وَأنهـا قـدْ خلقـتْ مِـن ضِـلعِكا

(٢٢٩) وَعَاشِــرِ الــزَّوْجَةَ بالمَعْــرُوفِ ... وَاخـشَ أمَـامَ اللَّـهِ مِـن وُقـوفِ

(٢٣٠) فجــاءَ عَــنْ رَسُــوْلِنا في قــوْلِهِ: ... «خيْــرُكمُ خيْــرُكمُ لأهلِــهِ»[2]

(٢٣١) فقــوِّ دِيْــنها وَزدْهــا عِلمــا ... وَأعْطِهَــا حُقــوقهَا، لا ظلمَــا

(٢٣٢) وَأعْطِهــا المَهــرَ بــلا[3] اختِــرَام ... وَعِفهَــا مَــا اسْـطعتَ عَــن حَـرَام

(٢٣٣) قــدْ وَعَــدَ الــشَّرْعُ على إطعَامِهَــا ... وَسَــقيها أجْــرًا كــذا إكــرَامِهَا

(٢٣٤) فاسْـمَعْ لِمَــا قــدْ قالهُ[4] الرَّسُوْلُ ... وَعَــنهُ قــدْ رَوَىْ لــنا العُــدُوْلُ:

(٢٣٥) أنفقــتَ دِيْــنارًا على الجهَــادِ ... وَآخــرًا في فــكِّ الاسْــتِعْبادِ

(٢٣٦) وَثالِــثا على الــذِيْ قــدِ افتقــرْ ... وَرَابعــا لِمَــنْ ببَيْــتكَ اسْــتقرّ

(٢٣٧) أعْظمُهــا أجــرًا إذا أنفقــتا ... هَــذا الــذِيْ لِلأهــلِ قــدْ قدَّمْـتا!

(٢٣٨) وَأعْطِهَــا إذا رُزقــتَ وَاخْــصُصِ ... وَاسْــتمِعَنْ حَدِيْــثها إنْ تقــصُصِ

---

(١) الباءَة: مُؤَنُ الزَّواج ومُتطلبَاته، والمَعنى: انظرْ إلى النعمةِ التي وُهِبتهَا، فقدْ حُرمَها غيرُك!

(٢) «خيْرُكمْ خيْرُكمْ لأهلِهِ، وأنا خيرُكمْ لأهلِه». رَوَاهُ الترمذِيُّ وابنُ ماجه وابنُ حبان والبزار.

(٣) بلا اختِرَام: من غير نقص فيه، أو بخس لها.

(٤) قال رسولُ اللَّهِ ﷺ «دينارٌ أنفقته في سبيل اللَّه، ودينارٌ أنفقته في رقبة، ودينارٌ تصدقتَ به على مسكين، ودينارٌ أنفقته على أهلِك، أعظمُها أجرًا الذي أنفقته على أهلك!». رَواهُ أحْمدُ ومسلمٌ ـ واللفظ له ـ والنسائيُّ والطبرانيُّ في «الأوسط» والبيهقيُّ.

(٢٣٩) وَحبذا لـوْ جُـدْتَ بالمُـسَاعدَة ... وَكانـتِ الأخْـلاقُ مِـنكَ صَـاعِدَة

(٢٤٠) حَبيبُنا قـدْ ضَـرَبَ الأمْـثالا ... في الـرِّفق بالـزَّوْجَاتِ مَـا تعَالـىْ

(٢٤١) فكـنْ ملاطِفـا كـذلِكَ امْـزَحِ ... وَأذهِـبِ الْهَـمَّ وَعَـنها رَوِّحِ

(٢٤٢) بـرِحْلةِ الأسـفارِ وَالمـرُوجِ[1] ... كـمْ أقـرَعَ النبـيُّ في الخُـرُوجِ؟

(٢٤٣) لا تتَّـبعْ مُلتمِـسًا عَثـرَتَها ... وَاغفِـرْ لـهَـا إنْ أخْطـأتْ زَلـتها

(٢٤٤) وَلتأمُـرَنهـا دَائِمًـا بالخيْـرِ ... مُحْتَـسِبا وَلتـنهَهَا عَـنْ شـرِّ

(٢٤٥) فـإنْ تَخـفْ نـشُوْزَها[2] فمُـرْها ... بطاعَـةٍ وفي الفِـرَاشِ اهْجُـرْهَا

(٢٤٦) وَبَعْـدَ هَـذينِ فغيْـرُ المُبْـرِحِ[3] ... فـإنْ أطاعَـتْ زَوْجهَـا فـسَامِحِ

(٢٤٧) وَاحْـذرْ مِـنَ البَغـي[4] وَلـوْ يَـسِيرَا ... وَاخـشَ العَلـيَّ يَـا أخِـي الكبيْـرَا

(٢٤٨) وَابـذلْ لِكـلِّ أهلهـا المَـوَدَّةْ ... وَكـنْ لـهُمْ عَـوْنا بـوَقتِ الـشِّدَّة

(٢٤٩) لا تـنسَ مَـا بَيْـنكمَا مِـنْ فـضْلِ ... وَارْفـعْ مُعَـدِّدًا شِـعارَ العـدْلِ

* * *

(١) المُرُوجُ: جَمعُ مَرْج، وهُوَ: الأرضُ الفضَاءُ الواسِعَة، يكونُ فيهَا نبتٌ كثيرٌ، والمقصُودُ: الحدائقُ والمتنزَّهَات.

(٢) نشُوزها: معصيتَهَا وعدمَ طاعتِها، واهْجُرْهَا: اعتزلهَا ولا تقربْهَا.

(٣) غيْرُ المُبْرح: غيرُ الشَّديد، وشَرطه: ألا يكسِرَ عظمًا، ولا يجرَحَ لحْمًا.

(٤) البَغيُ: الظلم والاعتداء، وقد جمعَ معانيَ الأبياتِ الثلاثة قولُ اللَّه ﷻ: ﴿... وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

الفصلُ الرَّابعُ عشَرَ: الأدبُ مَعَ الأقارب

(٢٥٠) وَالشَّرْعُ يَدْعُوكَ مَعَ الأرْحَامِ ... لِلأدَبِ الجمِّ[1] وَالاحتِرَامِ

(٢٥١) هَلْ أنتَ إلا فرْعُ تِلكَ الشَّجَرَةْ؟ ... وَفرْعُ أصْلٍ يَنتهي إنْ هجَرَهْ

(٢٥٢) وَالرَّحِمُ اشْتقتْ مِنَ الرَّحْمَنِ ... فصِلْ تفزْ بصِلةِ الحَنانِ

(٢٥٣) وَإنَّها تطوِّلُ الأعمَارَا ... وَتنزِلُ الرِّزْقَ لنا مدْرَارَا

(٢٥٤) وَتغفرُ الذنبَ وَكلَّ فِسْقِ ... وَأجْرُهَا يَفوْقُ أجْرَ العتقِ!

(٢٥٥) وَمَنْ على أرْحَامِهِ تصَدَّقا ... جزَاءُهُ ثِنتانِ قولا صَادِقا

(٢٥٦) فلا تكنْ بوَصْلِهم مُكافِئا[2] ... أوْ قاطِعًا مَنْ كانَ مِنهُمْ مُخطِئا

(٢٥٧) فاللعْنُ مِنْ رَبِّيْ يُصِيْبُ القاطِعا ... وَقدْ أتىْ في الذكرِ في مَوَاضِعا

(٢٥٨) ثلاثةٍ[3] أتتْ بلا امْتِرَاءِ ... مُحَمَّدٍ وَالرَّعْدِ وَالزَّهرَاءِ

(٢٥٩) وَقالَ في هَذا النبيُّ الشافعُ: ... لا يَدْخلُ الجنةَ[4] عَبدٌ قاطِعُ

(٢٦٠) فأكرِمِ الأرْحَامَ بالعطاءِ ... وَزُرْهمُ في الصَّيْفِ وَالشتاءِ

(٢٦١) وَادْعُ لهُمْ إنْ حَضَرُوا أوْغابُوا ... وَاعْفُ إذا مَا قصَّرُوا أوْ عَابُوا

---

(١) الأرحامُ: الأقارب، والجَمُّ: الكثير الوافر.

(٢) مُكافِئا: واصِلًا حين يصِلون، وقاطِعًا حينَ يقطعون، أي: واحدة بواحدة.

(٣) الزَّهرَاءُ: سُورَة البقرَة، والمواضِعُ الثلاثة هي: قولُ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد]، وقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد ﷺ].

(٤) «لا يَدْخلُ الجنةَ قاطِعٌ». رَواهُ أحمدُ والبخاريُّ ومُسلمٌ والترمِذيُّ والبزارُ وابنُ حِبَّانَ وأبو يعلى والطبرانيُّ.

(٢٦٢) وَاتلُ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾[1] إذ فِيْهَا الأَدَبْ وَاسـأَلْ أبابَكـر فإنـهُ أَحَـبّ

(٢٦٣) وَاسْـتقبلنهُمْ إنْ نـوَوْا حُـضُوْرَا وَكـنْ إذا رَأَيْـتهم مَـسرُوْرَا

* * *

(١) كان أبو بكر الصِّدِّيقُ ﷺ يُنفقُ على مِسطح بن أثاثة ﷺ لقرابته منه وفقره، فلما خاضَ مسطحُ فيمن خاضوا في عِرض عائشة بنتِ أبي بكر، قال أبو بكر: واللَّهِ لا أنفقُ على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة، فلمَّا أنزل اللَّهُ ﷻ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور]. قال أبو بكر ﷺ: بلَى، واللَّهِ إني أحبُّ أن يغفرَ اللَّهُ لي، فرَجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: واللَّهِ لا أنزعُها منه أبدًا، والحديثُ بطولِهِ عند البخاري.

الفصلُ الخامسَ عشَرَ: الأدَبُ مَعَ الجيْرَان

(٢٦٤) وَعَامِـلِ الجيـرَانَ باحْتـرَام وَابـذُلْ لَهـمْ وَسَـائلَ الإكـرَام

(٢٦٥) جبْريْلُ قـدْ أوْصَـى النبـيْ مِـرارًا بجـارهِ فـرَاجعِ الأخـبارَا[1]

(٢٦٦) أعِـنهُمُ إذا بـكَ اسْـتعَانوا في شِـدَّةٍ، فكلكـمْ إخـوَانُ

(٢٦٧) شَـاركهُمُ السُّرُوْرَ وَالأفـرَاحَا وَخفـفِ الْهُمـوْمَ وَالأتـرَاحَا

(٢٦٨) لا تَمْنعِ المَاعُـوْنَ[2] يَـوْمًا عَنهُمُ وَاحْـتمِلِ الأذى لَهـمْ وَمِـنهمُ

(٢٦٩) لا تـؤْذِهِمْ بـرَفعِكَ المِـذيَاعَا أطعِمْهـمُ إنْ أصْـبَحُوا جـياعَا

(٢٧٠) وَأكثِـرِ المَـاءَ إذا طبَخـتا وَهـبْهُمُ مِـنْ مَـرَقٍ مَـا اسْـطعْتَا

(٢٧١) أهـدِ إلـيْهِمْ وَليُـصِبْهُمْ زادُكْ وَلا يغِـظْ أوْلا دَهـمْ أوْلادُكْ

(٢٧٢) فهـذهِ تثـبتُ الـودَادَا وَتـذهبُ الـشرُوْرَ وَالأحقـادَا

(٢٧٣) أوْلاهُـمُ بخيـركَ اكتِـسابا أقـرَبُ جيـرَانكَ مِـنكَ بابـا

(٢٧٤) وَنـحِّ عَـنْهُمْ كـلَّ مَـا يَـضُرُّهمُ فأنـتَ مُـؤْمِنٌ إذا أمَّنـتهمْ

(٢٧٥) أمَـا سَـمِعْتَ بالتـي[3] قـدْ أكثـرَتْ صَـلاتَها وَالفقـرَاءَ آثـرَتْ

(٢٧٦) قـالَ النبـيُّ: إنَّهـا في الـنارِ لأنَّهـا تـسْعَىْ بـضُرِّ الجـارِ!

---

(١) فراجع أحَاديثَ النبيِّ ﷺ، فقد قال ﷺ: «ما زالَ يُوصِيني جبريلُ بالجار، حتى ظننتُ أنه سَيُوَرِّثه». رواهُ أحْمدُ والبخاريُّ وأبو داود والترمذيُّ وابنُ ماجَه وابنُ أبي شيبة والبزارُ وابنُ حِبَّانَ وأبو يعلى والطبرانيُّ.

(٢) الماعُونُ: الأدَواتُ والأواني التي تستخدَم، والتي يحتاجُ الجيرانُ إليها من جيرانِهم.

(٣) عن أبي هريرَة ﷺ قال: (قال رجلٌ: يا رسولَ اللّه، إن فلانة تكثِرُ من صلاتِها وصدقتِها، وإنها تؤذي جيرانَها بلسانِها، قال: «هي في النار»! قال: يا رسولَ اللّه، فإن فلانة يذكرُ من قلةِ صيامِها وصلاتِها، وأنها تتصدَّقُ بالأثوار من الأقطِ (القطع المتخذة من مخيض اللبن الغنمي)، ولا تؤذي جيرانَها، قال: «هي في الجنة»)! رَواهُ أحْمدُ وابنُ حبان والحاكمُ والبيهقيُّ في «الشعب».

(٢٧٧) قدْوَتنا قدْ عادَ ذا الغلاما في بَيتِهِ[١] وَعَرَضَ الإسْلاما
(٢٧٨) فحمِدَ اللَّهَ لأن هداهُ لِلنوْرِ وَالتوْحِيدِ إذ دَعاهُ
(٢٧٩) وَلتسْمَع ابنَ عَمْرنا[٢] إذ قالا إذ ذبحَ الشاةَ وَعادَ حالا
(٢٨٠) مُثبِّتا في البَيْتِ خُلقَ الجُوْدِ: أهدَيْتمُ لِجَارنا اليَهُودِيْ؟
(٢٨١) وَمَوْقفُ الإمام[٣] غيْرُ خافِ مِنْ جَارهِ المُسْتهْتِرِ الإسْكافِ
(٢٨٢) إذ أوْدِعَ الجَارُ بسِجْنِ الكوْفةْ فهَبَّ مُسْرعا أبُوْحَنِيفة!
(٢٨٣) وَاسْتأذنَ الأمِيْرَ في إطلاقِهِ فأطلِقَ المَسْجُوْنُ مِنْ وَثاقِهِ[٤]
(٢٨٤) فعَادَ مُرْدِفًا[٥] وقد شفعهُ وَحَفِظَ الفتىْ وَمَا ضَيَّعهُ!

* * *

(١) عن أنس ﷺ قال: (كان غلامٌ يهوديٌّ يخدمُ النبيَّ ﷺ فمرض، فأتاه النبيُّ ﷺ يعودُه، فقعد عند رأسِه، فقال له: أسلِم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم يا بُنَي، فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول: «**الحمدُ للهِ الذي أنقذه من النار**»). رَواهُ أحْمدُ والبخاريُّ وأبو داودَ وأبو يعلَى والبيهقيُّ في «السنن».

(٢) عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: (أن عبدَاللَّه بنَ عمرو ذبحتْ له شاة في أهلِه، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهوديِّ؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيُوَرِّثه**»). رواهُ أبو داود والترمذي.

(٣) هو: الإمامُ الأعظمُ أبو حنيفة النعْمَان بن ثابت الكوفيُّ، فقيهُ أهل العراق، وإمامُ أصحابِ الرَّأي، ومُؤسِّسُ المَذهِبِ الفقهيِّ المَعرُوف، مات سنة (١٥٠ هـ)، و**المُسْتهْتِرُ**: المُسْتهينُ بالأمُور، وغيرُ المُبَالي والمُهتمِّ بها، والإسكاف: مُصلِحُ الأحذية.

(٤) **الوثاق**: القيد والرِّباط.

(٥) **أردَفَ فلانٌ فلانا إرْدَافًا** أي: جعله يركبُ وراءَهُ على الدابة.

الفصلُ السَّادِسُ عَشَرَ: الأدبُ مَعَ الضَّيْفِ

(٢٨٥)	وَأكْـرِمِ الضَّيفَ إذا مَـا حَـلا	وَاعْجَـلْ وَقَـدِّمْ وَابـلا[١] أوْ طـلا
(٢٨٦)	قابلـهُ بالبِشْرِ وَبالتـرْحِيْبِ	أنـزلهُ في مَكانـكَ الـرَّحِيْبِ
(٢٨٧)	أعْلمْـهُ بالحُـبِّ وَبالإخـاءِ	وَابْـذلْ لـهُ وُسْـعكَ في السَّخاءِ
(٢٨٨)	أشْـعِرْهُ في غـرْبَتهِ ببَيْـتهِ	في الأكـلِ لا تنظـرْ إلى لقمَـتِهِ
(٢٨٩)	لاطِفـهُ في الكـلامِ وَالأسْـلوْب	بمَـا يَـزيدُ الحُـبَّ في القلـوبِ
(٢٩٠)	وَلـتحْذرِ السُّكوْتَ في الجُلـوْسِ	حَتـىْ تـزيلَ مَلـلَ النفوسِ
(٢٩١)	وَكـنْ لـهُ كمَـا يكـوْنُ العـبْدُ	تَخدُمـهُ وَقـدْ عـلاكَ الجِـدُّ[٢]
(٢٩٢)	وَائـتِ لـهُ في البَـرْدِ بالغِطـاءِ	وَاسْـمَحْ لـهُ في الضَّيْفِ بالْهـوَاءِ
(٢٩٣)	وَادْعُ لـهُ بالخيْـرِ وَالتوْفِـيْقِ	وَاسْـألهُ مِـنْ دُعَـاءِهِ الـرَّقِيْقِ
(٢٩٤)	شَـيِّعْهُ[٣] عِـندَ البَابِ في انطِلاقِـهِ	وَأظهـرِ الأسَـى على فِـرَاقِهِ

* * *

(١) الوابلُ: المطرُ الغزيرُ الكثيرُ، والطلُّ: المطرُ الخفيفُ، والمعنى: قدِّمْ ما في استطاعتِك، قلَّ أو كثر.

(٢) عَلَاكَ الجِدُّ: ظهر عليك العزمُ والنشاطُ في خدمتِه.

(٣) شيِّعهُ: قم بتوصِيلِه. والأسَى: الحُزن والضِّيق.

الفَصْلُ السَّابعُ عَشَرَ: الأَدَبُ مَعَ الكبيْر

(٢٩٥) وَعَامِلِ الكبيْرَ بالتوْقِيْرِ ... فاللَّهُ يَجْزيْكَ عَنِ النقِيْرِ[1]

(٢٩٦) قدْ وَحدَ اللَّهَ العَلِيَّ قبْلكا ... وَعُمْرُهُ في الخيْرِ فاقَ عُمْرَكا

(٢٩٧) قدْ قادَ في بحْرِ الحَياةِ قاربا ... وَاكتسَبَ الخِبْرَاتِ وَالتجَاربا

(٢٩٨) إنْ كانَ قائِمًا فهُبَّ قائِمَا ... أوْ كانَ ناطِقا فأصْغ دَائِمَا

(٢٩٩) وَارْحَمْهُ إنْ أوْهَى[2] المَشِيْبُ حَبْلَهُ ... وَاذكرْ إذا مَا صِرْتَ يَوْمًا مِثلهُ

(٣٠٠) قدْ كانَ أقوَىْ مِنكَ في الشَّبَابِ ... وَالكلُّ صَائِرٌ إلى التـرَابِ

(٣٠١) وَالدَّهْرُ يَومَانِ فيَوْمٌ كانَ لهْ ... وَآخرٌ قيَّدَهُ وَعاجلهْ

❊ ❊ ❊

(١) النقيرُ: النقرَة الصغيرة التي تكون في ظهر نواةِ التمرة، والمقصودُ: يجزيكَ عن كلِّ شيءٍ مهما صَغر.

(٢) أوهَى: أضعَفَ، والمعنى: كبُرَ سِنه وضعُفَ جسمُه.

الفصلُ الثامنُ عشَرَ: الأدبُ مَعَ الصَّغِير

(٣٠٢)	أطفالـنا عَجِيْنةٌ طَرِيَّةْ	وَصَفحةٌ ناصِعَةٌ نَقِيَّةْ
(٣٠٣)	نخطُّ أوْ نغرسُ مَا نشاءُ	وَكلنا مِنْ حَوْلِهِمْ آباءُ
(٣٠٤)	إنْ عُوِّدُوا الخيرَ تعَوَّدُوْهُ	أوْ جُنِّبُوا الشَّرَّ تَجَنبوْهُ
(٣٠٥)	أحْبِبْهُمُ يُحْبِبكَ دَوْمًا رَبُّهمْ	وَادْعُ كما دَعا لَهُمْ نبيهمْ
(٣٠٦)	عَامِلهُمْ إنْ أقبَلوا بالرَّحْمَةْ	فهَكذا كانَ رَسُوْلُ الأمةْ
(٣٠٧)	كمْ مرَّةٍ أرْدَفهُمْ وَرَاءَهْ؟	أزَالَ عنْ أسامَةٍ[1] دِماءَهْ!
(٣٠٨)	وفي الصَّلاةِ فارَقَ التطوْيلا	مِنْ أجْلِ طِفلٍ أرْسَلَ العَويلا!
(٣٠٩)	أصْغِ لهُ إذ قالَ: يَا عُمَيْرُ[2]	مُلاطِفًا مَا فعَلَ النغيْرُ؟
(٣١٠)	وادْعُهمُ لِكلِّ فِعْلٍ زَينِ	يَنفعْكَ هَذا الفِعْلُ في الدَّارَينِ
(٣١١)	وَانصَحْهُمُ بالخيْرِ حِيْنا حِيْنا	لِينشَؤُوا أعْضاءَ صَالِحِيْنا
(٣١٢)	فإنْ يكوْنوا بَيْننا صِغارًا	سَيَمْلِكوْنَ في الغدِ القرَارَا

* * *

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (عثر أسامة بنُ زيد بعتبةِ الباب، فشُجَّ وجهُه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أميطي عنه الأذى»، فتقذَّرتُه! قالت: فجعل يمُصُّ عنه الدمَ وَيَمُجُّه عن وجهه! ثم قال: «لو كان أسامةُ جاريةً لحلَّيتُه وكسوتُه حتى أُنفِّقَه!»). رَواهُ ابنُ ماجه وابنُ حبانَ وأبو يعلَى وابنُ أبي شيبة والبيهقيُّ في «الشُّعَب».

(٢) عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أحسنَ الناسِ خلقًا، وكان لي أخٌ يُقالُ له: أبو عمير، فكان إذا جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فرآه قال: «أبَا عمير، ما فعل النُّغير؟»، قال: فكان يلعب به). رَواهُ البخاريُّ ومسلمٌ ـ واللفظ له ـ والترمذيُّ وأبوداود وابنُ ماجه وابنُ حبان، والنُّغير: تصغير النغرة، واحدة النغر، وهي: طيرٌ كالعصافير حُمْرُ المناقير.

الفصلُ التاسعُ عشرَ : الأدبُ مَع غيْرِ المُسْلِم

(٣١٣) وَخُلْقُنا قدْ جاءَنا وَسِيْعا — وَشَمِلتْ آدابُنا الجَمِيْعا

(٣١٤) مَنْ خالفَ الإسْلامَ كالكِتابي[1] — مُعَاهدًا أوْ ليْسَ بالإرْهابي

(٣١٥) إنْ لَمْ يكوْنوا إخوَة في المُعْتقدْ — فآدَمٌ أبٌ لنا مَعًا وَجدّ

(٣١٦) عَامِلهمُ أخِي بالاحْتِرَام — وَانقلْ لَهمْ سَمَاحَةَ الإسْلام

(٣١٧) وَادْعُ إلى الْهُدَىْ وَدِيْنِ الحَقِّ — بحكمَةٍ وَأدَبٍ وَرفق

(٣١٨) وَإنْ تُجَادِلْهمْ فجَادِلْ بالتِي — أحْسنُ أخلاقًا بلا[2] تعنتِ

(٣١٩) وَادْعُ لهُمْ بالرُّشدِ وَالهِدَايَة — فردُّهمْ لِدِين رَبِّيْ غايَة

(٣٢٠) وَلا تسُبَّ دِينهمْ يَوْمًا وَلا — رَمْزًا يَسُبوا اللَّهَ عَدْوًا جُهَّلا

(٣٢١) وَاسْمَعْ لِمَا قدْ قالهُ العَدْنانِيْ: — مَنْ يُؤْذِ ذِميًّا[3] فقدْ آذانِيْ

(٣٢٢) وَارْعَهمُ إنْ أصْبَحوا جيْرَاننا — وَأكلهُمْ حلٌّ[4] لنا وَأكلنا

(٣٢٣) وَالبَيعُ وَالشرَاءُ جَائزَان — وَاترُكْ لَهُمْ حُرِّيةَ الأدْيان

(٣٢٤) وَاشْمَلهُمُ بالأدَبِ المَتِينِ — لكِنْ على غيْرِ حِسَابِ الدِّيْنِ

* * *

(١) الكتابيُّ: اليَهُوديُّ والنصرَانيُّ، والمُعَاهَدُ: الذي بيننا وبينه عهد، والإرْهَابيُّ: الحَرْبيُّ غيرُ المُسَالِم
(٢) بلا تعَنتٍ: بلا تشَدُّدٍ أو تزَمُّت، وبهُدُوءٍ وحِكمَة.
(٣) الذمِّيُّ: اليهُوديُّ والنصرانيُّ، إذا لَم يكن بيننا وبينهما حرب.
(٤) ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ...﴾ [المائدة: ٥].

الفصلُ العِشْرُونَ: الأدبُ مَعَ العَجْمَاوَاتِ[1]

(٣٢٥) آدَابُنا تَشْمَلُ كُلَّ جِنسِ ... كالطيْرِ وَالبَهِيْمِ بَعْدَ الإنسِ
(٣٢٦) فلتسْمَعُوا مَا جَا أوْلِي الألبَابِ ... في شَرْعِنا مِنْ عجَبٍ عجَابِ!
(٣٢٧) مَنْ قتلَ العُصْفوْرَ لا لِمَنفعَهْ ... يَسْألُهُ المَوْلى: لِمَاذا ضَيعَهْ؟
(٣٢٨) لا تقتلنَّ نحْلةً أوْ هُدْهُدَا ... أوْ نملةً آمنةً أوْ صرَدَا[2]
(٣٢٩) لا تَجْعَلِ الطيْرَ لِرَمْي[3] غرَضَا ... أوْ حيَّةً وَارْجُ مِنَ اللَّهِ الرِّضَا
(٣٣٠) وَقدْ أتى النَّهْيُ عَن التحْرِيْشِ[4] ... بَيْنَ البَهِيْمِ أوْ ذوَاتِ الرِّيْشِ
(٣٣١) وَلا تكنْ لِلحَيَوَان لاعِنا ... وَاخصُصْ بِهَذا دِيكنا المُؤذنا
(٣٣٢) وَأحْسِنوا القِتلةَ إنْ قتلتمُ ... وَأحْسِنوا الذبحةَ إنْ ذبحتمُ
(٣٣٣) وَإنْ ذبَحْتمْ فأحِدُّوا الشفرَةَ[5] ... وَطبِّقوا هدْيَ النبيْ وَأمرَهْ
(٣٣٤) لا تذبَحُوْهَا بَيْنَ عيْنيْ أختِها ... وَعَنْ سَبيْلِ العُنفِ كوْنوا في انتِهَا
(٣٣٥) وَخَمْسَةٌ تقتلُ ليْسَت تُحْترَمْ ... حَتى وَلوْ كانتْ بدَاخِلِ الحَرَمْ
(٣٣٦) فحِدْأةٌ وَ فأرَةٌ غرَابُ ... وَعَقرَبٌ أوْ عقرَتْ[6] كِلابُ
(٣٣٧) وَقتلُ الأوْزَاغِ[7] بِهَا أجْرٌ جَزِيْلْ ... لِنفخِهَا في نارِهِمْ حَوْلَ الخلِيْلْ

---

(١) العَجْمَاوات: جَمعُ عَجْمَاء، وتطلقُ كلمة العَجْماء على البهيم والطير، لأنها لا تنطق.
(٢) الصُّرَدُ: يُجمعُ على: صِرْدَان، وهو طائرٌ فوقَ العُصفور، ويصطادُ العصافير، ونُهِيَ عن قتلِه قيل: لأن العربَ كانت تتطيَّرُ وتتشاءمُ من صوتِه، وقيل: لِحُرمة لحمِهِ هوَ والهُدْهد.
(٣) الرَّمْيُ: التصويبُ والتنشِينُ، والغرَضُ: الهدَفُ الذي يُرْمَى، وحَيَّة أي: ذاتَ رُوح.
(٤) التحْريشُ بين البهائم وذوات الرِّيش (الطيور): الإغراءُ والإفسادُ والتهييجُ، كما يحدُثُ بين الكِبَاش والدُّيوك.
(٥) الشَّفرَة: السِّكين.
(٦) عَقرَتْ كِلابُ: كانت عَاقِرَة، وهيَ التي تصَابُ بالسُّعَار أو مرض الكلب، وتؤذي من تقابله.
(٧) الأوزَاغ: جمعُ وَزَغة: وهِيَ دُوَيْبَّة تسَمَّى سَامَّ أبرَص، وتسَمَّى عندَ العامَّةِ: بُرْصًا، وتجمَعُ على أوزاغ =

(٣٣٨) وَلا تعَـذبْ يَـا أخِـيْ بالـنارِ ... فهْـيَ عـذابُ رَبنا الجبارِ

(٣٣٩) وَلتذكـرُوا الـذِيْ أغَـاثَ الكلـبا ... سَـقاهُ مِـنْ بئـرٍ فـنالَ القـرْبا!

(٣٤٠) وَمَـنْ أتـتْ بِهِـرَّةٍ فحَبـسَتْ ... فجَـوَّعَتْ وَأظمَـأتْ لمَّـا قـسَتْ!

(٣٤١) فـنفقتْ[١] هِـرَّتُهَا في الـدَّارِ! ... فلقِـيتْ جَـزَاءَها في الـنارِ

(٣٤٢) وَجَمَـلَ[٢] الأنصَار يَشكوْ لِلحَبيْبْ ... مِـنْ ألَـم الجُـوْع وَمِـنْ شُغل يُذِيْبْ

(٣٤٣) فعَلَّـمَ النبـيُّ ذاكَ القاسِـيْ ... رفقـًا بـهِ على رُؤُوْسِ الـناسِ

(٣٤٤) فالـرِّفقُ في الـشَّرْعِ بعَجْمَـاوَاتِ ... مِـنْ قـبْلِ تأسِـيْس لِجَمْعِـياتِ!

(٣٤٥) فـإنْ يَكوْنـوا في الـهَـوَا تشدَّقوا[٣] ... نبـيُّ رَبِّـيْ سَـابقٌ مـصَدَّقُ

* * *

= ووَزَغ ووُزْغان، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة لدُون الأولى، وإن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة لدون الثانية». رواهُ مسلمٌ وأبو داودَ والترمذيُّ والبيهقيُّ في «السنن». وعن سائبة: (أنها دخلت على عائشة، فرأت في بيتها رمحًا موضُوعًا! فقالت: يا أمَّ المؤمنين ما تصنعون بهذا الرمح؟ قالت: هذا لهذه الأوزاغ نقتلهُنَّ به، فإن رسولَ اللَّه ﷺ حدثنا: «أن إبراهيمَ حين ألقِيَ في النار، لَم تكن في الأرض دابة إلا تطفئُ النارَ إلا الوزغ، كان ينفخُ عليه»! فأمرنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بقتلِه). رَوَاهُ أحْمدُ وابنُ ماجه وابنُ حبانَ وابنُ أبي شيبة وأبو يعلى.

(١) نفقتْ هِرَّتُهَا: ماتت قِطتهَا.

(٢) عن عبدِاللَّهِ بن جعفر رضي الله عنهما قال: (أردفني رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يوم خلفه، فأسَرَّ إلَيَّ حديثًا لا أخبرُ به أحدًا أبدًا، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أحبَّ ما استترَ به في حاجتِه هدفٌ أو حائشُ نخل، فدخل يوما حائطًا من حيطان الأنصار، فإذا جَمَلٌ قد أتاه، فجَرْجَرَ وذرفتْ عيناه! فمسحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ سراته وذفراه فسكن! فقال: «من صاحبُ الجمل؟»، فجاء فتى من الأنصار، فقال: هوَ لي يا رسولَ اللَّه، فقال: «أما تتقى اللَّهَ في هذه البهيمةِ التي ملَّككها اللَّهُ، إنه شكا إلَيَّ أنك تُجيعُه وتدئبُه!»). رواهُ أحْمدُ وأبو داودَ وابنُ أبي شيبة وأبو يعلى والحاكمُ.

(٣) تشَدَّقَ: ملأ فمَه بالكلام تفاصُحًا، والمقصُودُ: أنهم أصحَابُ شِعَارات مُزَوَّرة، فعَنهُم قيلَ:

مَوتُ امْرِئٍ في غابةٍ ... جَريمـةٌ لا تغتفـرْ!

وسَحْقُ شعبٍ كامِلٍ ... قضِيـةٌ فيهـا نظـرْ!

الفصلُ الحَادِيْ وَالعِشْرُوْنَ: آدابُ المَسَاجِد

(٣٤٦) وَاحْضُرْ بُيُوْتَ اللَّهِ في وَقَارِ فإنَّها مَهَابطُ[1] الأنْوَارِ
(٣٤٧) وَهْيَ بحَقٍّ مَصْنعُ الأبْطَالِ وَرَوْضَةُ الجَنَاتِ لِلرِّجَالِ
(٣٤٨) فَسَمِّ عِندَ البابِ ثمَّ صَلِّ على النبيِّ المُصْطفى الأجَلِّ
(٣٤٩) وَلتدْعُ لِلذنُوْبِ بالغفْرَانِ وَفتحِ أبوَابٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
(٣٥٠) وَخذ لَها الزِّيْنَةَ مَا اسْتطعْتَا وَعَلقِ القلبَ، تخذهَا بَيْتا
(٣٥١) وَإنْ أكلتَ بَصَلاً أوْ ثوْما فابْعُدْ، وَلا تؤْذِ بِهَذا القوْمَا
(٣٥٢) لا تنسَهَا اسْتِرَاحَةَ الأصْحَابِ وَاذكرْ عَلِيا: «قم أبَا التّرَابِ»[2]

---

(١) قال اللَّهُ في آياتِ النور من سُورةِ «النور» من النور المُبين: ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٥ ـ ٣٨]، فمَنْ أرادَ تحصيلَ الأنوار في الآخِرَةِ، فعَليهِ بكثرةِ الذهَابِ إلى المسَاجِدِ، خاصَّة أوقات الظلماتِ (صلاتَي العِشاءِ والصُّبح)، فعن بُرَيدة الأسلميِّ عن النبي ﷺ قال: «بشر المشائينَ في الظلم إلى المساجِدِ، بالنور التامِّ يومَ القيامة». رواهُ أبو داودَ والترمذيُّ والطبرانيُّ في «الأوسط» والبيهقيُّ في «الشُّعَب»، وفي هذا قلتُ:

وَمَنْ أتاها وَهوَ يَمْشِيْ في الظلمْ بَشرْهُ يَومَ الحَشرِ بالنور الأتمّ

(٢) أبو التراب: سيِّدُنا عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه، كناهُ بهذا الرَّسُولُ ﷺ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (جاء رسولُ اللَّه ﷺ بيتَ فاطمة، فلم يجد عليًّا في البيت، فقال: «أين ابنُ عمِّكِ؟»، فقالت: كان بيني وبينه شيءٌ فغاضبني، فلم يقِل ـ يبقَ في البيتِ وقتَ القيلولة ـ عندي. فقال رسولُ اللَّه ﷺ لإنسان: «انظر أين هو»، فجاء فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هو في المسجد راقِدٌ، فجاءه رسولُ اللَّه ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل رسولُ اللَّه ﷺ يمسحُه عنه، ويقول: «قم أبا التراب، قم أبا التراب»). رواهُ البخاريُّ ومُسلمٌ.

(٣٥٣) وَصَلِّ رَكعَتينِ إنْ دَخلتا وَادْعُ إلى الخيْرَاتِ إنْ نطقتا

(٣٥٤) وَانشطْ إليْها دائِمًا مُبكرًا وَكنْ إذا مَا كنتَ فِيْهَا ذاكِرًا

(٣٥٥) وَانوِ إذا دَخلتَ الاعْتِكافا وَادْعُ دُعاءَ مَنْ رَجا وَخافا

(٣٥٦) وَلتغْضُضِ الصَّوْتَ وَأنتَ فِيْهَا وَاعْرفْ حُقوْقَ كلِّ مَنْ يَأتِيْها

(٣٥٧) وَنقِّ أرْضهَا مِنَ الأقذاءِ[1] فالمُجْتبَىْ صَلى على السَّوْدَاءِ

(٣٥٨) وَجَاءَ عَنْ تنظِيْفِهَا في السُّنة بأنهُ مَهْرٌ لِحوْرِ الجَنة

(٣٥٩) وَأوْقِدِ الشمُوْعَ وَالأنوَارَا وَاذكرْ تميمًا[2] هَاجرَ النصَارَىْ

(٣٦٠) وَانضَمَّ في التعْمِيْرِ وَالتشْيِيْدِ بالمَالِ أوْ برأيكَ السَّدِيدِ

(٣٦١) فمَنْ بنىْ كمِفحَصِ[3] القطاةِ بَنىْ لهُ الرَّحْمَنُ في الجَناتِ

* * *

(١) الأقذاء: جَمعُ قذى وقذاة، وهُوَ: ما ترمي به العينُ من رَمص، وما يسقط في الشرابِ من ذبابٍ أو غيره، ويُقصَدُ به هُنا: ما يكونُ في أرض المسجدِ من أعوادٍ وأوراق وتراب، ومُجتبانا ﷺ صلَّى على المرأةِ السوداء التي كانت تنظفُ المسجدَ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلًا أسود أو امرأةً سوداء، كان يقُمُّ المسجدَ فمات، فسأل النبيُّ ﷺ عنه، فقالوا: مات، قال: «أفلا كنتم آذنتموني به؟! دلوني على قبره - أو قال: قبرها -»، فأتى قبرها فصلَّى عليها. رواهُ أحْمدُ والبخاريُّ وأبو داودَ وابنُ حبان.

(٢) تَميمٌ هُو: الصحابيُّ الجليلُ، أبو رُقيَّة تميمُ بنُ أوس الدَّاريُّ رضي الله عنه، من فلسطينَ، كان نصرانيًّا فأسلم سنة (٩ هـ)، وهُوَ أوَّلُ مَن أضاءَ المساجدَ، وأوقد فيها السُّرُج، مات رضي الله عنه بفلسطين سنة (٤٠ هـ).

(٣) القطاة: طائرٌ ثقيلُ المِشيةِ، مُتقاربُ الخطو، يُجمعُ على: قطا وقطوات وقطيَات، ومِفحَصُها: المكانُ الذي تبيضُ وترقدُ فيه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن بَنى للَّهِ مسجدًا، ولو كمِفحَص قطاةٍ، بَنى اللَّهُ لهُ بيتًا في الجنة». رواهُ أحْمدُ وابنُ مَاجه وابنُ حِبَّان - واللفظ لهُ - وابنُ أبي شيبة والبزّارُ وأبو يعلى والطبرانيُّ في «الصغير» والبيهقيُّ في «الشُّعَب».

الفصلُ الثاني وَالعِشْرُونَ : آدابُ العِلمِ وَالتعَلم

(٣٦٢)	واللَّـــهُ يَدْعُـــوْنا إلى الــتعَلمِ	فـالعِلمُ نــوْرٌ فـاقَ نــورَ الأنجُـمِ
(٣٦٣)	وَحَثــنا[1] في ذِكــرِهِ أنْ ننفــرَا	طـوَائِفا مِـنْ فـرَق كـيْ نحـذرَا
(٣٦٤)	وَأوَّلُ الوَحْـــيِ أتــىْ إليْــنا	﴿ٱقْرَأْ﴾[2] وَذا مِـنْ فـضْلِهِ عَليْـنا
(٣٦٥)	كـمْ جَمَعَـتْ مِـنْ أدَوَاتِ العِلـمِ؟	كـ«عَلـمَ» «اقـرَأ» بَعـدُ «يَعْلمْ» «قلمِ»
(٣٦٦)	وَخيْــرَ خلقِــهِ حَــبا وَأكــرَمَا	عَلمَـهُ مَـا لَـمْ يَكـنْ قـدْ عَلِمَـا!
(٣٦٧)	فقــالَ: مَــنْ أرادَ رَبِّــي خيْـرَا	بـــهِ يُفقهـــهُ يفـــوْقُ الغيـــرَا
(٣٦٨)	وَمَــنْ يَكـنْ لِلعِلـمِ في مُدَارَسَـهْ	سَـبحَ مــوْلاهُ بهـــا وَقدَّسـهْ
(٣٦٩)	وَمَـنْ على الـسَّبيْلِ لِلعْلـم سَـعَىْ	ففِـيْ سَبيْلِ اللَّـهِ حَتـى يَـرْجِعَا
(٣٧٠)	وَمَــنْ رِداءَ العِلــمِ رَبِّــي ألبَـسَهْ	تَخــشاهُ في طَــرِيْقِهِ الأبَالــسَة
(٣٧١)	فــشُدَّ لِلعِلــمِ أخِــي الــرِّحَالا	وَانــشَطْ وَلا تكـسَلْ إلـيْهِ حَــالا
(٣٧٢)	وَاسْتحْــضِرِ النــيةَ وَالإخلاصَــا	وَاسْــبَحْ ببَحْــرِهِ وَكــنْ غوَّاصَــا
(٣٧٣)	وَادْعُ وَقــلْ: يَــا رَبِّ زِدْنِــي علمًا	يَـا مَـنْ سُـليْمَـانَ وَهَـبْتَ الفهْمَـا
(٣٧٤)	وَقابـــلِ الأسْـــتاذَ بالتبْجـــيْلِ	وَارْفعـــهُ في مَقامِـــهِ الجَلِيـــلِ
(٣٧٥)	وَاذكـرْ كلِيْمَ[3] اللَّـهِ مـعْ أسْتاذِهِ	حَـاوَرَهُ بـ«هَـلْ؟» وَتكفِـي هَـذِهِ!

(١) حَثنا: حَضَّنا وحَفزنا ودَعَانا، حيثُ قال ﷻ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة].

(٢) ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العَلق]، وصَدْرُ هذِه السُّورَة جَمعَ الكثيرَ من أدواتِ العِلم كما في البيتِ التالي.

(٣) كليمُ اللَّهِ: نبيُّهُ موسى بنُ عمران ﷺ، وأستاذه: العبدُ الصالحُ الخضر، وحَاوَرَهُ بـ«هَلْ» في قولِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف]، وهي تدلُّ على كمال الأدَب.

(٣٧٦) وَوَقــر المَجْلِـسَ في الــدُّرُوْسِ كأنمَــا الطيْــرُ على الــرُّؤُوْس

(٣٧٧) وَلتنتــبهْ في حِــصَّةِ الدِّرَاسَــة وَاهــتمَّ بالكــتابِ وَالكرَّاســة

(٣٧٨) وَاحْــرِصْ على الــنافع وَالمُفِــيْدِ بــالحِفظِ دَائِمًــا وَبالتقيــيدِ

(٣٧٩) وَاصْــبرْ على مَــرَارَةِ الــتعَلم وَاصْــحَبْ مُعَلمًــا تفــزْ وَلتلـزَم

(٣٨٠) وَاسْــأَلْ وَنـاقِشْ بالحِـوَار وَاتعَـبِ وَاسْــهَرْ وَطالــعْ كتــبا وَقلِّــبِ

(٣٨١) وَاقـرَأ كـذا المَـنظوْمَ[1] وَالمَـنثوْرَا وَشـاهِدِ الأمْــصَارَ وَالعــصُوْرَا

(٣٨٢) وَاسْــتعْمِلِ الجَدِيْــدَ في شــمُولِ كالــنتِّ وَالحَاسـوْبِ وَالمَحْمـوْلِ

(٣٨٣) وَاحْــذرْ تكبُّــرًا على الأقــرَانِ فــالعِلمُ مِــنحَةٌ مِــنَ الــرَّحْمَن

(٣٨٤) تعَلمَــنْ مِـنْ كـلِّ شَـخصٍ[2] وَاسْتفِدْ بقِـصَّةِ الغـرَابِ في دَفـنِ الجَـسَدْ

(٣٨٥) وَابْـغِ عُلـوْمَ الـشَّرْع وَالدُّنـيَا مَعًـا وَليَخـشَعِ القلـبُ وَتـسْكبْ أدْمُعـا

* * *

(١) المَنظوم: الشعر، فكم فيهِ من علوم ومعارفَ وآدابٍ وأخبار، وكم منَ الألفيَّاتِ والمَنظوماتِ والأراجيز التي نظمَهَا العُلماءُ، فحَفِظوا بها الكثيرَ منْ عُلوم الدِّين، كالعَقائدِ والفقهِ واللغةِ وغير ذلك؟ وقد بيَّنتُ حُكمَ الشرع في قرض الشعر، وتعلمِهِ وتعليمه، وحفظِهِ وروايتِهِ، والاستشهَادِ به، وأوضَحْتُ قدرَه ومنافِعَه، وعِناية سَلفِ الأمَّةِ به من الصَّحَابةِ والتابعين، والعلماءِ وآل البيت والوُلاة، في مُقدِّمَةِ كتابي «وُرُودٌ وأزهَار منْ حَدَائق الأشعَار ـ مُعجَم أشعَار الدُّنيا والدِّين ـ»، فليُرجَعْ إليه، والأمصَارُ: البلاد والبقاع.

(٢) من بابِ «الحكمة ضالة المُؤمن، أنى وجَدَهَا فهُو أولى الناس بها»، فابنُ آدَمَ الأولُ قابيلُ، تعلمَ كيفيَّةَ دَفن جسدِ أخيه من الغرَابِ الأسْوَدِ، الذي يُضرَبُ بِهِ المثلُ في التشاؤم!.

الفصلُ الثالثُ والعِشْرُوْن: آدابُ الاسْتِنجاء

(٣٨٦) وَادْخل بيُسْرَاكَ إلى الدِّيْمَاسِ[١] بَعدَ اسْتِعاذةٍ مِنَ الأنجَاسِ

(٣٨٧) لا تصْحَبنْ مَا فِيْهِ ذكرُ المَوْلى فهوَ أجَلُّ قيمةً وَأعلى

(٣٨٨) لا تَجْعَلِ القِبْلةَ شَطرَ وَجْهكا وَسْطَ الفضَاءِ أوْ وَرَاءَ ظهْركا

(٣٨٩) وَجَنبِ اليُمْنى في الاسْتِنجَاءِ فإنها لِلأخذِ وَالعطاءِ

(٣٩٠) وَطهرِ المَحِلَّ[٢] وَالزَمْ صَبْرَا وَقاكَ رَبيْ إنْ دَخلتَ القبرَا

(٣٩١) لا تذكرِ اللَّهَ بذا المَكانِ بالخطِّ أوْ باللفظِ باللسَانِ

(٣٩٢) وَاسْتعْمِلِ اليُمْنىْ إذا خرَجْتا وَاسْتغفِرِ الغفارَ إذ قصَّرتا

(٣٩٣) وَانطِقْ بحَمْدِ اللَّهِ إذ عَافاكا وَأذهبَ المَكرُوْهَ مِنْ أذاكا

(٣٩٤) وَاغسِلْ يَدَيْكَ خشيَةَ الأدْوَاءِ[٣] يُحْببْكَ رَبُّ الأرْضِ وَالسَّمَاءِ

(٣٩٥) وَالبَوْلُ في المِياهِ أوْ في الظلِّ أوْ في طريْقِ الناسِ غيرُ حِلِّ

* * *

(١) الدِّيماس: الحَمَّامُ أو مكانُ الاغتسَال، قالﷺ في صفةِ عيسَىﷺ: («... رَبعَةٌ أحْمر، كأنما خرجَ مِنْ دِيماس». يعني: الحمَّام...) رَواهُ أحْمدُ والبُخاريُّ ومُسلمٌ والترمِذِيُّ. ولما صار مكانُ الاغتسال ومكانُ الاسْتِنجَاء في موضِع واحِدٍ، صَارَتْ كلمة «الدِّيماس» كأنها اسمٌ من أسماءِ أماكن قضاءِ الحاجة، كالحُشِّ والكنيف!.

(٢) طهِّر المَحِلّ: اسْتنج واستنزهْ جيِّدًا، فعَدَمُ الاستِنزاهِ من البول جيِّدًا يتسَبَّبُ في عذابِ القبر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مَرَّ رسولُ اللَّهِﷺ على قبرين، فقال: إنهما يُعذبان، وما يعذبان في كبير، أمَّا هذا فكان لا يستنزهُ من البول، وأمَّا هذا فكان يمشي بالنميمة، ثم دَعَا بعسِيبٍ (العسيب: الجريدة) رطبٍ، فشقه باثنين، ثمَّ غرس على هذا واحدًا، وعلى هذا واحدًا، وقال: «لعله يُخففُ عنهما ما لَم يَيْبَسَا»). رواه أحْمدُ والبخاريُّ ومسلمٌ وأبو دَاودَ ـ واللفظ له ـ والنسائيُّ والترمذيُّ وابنُ ماجه وأبو يعلى وابنُ أبي شيبة.

(٣) خشيَةَ الأدْوَاء: خوفًا من الأمراض، ويُحْببْكَ إشارَة إلى قول المَوْلىﷻ: ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة].

الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُوْنَ: آدَابُ الوُضُوْءِ

(٣٩٦)	بَـسْمِلْ أخِـيْ وَأسْـبغ[١] الوُضُـوْءَا	لِتكتَـسِيْ يَـوْمَ المَعَـادِ ضَـوْءَا
(٣٩٧)	فإنـهُ سِـلاحنا الإيمانِـي	يَحْمِـيْكَ في مَعْـركةِ الـشَّيْطانِ
(٣٩٨)	وَيَمْحَـقُ[٢] الذنـوْبَ وَالخطايـا	وَيَجْعَـلُ القلـوْبَ كالمَـرَايا
(٣٩٩)	تنظِيْفـنا بالمَـاءِ لِلظوَاهِـرِ	يَفـتحُ لِلتطهيْـرِ فِـي الـسَّرَائِرِ
(٤٠٠)	وَاحْـذرْ مِـنَ التبْذِيْـرِطوْلَ الدَّهْـرِ	حَتـىْ وَلـوْ كـنتَ فوَيْـقَ النهْـرِ
(٤٠١)	وَأطِـلِ الغـرَّةَ[٣] وَالتحْجـيلا	وَتـبْ تطهَّـرْ وَاسْـألِ الجَلِـيْلا
(٤٠٢)	وَرَاعِ فِـيْهِ الفـوْرَ وَالتدْلِـيْكا	مُـرَتبًا، بهـذهِ أوْصِـيكا
(٤٠٣)	وَالـزَمْهُ في اللـيْلِ وفي الـنهَار	أخـا إقامـةٍ وفي الأسـفار

* * *

(١) أسبغ الوُضُوء: أتقنهُ وأحسِنهُ، وذلكَ بالإتيان بفرائِضِهِ وسُننِهِ ومُستحَبَّاتِهِ وآدَابه.

(٢) يمحَقُ الذنوبَ: يُزيلهَا ويُكفرُهَا، والمَرَايَا: جَمعُ مِرْآة.

(٣) الغرَّة: بيَاضٌ في جبهةِ الفرَس، والتحْجيلُ: بياضٌ في قوائِمِه، والمعنى: زِدْ في الغسل على المواضِع المطلوب غسلها، لأن اللَّهَ سيجعلُ أماكن الوُضُوءِ منيرة يومَ القيامة، قال ﷺ: «إنَّ أمتي يُدْعَونَ يومَ القيامةِ غرًّا مُحَجَّلينَ من آثار الوضوء، فمَن استطاع منكم أن يُطيلَ غرَّتهُ فليفعل». رواهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ ـ واللفظ لهما ـ وأحمدُ وابنُ حِبانَ وأبو يعلى والطبرانيُّ في «الأوسط».

الفصلُ الخَامِسُ والعِشْرُونَ : آدَابُ الصَّلاة

(٤٠٤) وَاظِبْ على الصَّلاةِ في جَمَاعَة ... وَلتستفِدْ مِنها فنِعْمَ الطاعَة

(٤٠٥) وَاحضُرْ إليْهَا دَائِمًا مُبَكرًا ... وَاطرُدْعَنِ الفؤَادِ أَسْبَابَ الكرَىْ[1]

(٤٠٦) فرُوْحُهَا الخشُوْعُ وَالخضُوْعُ ... وَالخيْرُ عِندَ اللَّهِ لا يَضِيْعُ

(٤٠٧) وَلتعْتدِلْ مُسْتويًا في الصَّفِّ ... وَكنْ وَرَا الإمَامِ لا في الخَلفِ

(٤٠٨) لا تلتفِتْ ناحِيَةَ[2] الغمَامِ ... وَلتلتزِمْ في الفِعْلِ بالإمَامِ

(٤٠٩) وَاطرَحْ وَسَاوسَ اللعِيْنِ جَانِبا ... فذلِكَ الشيْطانُ يُدْعَىْ خِنزبًا

(٤١٠) وَأكمِلِ النقصَ بالاسْتِغفار ... وَاصْبرْ وَلا تعْجَلْ عَنِ الأذكار

(٤١١) وَاسْتفِدِ الترْتِيْبَ وَالنظاما ... وَأحْسِنِ الأفعالَ وَالكلامَا

(٤١٢) فإنَّها تنهَىْ عَنِ الفحْشاءِ ... وَترْفعُ الأخلاقَ للسمَاءِ!

* * *

---

(١) الكرَى: النوم، ونومُ القلبِ: غفلتهُ وعدَمُ الانتباهِ والحُضُور.

(٢) قال النبي ﷺ: «ما بالُ أقوامٍ يَرفعونَ أبصارَهم إلى السماءِ في صلاتِهم؟!»، فاشتدَّ قوله في ذلك، حتى قال: «لينتهُنَّ عن ذلك، أو لتخطفَنَّ أبصارُهم». رواهُ أحْمدُ والبُخاريُّ وأبو داودَ والنسَائيُّ وابنُ أبي شيبة وابنُ خزيمة وابنُ حِبَّانَ وأبو يعلى. ومعنى: ولتلتزم في الفعل بالإمام: لا تسبقهُ ولا تكنْ مُسَاويًا له بل تابعًا، قال ﷺ: «... إنما جُعِلَ الإمامُ لِيُؤتمَّ به، فإذا كبَّرَ فكبِّروا، وإذا سجَدَ فاسجدوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا قال: سمع اللَّهُ لمنْ حَمِدَهُ، فقولوا: ربنا ولك الحمدُ، وإذا صلى قاعدًا فصلوا قعُودًا أجْمعون». رواهُ مالكٌ وأحْمدُ والبُخاريُّ ومسلمٌ ـ بلفظِه ـ وأبو داودَ والنسائيُّ وابنُ مَاجه والترمذِيُّ وابنُ حِبَّانَ والدَّارميُّ.

الفَصْلُ السَّادِسُ وَالعِشْرُوْنَ: آدَابُ الجُمُعَة

(٤١٣) وَخيـرُ أيـامٍ تقـرُّ[١] العيْـنا ... جُمْعَتـنا الـذِي لـهُ اهتدَيْـنا

(٤١٤) فِـيهِ[٢] أبـونا آدمُ قـدْ خلقـا ... وَأدْخـلَ الجـنةَ ثـمَّ رُزقـا

(٤١٥) وَفِـيْهِ حَـتمًا سَـتقوْمُ السَّاعَة ... كمـا أفـادَ صَـاحِبُ الـشفاعَة

(٤١٦) عَلـيْهِ صَـلِّ ثـمَّ سَـلمْ مُكثِـرَا ... في الليْلةِ الزَّهـرَا وَيَـوْمٍ أزْهـرَا

(٤١٧) وَقـصَّ أظفـارَكَ فِـيْهِ وَاغتسِلْ ... وَلا تقـصِّرْ وَتكـنْ مِـمَّنْ كسِلْ

(٤١٨) ثـمَّ تَجَمَّـلْ فِـيهِ مَـا اسْـتطعْتا ... وَمَـسَّ طِيْـبًا طيِّـبًا، رُفعـتا

(٤١٩) وَكلَّمـا بكـرْتَ في الـذهابِ ... لِمَـسْجدٍ أكثـرْتَ مِـنْ ثـوَابِ

(٤٢٠) وَكـنتَ مِـثلَ مَـنْ يُقـرِّبُ[٣] الـنعَمْ ... فـرَحِمَ اللَّـهُ امْـرَءًا لـهُ اغتـنمْ

(٤٢١) حَتـىْ إذا مَـا صَـعدَ الخطِـيْبُ ... انقطَـعَ التبْكِيْـرُ وَالتقـريْبُ

(٤٢٢) وَادْنُ وَأنـصِتْ لاسْـتِمَاعِ الذكـرِ ... جَامِعَـةٌ مَفـتوْحَةٌ! هَـلْ تـدْرِيْ؟

---

(١) قرَّتْ عَينه: سَعِدَ وفرح، قال النبيُّ ﷺ: «نحن الآخرون، السابقون يومَ القيامةِ، بَيْدَ (بَيْدَ: غير) أنهم أوتوا الكتابَ من قبلِنا، ثم هذا يومُهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا اللَّهُ، فالناسُ لنا فيهِ تبعٌ، اليهودُ غدًا، والنصارى بعدَ غد». رواه أحْمدُ والبخاريُّ ومسلمٌ والنسائيُّ وابنُ حِبَّان.

(٢) فيهِ أي: في يوم الجُمعَةِ، قالﷺ: «خيرُ يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة». رواه مالكٌ وأحْمدُ ومسلمٌ ـ بهذا اللفظ ـ وأبو داودَ والنسائيُّ والترمذيُّ والحاكمُ وابنُ خزيمة وابنُ حِبَّان.

(٣) يُقرِّبُ النعَم: يذبحُ الأنعامَ ويتصدَّقُ بها على الفقراءِ تقرُّبًا للَّه، قال رسولُ اللَّهِﷺ: «من اغتسل يومَ الجمعةِ غسلَ الجنابةِ، ثم راحَ في الساعةِ الأولى فكأنما قرَّب بَدَنة، ومَن رَاحَ في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعةِ الثالثةِ فكأنما قرَّب كبشًا أقرَنَ، ومن راح في الساعةِ الرابعةِ فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعةِ الخامسةِ فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمامُ جَلسَتِ الملائكة يستمعونَ الذكر». رواهُ مالكٌ ـ بلفظِه ـ وأحْمدُ والبُخاريُّ وأبو داودَ والنسَائيُّ والترمِذِيُّ وابنُ حِبَّان.

(٤٢٣) وَإنْ عَــلا التكبيــرُ بالــنِدَاءِ — يَحِــقُّ تــرْكُ البَــيعِ وَالــشِّرَاءِ

(٤٢٤) وَاحْــذرْ تَخطــيا رقــابَ الجَمْــع — فالنهْــيُ عَــنهُ جَاءَنــا في الــشَّرْع

(٤٢٥) وَكُــنْ إذا فــرَغتَ[1] مِــمَّن انتــشرْ — وَطلــبَ الفــضْلَ أخــيَّ وَذكــرْ

(٤٢٦) وَلتقــرَأِ الكهْــفَ[2] بــهِ وَلتعْتــصِمْ — مِــنْ فِتــنةِ الــدَّجَّال وَالــنوْرَ اقتــسِمْ

(٤٢٧) وَادْعُ تفــزْ بــسَاعةِ الإجابَــةِ — قــبْلَ الغــرُوْبِ أوْ بــوَقتِ الخُطــبَةِ

* * *

(١) فرَغتَ: انتهَيتَ من صلاةِ الجُمُعة، وانتشَرَ: تفرَّقَ لِطلبِ الرِّزق، يقولُ ربُّنا ﷻ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة].

(٢) قال النبيُّ ﷺ: «من قرأ سورة الكهفِ يومَ الجمعةِ، أضاء له من النور، ما بينَ السماءِ والأرض». رواه الحاكمُ والبيهقيُّ. وقال ﷺ: «منْ قرأ سُورة الكهفِ كما أنزلتْ، كانتْ له نورًا من مقامِهِ إلى مكة، ومنْ قرأ بعشر آياتٍ من آخرها، فخرج الدَّجَّالُ لَم يُسَلط عليه!». رَواهُ النسائِيُّ في «الكبرَى» والحاكمُ.

الفَصْلُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ: آدَابُ العِيدَيْنِ

(٤٢٨) واللَّـهُ أهـدَىْ أمَّتِـيْ عِيْدَينِ ... بَعـدَ قـضَاءِها عِبادَتـينِ

(٤٢٩) صَامُوا كـذا مِـنْ عَـرَفاتٍ رَوَّحُـوا ... بفضْلِ رَبِّـيْ إخوَتِـي فليفـرَحُوا

(٤٣٠) فلتغتسِلْ لِلعِـيْدِ يـا حَبيْبِـي ... وَلتـتجَمَّلْ وَلتـنل مِـنْ طِـيْبِ

(٤٣١) وَكـلْ مِـنَ التمْـر بُعَـيْدَ الفجْـرِ ... إنْ أنـتَ أصْـبَحْتَ بعِيْدِ الفِطـرِ

(٤٣٢) وَأخـر الأكـلَ بعِـيدِ الأضْـحى ... بَعْـدَ الـصَّلا وَكـنْ بهـذا ناصِـحَا

(٤٣٣) وَأخـرجِ الـزَّكاةَ مِـنْ قـبْل الـصَّلا ... إنْ كـنتَ مَـا أخـرَجْتهَا تكاسُـلا

(٤٣٤) وَكبـرَنْ وَوَحـدِ الـدَّيانا ... بكثـرَةٍ لِتخـزيَ الـشَّيْطانا

(٤٣٥) قـدْ كـانَ مَـحْبُوسًـا بـشَهْر الـصَّوْمِ ... وَازْدَادَ غـيْظهُ بـذاكَ الـيوم[1]!

(٤٣٦) وَاخـرُجْ إلى الـصَّلاةِ في الخَـلاءِ ... وَاحـظَ مِـنَ الأمْـلاكِ بالـدُّعاءِ

(٤٣٧) وَلتحْـضُر النـسَاءُ وَالأطفـالُ ... لِيَـشْهَدُوا الخيْـرَ فـذا احْـتِفالُ

(٤٣٨) وَاستَمِع الخُطبَةَ مَنْ بَعْدِ الـصَّلا ... مُنـتفِعًا بالذكـر لا مُـسْتعْجلا

(٤٣٩) وَخالِـفِ الطـريْقَ في الـرُّجوْعِ ... مَلائِـكُ الـرَّحْمَن في جُمُـوْعِ

(٤٤٠) وَلتأخـرْ إنْ تكـنْ مُـضَحيا[2] ... عَـن الإمَـامِ وَلـتكنْ مُقـتدِيا

(٤٤١) وَكـلْ وَهـبْ لِلأهْـل وَالأقـاربِ ... وَمَـنْ يَكـنْ في حَاجَـةٍ وَالـصَّاحِبِ

(٤٤٢) وَهَنـئِ الأحـبابَ وَالإخـوَانا ... «تقـبَّلَ اللَّـهُ» غـدَتْ عُـنوَانا

---

(١) ذاك اليوم هو: يوم الوقوف بعَرَفة، قال ﷺ: «ما رُئِيَ الشيطانُ يومًا، هو فيه أصغرُ، ولا أدحرُ، ولا أحقر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة! وما ذاك إلا لِما يرى فيه من تنزل الرحْمة، وتَجاوُز اللَّه عن الذنوبِ العظام، إلّا ما رأى يومَ بدر، فإنه رأى جبرائيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَزَعُ الملائكة». رواهُ مالكٌ وعبد الرَّزاق والبيهقيُّ في «الشُّعَبِ» وهُوَ حديثٌ مُرسَل.

(٢) تأخرْ في ذبح أضحِيتِكَ حتى يفرُغ الإمامُ من خطبةِ العيد، فهذا هو السُّنة.

(٤٤٣) وَوَسِّعَنْ أخِي على العِيال وَاهتمَّ بالأصْحابِ بَعْدَ الآل

(٤٤٤) وَمَنْ يُزَاولْ[1] لَهوَنا المُبَاحا وَحَسَنَ الغناءِ لا جناحا

* * *

(١) يُزاول لَهونا المُبَاحَا: يُمارس اللهوَ الذي لم يَردْ النهيُ عنهُ في الشرع، وحسنَ الغِناءِ: الأناشيدَ الهادفة بضوابطِهَا الشرعيَّة، والجُناحُ: الإثمُ والذنب.

الفصلُ الثامنُ وَالعِشْرُونَ: آدابُ الذِّكْر

(٤٤٥) وَذِكــرُنا الحــياةُ لِلقلــوْبِ ... وَفِيْهِ إنْ تخلِصْ رضَا المَحْبُوْبِ

(٤٤٦) وَأيْسَرُ الطاعَـاتِ حِيْنَ تذكـرُ ... لكِــنها قــدْرًا أجــلُّ أكبــرُ

(٤٤٧) فاذكــرْهُ يَذكــرْكَ وَهــذا ذخــرُ ... بـالمَلأ الأعْلـى[(١)] وَنعـمَ الفخـرُ

(٤٤٨) فــرَبُّنا أمْلاكــهُ يباهِــيْ ... بذِكــرنا، ففــزْ بذِكــرِ اللَّــهِ

(٤٤٩) بذِكــرهِ القلــوْبُ تطمَــئنُّ ... كــذا تلــينُ بَعْــدَ مــا تَحِــنُّ

(٤٥٠) مَــنْ يَنسَهُ يَـسْتحْوذِ[(٢)] الـشَّيْطانُ ... وَعَيْــشُهُ ضَــنكٌ، لــهُ خــسْرَانُ

(٤٥١) وَيَخْـنِسُ اللعِــيْنُ حِــيْنَ نذكـرُ ... وَتنمَحِــيْ ذنوْبــنا تكفــرُ

(٤٥٢) فــرَطبِ اللــسانَ بالأذكــارِ ... مُكثــرًا باللــيلِ وَالــنهارِ

(٤٥٣) مُهلــلًا[(٣)] مُــسبحًا مُكبــرًا ... وَحَامِــدًا مُحَــوْقلا مُــسْتغفِرًا

(٤٥٤) وَدَارســا وَللقــرَانِ تالِــيا ... على النبــيْ وَآلــهِ مُــصَليا

(٤٥٥) وَإنْ توَضَّــأتَ فقــدْ أحْــسَنتا ... وَاسْــتقبلِ القِــبْلةَ مَــا اسْــتطعْتا

(٤٥٦) وَاذكــرْهُ بالقلــبِ وَباللــسانِ ... مُعَظمًــا وَسَــائِرِ الأرْكــانِ

(٤٥٧) وَاذكــرْهُ مُطلقًــا[(٤)] كــذا مُقــيدَا ... مُــضْطجعًا وَقائِمًــا وَقاعِــدَا

(٤٥٨) في الحَــجِّ وَالــصَّلا وَإنْ جَاهَــدتا ... أوْ آمِــنا أوْ بعــتَ وَاشــتَريتا

(٤٥٩) وَاذكــرْهُ في الــسَّرَّاءِ وَالــضَّرَّاءِ ... في خفــيةٍ وَاحْــذرْ مِــنَ الــرِّياءِ

---

(١) الملأ الأعلى: الملائكة في السماء.

(٢) يستحوذ: يتسلط ويستولي، قال اللَّهُ ﷻ: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩﴾ [المجادلة]، والضنكُ: الضِّيق والشقاء، قال رَبُّنا ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه].

(٣) التهليلُ: قول: لا إلهَ إلا اللَّه، والحَوقلة: قولُ: لا حَولَ ولا قوّة إلا باللَّه.

(٤) الذكرُ المُقيّدُ: الذي حَدَّدَهُ الشرعُ بعَدَدٍ، أو قيَّده بوَقت، والمُطلَقُ: بخلافِ ذلك.

(٤٦٠) وَدُوْنَ جهْرِ وَلتكنْ مُؤَدَّبا فأنتَ لا تدْعُوْ أصَمَّ غائِبا

(٤٦١) وَاذكرْهُ سَاكنا وفي وَقار تعْلوْكَ خشْيَةٌ وَبانكِسار

(٤٦٢) وَليَوْجَلِ[1] القلبُ إذا ذكرْتا وَلتدْمَعِ العَيْنانِ إنْ خلوْتا

* * *

(١) وليَوْجل القلبُ: وَليَخفْ وليَخشَع.

الفَصْلُ التاسِعُ وَالعِشْرُونَ: آدَابُ الدُّعَاء

(٤٦٣) أمـا الـدُّعَا فـالمُخُّ لِلعِـبادَة — فَمَـنْ دَعَـا يَحْـصُلْ على الـسَّعَادَة

(٤٦٤) فـادْعُ يُجِـبْ دُعَـاءَكَ القـريبُ — فَمَـنْ رَجَـا الكـريمَ لا يَخِـيْبُ

(٤٦٥) طيِّـبهُ بالـصَّلاةِ وَالـسلام — على النبـيْ وَآلـهِ الكـرَامِ

(٤٦٦) وَارْفَـعْ يـدَيكَ سَـائِلا مُلِحًّـا[1] — وَاسْـتقبلِ القِـبْلَةَ سِـحَّ سَـحا

(٤٦٧) وَاطلـبْ بجِـدٍّ زَمَـنا مُـبَارَكا — وَكُـنْ لِلاسْـتِعْجَال دَوْمًـا تاركـا

(٤٦٨) وَطـيبِ الأكـلَ تكـنْ مُجَابـا — وفي الـسجوْدِ تـزْدَدِ اقتِـرَابا

(٤٦٩) وَادْعُ مِـنَ الـصَّلاةِ في الأدْبـارِ[2] — وَأكثـر الـدُّعَاءَ في الأسْـحارِ

(٤٧٠) وَادْعُ أخِـي حَـالَ نـزُوْلِ المَطـرِ — وَعِـندَ حَـرْبٍ وَدُعَـا المُـضْطرِّ

(٤٧١) وَادْعُ مُـسَافِرًا وَلْـتدْعُ صَـائِما — وَراقِـدًا وَقاعِـدًا وَقائِمـا

(٤٧٢) وَقـلْ وَكُـنْ مِـنَ الجَـوَابِ مُوْقِـنا: — هَبْـنا الجـنانَ وَمِـنَ الـنار قِـنا

(٤٧٣) فكلُّـنا حَـوْلَهُما[3] نُدَنْـدِنُ — وبهمـا تدْعـو الإلـهَ الألْـسُنُ

(٤٧٤) وَادْعُ بمَـا أتـاكَ في القـرْآن — كـآل عِمْـرَانِ[4] مَـعَ الفـرْقان

---

(١) مُلِحًّا: سائِلًا كثيرًا دونَ مَلَلٍ أو يَأس، وسِحَّ سَحًّا: اسكبِ الدُّمُوعَ بغزارَة.

(٢) الأدبار: جَمعُ دُبُر، وهُوَ: مُؤخرَة الشيء، والمعنى: بعدَ أداءِ الصلاة، والسَّحَرُ: الثلثُ الأخيرُ من الليل.

(٣) حَوْلهما ندَندِنُ: حول هاتين الدَّعوَتين سُؤالُ الجنة، والوقاية من النار نلفُّ في أدعيتِنا، وبهمَا نناجي.

(٤) دُعاءُ سورةِ «آل عمران» مثلُ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران]، ودُعاءُ سُورةِ الفرقان مثل: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان]، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا

=

(٤٧٥) وَكُنْ بما دَعا الرَّسُولُ دَاعِيا ... فالكلِمَ الجَامِعَ كانَ وَاعِيا
(٤٧٦) وَأكثرُ الدُّعا أتى في الثابتِ ... عَنهُ(١): مُقلبَ القلوبِ ثبِّتِ
(٤٧٧) وَجاء أيضًا(٢): آتنا يا ربنا ... إحْسَانكَ العَمِيْمَ ثَمَّ مَعْ هُنا
(٤٧٨) وَلتجْعَلِ الدُّعَاءَ دَوْما جَامِعَا ... وَاسْمَعْ نبيَّ اللَّهِ نوْحًا(٣) إذ دَعَا
(٤٧٩) وَادْعُ بظهْرِ الغيْبِ لِلإخوَان ... تنلْ دُعا مَلائِكِ الرَّحْمَن

* * *

= وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفرقان].

(١) عن شَهْر بن حَوشب قال: (قلتُ لأمِّ سلمة: يا أمَّ المؤمنينَ، ما كان أكثر دعاءِ رسول اللَّهِ ﷺ إذا كان عندَكِ؟ قالت: كان أكثر دعائِه: «يا مقلِّبَ القلوبِ، ثبتْ قلبي على دينِك»، قالت: قلتُ: يا رسولَ اللَّه، ما أكثرَ دعاءَكَ: يا مُقلبَ القلوب، ثبِّتْ قلبي على دينك! قال: «يا أمَّ سلمة، إنه ليس آدميٌّ إلا وقلبُه بين إصبعين من أصابع اللَّه، فمَنْ شاءَ أقامَ ومَنْ شاءَ أزاغ»). رواهُ أحْمدُ والترمذيُّ ـ واللفظ له ـ وابنُ أبي شيبة وأبو يعلى والطبرانيُّ في «الأوسط».

(٢) فيما رَواهُ أحْمدُ والبُخاريُّ ـ بلفظِه ـ ومسلمٌ وأبو داودَ والنسائيُّ وابنُ حِبَّان وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال: (كان أكثر دُعاءِ النبيِّ ﷺ: «اللهُمَّ ربَّنا آتِنا في الدنيا حسنة، وفي الآخِرَةِ حسَنة وقنا عذابَ النار»)، وثمَّ: هناك.

(٣) فقد دعَا قائِلًا: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح].

الفصلُ الثلاثونَ: آدابُ الزَّكاةِ وَالصَّدَقة

(٤٨٠)	أدِّ الــزَّكاةَ مُخلــصًا مُــصَدِّقا	فاللَّـهُ يَجْـزِيْ الخيْـرَ مَـنْ تـصَدَّقا
(٤٨١)	وَبالــزَّكاةِ حَــصِّنوا أمْــوَالكمْ	وَأنْ تــصَدَّقوا يكــنْ خيْــرًا لكــمْ
(٤٨٢)	مَــنْ يُـوْقَ شُـحَّ نفـسهِ فمُفلِـحُ	وَمَــنْ يُتاجِــرْ بالــسخاءِ رَابــحُ
(٤٨٣)	يَدْعُـو لـهُ المَـلاكُ وَقـتَ الفلقِ[1]:	يــا رَبِّ أعْــطِ خلفــا لِلمُــنفِقِ
(٤٨٤)	يُـبْعَثُ يَمْـشِيْ تَحْـتَ ظِـلِّ الصَّدَقة	وَفـوْقَ خلـق اللَّـهِ شَمْسٌ مُـحْرقة!
(٤٨٥)	وَالمَــالُ مَــالُ رَبــنا، وَالخلــقُ	مُــسْتخلفوْنَ فِــيْه، فِــيْهِ حــقُّ
(٤٨٦)	وَلتــصْرفِ الــزَّكاةَ فِـي الثمَـانِـية	في سُــوْرَةِ الــتوْبَةِ[2] حَقــا دَانِـيَة
(٤٨٧)	تَحَـــرَّ مَــــنْ تعْطِـــيْ لِتطمَئِـــنا	بـ«فِيْمَ» مَسْؤُوْلٌ كذا «مِنْ أيْنا»[3]؟
(٤٨٨)	وَخــالِصَ المَــالِ حَــلالا قــرِّبِ	فاللَّـــهُ لا يَقــبَلُ غيْــرَ الطــيبِ
(٤٨٩)	وَأخْــفِ مَــا تــنفِقهُ ليُقــبَلا	لا سُــمْعَةً وَلا ريــاءً، ذا بــلا
(٤٩٠)	مَــن سَترَتْ يُمْــناهُ عَــنْ شِـمَالِهِ	أظِـلَّ تَحْــتَ العَـرْش في ظِلالـهِ
(٤٩١)	فالـصَّحْبُ[4] مُخْلِـصِيْنَ خيْرًا نالوا	عَـــنْ مُـــدِّهِمْ تقــصُرُ الجِــبَالُ!

---

(١) الفلق: الصُّبح.

(٢) مَصَارِفُ الزكاةِ الثمانيَة في قول اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة].

(٣) سوفَ يُسأَلُ الإنسَانُ يومَ القيامةِ عن مَالِهِ، بـ«من أينَ اكتسَبْتهُ؟ وَفِيْمَ أنفقته؟»، كما وَرَدَ عن النبيِّ ﷺ.

(٤) الصَّحْبُ: أصحَابُ النبيِّ ﷺ، والبيتُ يُشِيرُ إلى قول النبيِّ ﷺ: «لا تسُبُّوا أصحابي، فلو أن أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا، ما بلغ مُدَّ أحدِهِم ولا نصِيْفه». رواهُ البخاريُّ وأبو داود ـ بهذا اللفظ ـ وأحْمد ومسلمٌ والترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجه وابنُ أبي شيبة وأبو يعلى والطبرانيُّ في «الأوسط» و«الصَّغير».

(٤٩٢) فاسْـعَ إلى اللَّـهِ برَمْـي الأسْـهُم فـدِرْهمٌ يَـسبقُ ألـفَ دِرْهَـم
(٤٩٣) وَاجهَـرْ إذا أمِـنتَ مِـن ريـاءِ حَتـى تَحُـثهُمْ على العطـاءِ
(٤٩٤) لا تَحْتقِـرْ شَـيْئا وَلـو صَـغِيْرًا يَـصِيْرُ عـندَ رَبـنا كبيـرًا
(٤٩٥) وَهُـشَّ[1] لِلفقِيْـر وَاحْـذرْ كبْـرًا فأنـتَ مُـحْـتاجٌ تـريْدُ الأجـرَا
(٤٩٦) لا تتـصَدَّقْ طالـبا مُقـابلا إنْ عـاجلاً بَغيْـتهُ أوْ آجـلا
(٤٩٧) لا تتـبعِ[2] الإنفـاقَ مِـنكَ مَـنا وَلا أذى وَادْعُ: ﴿تَقَبَّلۡ مِنَّآ﴾
(٤٩٨) لا تنهَـرِ الـسَّائلَ وَالمَلهُـوْفا وَادْعُ أخِـيْ وَقـل لهُـمْ مَعْـرُوْفا

* * *

(١) هُشَّ للفقير: تبسَّمْ في وجهه وافرَحْ بلِقاءِه، ولا تقابلهُ بعُبُوس وتقطِيب، فأنت مُحتاجٌ إلى الآخِرَةِ حينَ تعطيهِ، أكثرَ من احتياجهِ للدنيا حينَ يأخذ منك، ورُبَّ فقير أعطيته اليومَ، كان سببًا في دُخولِكَ الجنة غدًا.

(٢) الإتبَاعُ: أنْ تجعَلَ الشَّيءَ وراءَ الشيءِ أو بَعْدَه، والمَنُّ: أن تعَايرَ الفقيرَ بما أعطيته، ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة].

الفصلُ الحَادِي وَالثلاثونَ: آدابُ الصَّوْمِ

(٤٩٩)	وَصُمْ فَرَوْضُ[(١)] الصَّوْمِ مُسْتطابُ	وَفِيهِ حقًّا تَحْسُنُ الآدَابُ
(٥٠٠)	فغايَةُ الغايَاتِ مِنهُ التقوَىْ	وَالرُّوْحُ وَالإيْمَانُ فِيهِ أقوَىْ
(٥٠١)	وَهْوَ كمَا قالَ النبيُّ جُنةْ[(٢)]	وَشافِعٌ يُوْصِلنا لِلجنةْ
(٥٠٢)	فلتسْتعِنْ بأكلةِ الأسْحَار	وَاعْجَلْ إذا أمْسَيْتَ بالإفطار
(٥٠٣)	وَأكثِر الدُّعَاءَ وَقتَ الصَّوْمِ	وَازْدَدْ مِنَ الطاعَاتِ كلَّ يَوْمِ
(٥٠٤)	وَاتلُ كِتابَ اللَّهِ تزْدَدْ عَزْمَا	وَاكبَحْ بِهِ النفسَ وَلازمْ حَزْمَا
(٥٠٥)	وَالرُّوْحَ صَفِّ وَلإبْلِيْسَ اسْتعِدّ	وَطبِّق التدْبيْرَ فِيْهِ وَاقتصِدْ
(٥٠٦)	وَرَقق القلبَ على الفقِيْر	وَلتنأ[(٣)] عَنْ بُخلِ وَعَنْ تقتِيْر
(٥٠٧)	قدْوَتنا رَسُوْلنا مِسْكُ الخِتامْ	أجْوَدُ مَا يَكوْنُ في شَهْرِ الصِّيَامْ
(٥٠٨)	وَلتحْذر الزُّوْرَ[(٤)] كذا اللجَاجَة	فليْسَ للَّهِ بصَوْمِ حاجَة!
(٥٠٩)	وَفِيْهِ لاترْفثْ[(٥)] وَلا تصْخَبْ وَكنْ	عَنْ كلِّ شَرٍّ نائِيًا وَالسَّمْعَ صُنْ

* * *

---

(١) الرَّوضُ: البُستانُ أو الحدِيقة.

(٢) الجُنة: الحِماية والوقاية، والمعنى: حِماية لِصَاحبه من الذنوبِ والمعَاصِي.

(٣) وَلتنأ: ولتترُكْ ولتبتعِدْ، والتقتير: التضييق في الإنفاق.

(٤) الزُورُ: الكذبُ والباطلُ، أو شهادة الباطل، واللجَاجَة: التمادِي والاستمرَارُ في الخصُومَة والمُعَارَضَة.

(٥) الرَّفثُ: الكلامُ عن الجماع والنساء، والصَّخبُ: الصِّياحُ والجَلبَة وشِدَّة الصَّوتِ واختِلاطه، ونائيًا: مُبتعِدًا، وَصُنْ: احفظ.

الفصلُ الثاني وَالثلاثوْنَ: آدَابُ الحجِّ

(٥١٠) وَحَجُّنا عِبادةٌ في العُمُر ... وَهْوَ لنا مِسْكُ خِتامِ الأَمْرِ

(٥١١) فانشَطْ لهُ إنْ كنتَ مُستطِيْعَا ... مالا وَجِسْما آمِنا جَميعَا

(٥١٢) وَجهزِ الزَّادَ مِنَ الحلالِ ... فغيْرُ مَقبوْل خبيْثُ المالِ

(٥١٣) وَاذكرْ إذا عَلوْتَ فوْقَ الرَّاحِلة[1] ... أنفسَنا حِيْنَ تكوْنُ رَاحلة

(٥١٤) وَاذكرْ أخِي البَرْزَخَ[2] بالمِيْقاتِ ... بَينَ الحَياةِ هذِهِ وَالآتِي

(٥١٥) وَالغسْلَ[3] وَالطيْبَ إذا أحْرَمْتَا ... وَاذكرْ مَلابسًا بها كفنتَا

(٥١٦) بالقلبِ وَاللسَان كنْ مُلبِّيا[4] ... مُذَّكرًا يوْمَ تجيْبُ الدَّاعِيا

(٥١٧) وَطفْ وَكنْ في غايَةِ الخُشُوْعِ ... كمْ بالسَّمَا مَنْ طافَ في جُمُوْعِ ؟

(٥١٨) وَارْتو مِنْ زَمْزَمَ وَادْعُ رَبّكا ... وَقمْ كما الخلِيْلُ قامَ قبْلكا

(٥١٩) بَيْنَ الصَّفا وَالمَرْوَةِ اسْعَ جَاهِدَا ... وَكنْ على أمِّ الذبيْحِ[5] شَاهِدَا

(٥٢٠) وَاذكرْ بهِ تأرْجُحَ[6] المِيْزَان ... بطاعَةٍ وَمَا جناهُ الجَانِيْ

(٥٢١) وَاذكرْ أخِيْ بالمَوْقِفِ المَهيْبِ ... يَوْما بهِ تدْنوْ مِنَ اللهيْبِ

---

(١) الرَّاحِلة: الدَّابَّة التي تركب، وتسُدُّ مَسَدَّها المواصَلاتُ الحديثة، ورَاحِلة أي: ذاهِبة عن الدُّنيا.

(٢) البَرْزَخ: عالَمُ القبُور، والميقاتُ: المكانُ الذي يُحْرَمُ منه، والآتي: الدَّارُ الآخِرَة.

(٣) والغسْلَ والطيْبَ: مفعُولان لِفعلين مَحذوفين، والتقدِيرُ: أدِّ الغسْلَ، وَمَسَّ الطيْبَ.

(٤) التلبية: قولُ: لبَّيكَ اللهُمَّ لبَّيك...، وإجابة الدَّاعِي تكونُ بعدَ البعث، للانطلاق إلى المَحشَر، قال رَبُّنا ﷻ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [طه: ١٠٨].

(٥) الذبيحُ: نبيُّ اللهِ إسماعيلُ ﷺ، وأمُّهُ: السَّيِّدَة هاجَرُ عليها السلام.

(٦) تأرجُحُ المِيزان: تحرُّكه واضطِرَابُهُ قبلَ أن يثبُت ويستقِرّ، وما جَناهُ الجاني أي: الذنوبُ والسيِّئات.

(٥٢٢) وَلتَستفدْ توَاضُعا وَوَحدَة أوْجَدَها اللَّهُ تعَالىْ وَحدَهْ

(٥٢٣) أبْيضُهمْ أسْوَدُهمْ تَجمَّعوا يَدْعُوْنَ رَبا وَالعُيوْنُ تدْمَعُ

(٥٢٤) وَاذكرْ إذا رَمَيتَ بالجمَار عداوَةَ الشيْطان لِلأخيار

(٥٢٥) فإنْ حَجَجْتَ تاركا كلَّ جدَالْ وَرَفثٍ مَعْ فِسْقِهم في كلِّ حالْ

(٥٢٦) مِنْ كلِّ ذنبٍ يَا أخِيْ رَجَعْتا مُطهرًا كيوْمِ أنْ وُلدْتا !

❋ ❋ ❋

الفصلُ الثالثُ والثلاثونَ: آدابُ الأكل

(٥٢٧) وَاغسِلْ يَدَيْكَ ثمَّ سَمِّ رَبَّكا إذا أرَدْتَ أنْ تنالَ أكلكا

(٥٢٨) وَانتقِهِ مِنَ الحَلالِ الطيبِ وَاجْلِسْ على طريْقةِ[1] المُؤَدِّبِ

(٥٢٩) وَكلْ بيُمْناكَ وَنحِّ اليُسْرَى وَالنفخُ في الأكلِ يَجُرُّ الضُّرَّا

(٥٣٠) وَلا تنلْ إلا الذِيْ يَليكا وَلا تعبْ أكلا أتى إليكا

(٥٣١) لا تَمْلأ المِعْدَةَ بالطعام فالثلثُ كافٍ لأوْلِي الأفهام

(٥٣٢) وَعِبرَةُ الغذاءِ بالإفادَة لا كثرَةٍ، فلتحْذر الزِّيادَة

(٥٣٣) قدْ أثبَتَ العِلمُ بأنَّ البطنة[2] تذهِبُ عَنْ عَقلِ الأكوْلِ الفِطنة

(٥٣٤) وَأجدِ المَضغَ وَصَغرِ اللقمْ شفاكَ رَبِّيْ مُذهِبا عَنكَ السَّقمْ

(٥٣٥) وَلا يَعِيْبُ الشرْعُ مَنْ تكلمَا على الطعَامِ مُوْصِيا مُعَلما

(٥٣٦) وَليَنظرِ الإنسَانُ في طعَامِهِ وَليَحْمَدِ المَوْلى على إنعَامِهِ

(٥٣٧) وَليَغسِلِ اليَدَيْنِ غسْلا جَيِّدًا وَالفمَ وَليَحْذرْ كذا مِنْ كلِّ دَا

* * *

(١) طريقة المُؤَدِّب: طريقة النبيِّ الأعظم ﷺ في الجُلوس، وهي: أن ينصِبَ الآكِلُ رجلهُ اليُمنى، ويجعلَ قدمَهُ اليُسرَى تحتَ إليَتِهِ اليُسرَى، وبهذا تكونُ المَعِدَة مُطبَّقةً، لا ينفتحُ منها إلا ثلثهَا! وهُو المطلوب.

(٢) البطنة: امتِلاءُ البَطن بالطعَام، والفِطنةُ: الذكاءُ وحُسنُ التفكير.

الفصلُ الرَّابعُ وَالثلاثوْنَ : آدابُ الشرْب

(٥٣٨) وَاشْرَبْ بيُمْناكَ وَكنْ مُسَمِّيا هنأكَ اللَّهُ وَكانَ شافِيا

(٥٣٩) وَبرِّدِ الماءَ إذا أرَدْتا وَحبَّذا الإناءَ لوْ نظفتا

(٥٤٠) وَاجْلِسْ إذا شَربْتَ فِعْلا دَائِمَا وَلا عَليْكَ إنْ شَربْتَ قائِمَا

(٥٤١) وَلتبْتعِدْ عَنْ ثلمَةِ الإناءِ وَانظرْ بعَيْنيْكَ تِجَاهَ السَّماءِ

(٥٤٢) مُفكرًا في كلِّ حَيٍّ[1] قد خلقْ رَبِّيْ فمِنهُ أصْلهُ حَتى العَلقْ

(٥٤٣) وَاذكرْ إذِ المَوْلىْ لنا قدْ صَبَّا[2] وَمُصَّهُ مَصًا وَليسَ عبَّا

(٥٤٤) وَاحْذرْ مِنَ النفخ فذا يَجُرُّ عَليكَ أوْ غيْركَ ما يضرُّ

(٥٤٥) وَلا تنفسْ يا أخِيْ في الماءِ وَاشْرَبْ ثلاثا خشْيَةَ الأدْوَاءِ

(٥٤٦) قللْ وَكنْ بثلثٍ مُسْتكِفيا وَلتحْمَدِ المُنعِمَ حَمْدًا وَافِيا

(٥٤٧) فهْوَ الَّذِيْ أنزَلهُ برَحْمَتهْ وَأهلُ نار حُرمُوا بنِقمَتِهْ

(٥٤٨) وَناول المَاءَ لمُسْتعِيْنِكا وَأعْطِهِ الجَالِسَ عَنْ يَمِيْنِكا

(٥٤٩) وَأوْكِئِ[3] السِّقاءَ إنْ فرَغتا مُسَمِّيًا وَانشَطْ إذا رَغِبْتا

* * *

(١) أشَرْتُ إلى قول الحَقِّ ﷻ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء]، العَلَقُ: جَمعُ عَلَقة، وهيَ: ما خلِق الإنسانُ منها، وقد تحَوَّلتْ عن الماءِ المَهين أو الدَّافق.

(٢) صَبُّ الماءِ: سَكبُه وإراقته، وإذ صَبًا: أنزلهُ من السماءِ، وفي التنزيل: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ [عبس]، والعَبُّ: الشربُ من غير مَصٍّ، أو من غير أن يتنفسَ، أو يَصُبَّهُ في الجَوفِ مَرَّة واحدة.

(٣) أوكأ: رَبَط، والسِّقاءُ: ما يُوضَعُ فيه الماءُ ونحوُه، وقد يُربَط كالقِرْبَةِ، وقد يُغلقُ أو يُغطى.

الفصلُ الخامسُ والثلاثونَ: آدابُ اللباس

(٥٥٠) قدْ أنزَلَ اللَّهُ لنا لباسَا يَستُرُنا[١] يَمْنعُ عَنا الباسا
(٥٥١) فاشْتر مِنْ حِلٍّ إذا اكتسَيتا وَاذكرْ مُسَمِّيا إذا ارْتدَيتا
(٥٥٢) وَاحْمَدْ إذا جَدَّدتَ مَنْ كسَانا بالحوْل وَالقوَّةِ قدْ قوَّانا
(٥٥٣) وَباليَمِينِ ابْدَأ إذا لبسْتا وَبالشمَال ابدَأ إذا خلعْتا
(٥٥٤) وَاهْتمَّ بالبياض فِي الثيَابِ وَلا تزدْ طوْلاً إلى الأعقابِ[٢]
(٥٥٥) وَسَترُكَ العَوْرَةَ أمْرٌ وَاجبُ وَالدِّيْنُ في حُسْن الثيَابِ رَاغبُ
(٥٥٦) وَاحْذرْ مِنَ الإسْرَافِ[٣] وَالمَخِيْلة أوْ شُهْرَةٍ أوْ لبْسةٍ دَخِيْلة
(٥٥٧) وَاحْذرْ تشَبها[٤] فغيْرُ زَيْن وَذاكَ مَلعُوْنٌ مِنَ الجنسَين
(٥٥٨) وَالثوْبُ وَالسِّرْوَالُ وَالعِمَامَة لِلمُصْطفىْ وَصَحْبِهِ علامَة
(٥٥٩) وَلترْتدِ المَرْأةُ ثوْبًا سَاتِرَا لا ضَيِّقا، عَنْ سَترهَا مُقصِّرَا
(٥٦٠) بَلْ تلبَسُ الفضْفاضَ[٥] وَالطويْلا وَلا يَشِفُّ جِسْمَهَا الجَمِيلا

---

(١) يَسْتُرُنا: يُغطينا فلا تنكشِفُ عَورَاتنا، الباس: ما يُؤذي كالحرِّ والبرد وغيرهما، وفي القرآن: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ...﴾ (الأعراف: ٢٦)، وفيه: ﴿... وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [النحل: ٨١].

(٢) قال ﷺ: «البسُوا مِنْ ثِيابكمُ البياضَ، فإنها خيرُ ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم». رواهُ أحمدُ وأبو داود والترمذيُّ ـ واللفظ لهما ـ والنسائيُّ وابنُ مَاجه وابنُ حِبان. الأعقابُ: جمعُ عَقِب، وهو مؤخر القدَم من الرِّجل، وفوقهما الكعبان، وهما العظمان البارزان، اللذان نغسلُ الرجلين إليهما. والمعنى: ألا تزيد الثيابُ عن الكعبين فتصل إلى العقبين.

(٣) الإسرافُ: التبذير، والمخيلة: التكبرُ والافتخارُ والزَّهو، ولبسَة دَخيلة أي: تكونُ شِعَارًا لغير المُسلمين.

(٤) التشَبُّهُ هنا: تشبُّهُ الرِّجال بالنساء والعكس، وفي الحديثِ: «لعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ المتشبهينَ من الرجال بالنساءِ، والمُتشبهاتِ من النساءِ بالرجال». رَواهُ البُخاريُّ وأبو داودَ والترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجه وابنُ أبي شيبة.

(٥) الفضفاضُ: الواسِعُ غيرُ الضَّيِّق، ولا يَشِفّ: ولا يكنْ خفيفًا يصِفُ ما تحته.

(٥٦١) وَلْــتكنِ الثــيَابُ لَــوْنا خافِــتا لا فاتِــنا لِمَــنْ يَــرَىْ أَوْ لافــتا

(٥٦٢) وَلْــتخفِ مِــنْ زِيْنــتِها المَــسْتوْرَا كــذاكَ رِيْحًــا طيــبا مَنــشوْرَا

(٥٦٣) عَــنْ غيْــر مَحــرَمٍ لهــا وَزَوْجهَــا فجَائــزٌ إنْ كــانَ ذا في بَيْــتهَا

❊ ❊ ❊

الفصلُ السَّادِسُ وَالثلاثُونَ: آدابُ الجمَاع

(٥٦٤) وَشَهْوَةُ الجمَاعِ أمْرٌ فِطريْ ... كأنها السَّوْطُ وَنحْنُ نجْريْ!
(٥٦٥) غريزَةٌ أوْدَعَها إلَهُنا ... لِنعْمُرَ الكوْنَ وَيَبْقىْ نسْلنا
(٥٦٦) وَالشَّرْعُ عَمَّا فِيْهِ ضُرٌّ يَمْنعُكْ ... فاطلبْ مِنَ الحَلال مَا يُمَتعُكْ
(٥٦٧) وَهوَ عَليْنا حَرَّمَ الترَهْبُنا ... وَالبُضْعُ[1] فِيْهِ صَدَقَاتٌ حَسْبُنا
(٥٦٨) وَعِندَنا الجمَاعُ حقًّا فنٌّ ... وَعِلمهُ[2] فرْضٌ وَقدْ يُسنُّ!
(٥٦٩) كمْ وَقعَ الأزْوَاجُ في الطلاق ... إذ جهلوا ثقافةَ التلاقِيْ؟
(٥٧٠) فاهْتمَّ بالزِّيْنةِ يا حِبيْبِيْ ... وَكمْ أثارَ المَرْءَ شَمُّ الطيْبِ؟
(٥٧١) وَقدِّم الحُبَّ وَكلَّ أُنس ... بغمْزَةٍ وَقبْلةٍ وَلمْس
(٥٧٢) وَحَرِّكِ الشُّعُوْرَ وَاحْظَ بالمُنىْ ... نبيُّنا[3] مَصَّ لسَانَ أمِّنا!
(٥٧٣) وَادْعُ بـ: جَنبْ رَبَّنا شَيْطاننا ... وَجَنبِ الشيْطانَ مَا رَزَقتنا
(٥٧٤) وَلا جُناحَ إنْ كشَفتَ عورَتكْ ... فِيْهِ وَغُسْل أوْ كشَفتَ زَوْجَتكْ

---

(١) الترَهبُنُ والرَّهبانيَّة: تركُ الزَّواج، وقال ﷺ: «... أما واللَّهِ إني لأخشاكم للَّهِ وأتقاكم له، لكني أصومُ وأفطِرُ، وأصلي وأرقدُ، وأتزوجُ النساءَ، فمنْ رغب عن سنتي فليس مني». رواهُ أحْمدُ والبُخاريُّ ـ بلفظِه ـ ومُسلم والنسائيُّ. والبُضعُ والبضَاعُ والمُباضَعَة: الجمَاعُ، وكذلِكَ النكاحُ والوَطءُ والوقاعُ والمُبَاشَرَة والتلاقِي، والبيتُ يُشِيرُ إلى قول النبيِّ ﷺ: «... وأمرٌ بالمعروفِ صدقة، ونَهْيٌ عن منكر صدقة، وفي بُضع أحدِكم صدقة»، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، أيأتي أحدُنا شهوته ويكونُ لهُ فيها أجرٌ!؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر». رواهُ أحْمدُ ومُسلمٌ وابنُ ماجه والبزَّار. وحَسْبُنا: كافينا.

(٢) أمورُ الجماع ومُقدِّماته بعضُها فرائضُ، وبعضُهَا سُنن، فما لا يُتوَصَّلُ إلى الفرض إلا به فهُوَ فرض، فمن الفرائض أنْ يُعِفَّ كلٌّ من الزوجين صاحبَه، وتركُ الحرام واجبٌ، فمعرفة حُرمةِ الجماع في الدبر أو وقتَ الحيض أمرٌ واجب، وهكذا.

(٣) فعن عائشة رضي الله عنها «أن النبيَّ ﷺ كان يُقبِّلها وهو صائم، ويَمُصُّ لسانَها». رَواهُ أحْمدُ وأبو داود والبيهقي في «السنن».

(٥٧٥)	وَلا تـزلْ بكـارَةً[١] بالإصْـبع	فغيْـرُهُ أوْلـى بهـذا المَوْضِـع
(٥٧٦)	وَجَامعَـنهَا مُقـبلاً وَمُدْبـرَا	مُـجْتنِـبا حَيْـضَتها وَالدُّبـرَا
(٥٧٧)	﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[٢] أتتـنا	وَحَـرْثنا نأتِـيْهِ كـيْفَ شِـئنا
(٥٧٨)	وَلا تقـضِّ حَاجـةً مُنفـرِدَا[٣]	عَجْـلانَ بَـلْ أمْهـلْ وَكـنْ مُـجْتهدَا
(٥٧٩)	حَتـىْ إذا حظـيْكمَا أخـذتُما	فخِـرْقةً[٤] بهـا أمِـيْطا عَـنكمـا
(٥٨٠)	وَلتتوَضَّـأ إنْ أرَدْتَ العـوْدَةْ	تُجَـدِّدِ النـشَاطَ، تغـنمْ جـوْدَةْ
(٥٨١)	وَعَجِّـلِ الغـسْلَ فـإنْ كـسِلتما	فـنمْ على الوُضُـوْءِ إنْ غـسَلتا
(٥٨٢)	وَإنْ رَأيـتَ امْـرَأةً وَاشْـتقتا	وَجـئتَ حـلاً طيـبا أفقـتا
(٥٨٣)	فلتنتـبهْ لِلـدَّرْسِ كـلُّ مُؤمِـنة	لِـتحْفظَ الـزَّوْجَ وَتبْقـىْ آمِـنة
(٥٨٤)	وَلا تَهِـمْ[٥] بما يقـالُ عـنهُ:	يَـزِيْدُ في النـشاطِ وَاحْـذرْ مِـنهُ
(٥٨٥)	فـرَاحَة الأنفـسِ فـيهِ كافـيَة	وَهِمـةٌ مَـعَ الغِـذا وَالعَافـية
(٥٨٦)	وَعَـدَدُ المـرَّاتِ[٦] أمْـرٌ نِـسْبي	لِفطـرَةٍ أوْ صِـحَّةٍ أوْ شـيْبِ

(١) لا يَحِلُّ إزالة غِشَاءِ البكارَةِ بالإصبع أو نحوه، ولكنْ يُفضُّ بعُضو الذكورة، فالإزالة بالإصبع فضلًا عنْ أنها عَادَة وَحْشِيَّةٌ، فهيَ كما يقولُ الأطبَّاءُ رُبَّما تتسَبَّبُ في العُقم! ولكنْ قد يَحتاجُ أمرُ الإزالةِ لِلضَّرُورَةِ إلى طبيبةٍ، في بعض أنواع الأغشِيَةِ، كالغِشَاءِ المَطاطيِّ ونحوه.

(٢) ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ...﴾ [البقرة: ٢٢٣].

(٣) فعن أنس بن مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا جامع أحدُكم أهله فليصدُقها، ثم إذا قضى حاجته قبلَ أن تقضيَ حاجتها، فلا يُعْجلها حتى تقضيَ حاجتها». أبو يعلى - وهذا لفظه - وعبدالرزاق.

(٤) فعن عائشة ﷺ قالت: «ينبغي للمرأةِ إذا كانت عاقلة أن تتخذ خِرقة، فإذا جامعَها زوجُها ناولته، فيمسحُ عنه، ثم تمسحُ عنها». رواهُ ابنُ خزيمة والبيهقي في «السنن» وهذا لفظه.

(٥) ولا تَهِمْ: ولا يتعَلقْ قلبُكَ بالمُنشطاتِ والمُقوِّيات، فإنه ينفعُ ذوي حالاتٍ خاصَّة، وضَرَرُهُ أكثرُ من نفعِه.

(٦) ليس لِعَدَدِ مرَّاتِ الجماع في الشرع حَدٌّ مُعَيَّنٌ، وهو يرجعُ إلى الفِطرَةِ قوَّة وضعفا، أو لِلشخص صحَّة ومرضًا، أو لِلعُمُر صِغرًا وكبَرا، وخيرُهُ التوسُّط وعدَمُ الإكثار، كما سيأتي بعدَ بيتٍ، قال =

(٥٨٧) وَلا جمـاعَ في طـوًى[1] أوْ شِـبَع أوْ حـزَنٍ أوْ وَهـنٍ أوْ وَجـع

(٥٨٨) وَقلـلِ الجمَـاعَ وَاحْـذرْ ضُـرَّا وَبَعـدَهُ لا تفـشِ مِـنهُ الـسِّرَّا

* * *

= الإمامُ القحطاني رَحِمَهُ اللهُ :

لا تكثرَنَّ مِـنَ الجمَـاعِ فإنهُ يَكسُو الوُجُوهَ بحُلةِ اليَرَقانِ

وكما قيل:

واحْفظْ مَنِيَّكَ مَا اسْتطعْتَ فإنهُ مَاءُ الحَيَـاةِ يُصَبُّ في الأرْحـام

(١) الطوَى: الجُوعُ الشَّديدُ، والوَهَنُ: الضَّعْف.

الفصلُ السَّابعُ وَالثلاثونَ: آدابُ العُطاس

(٥٨٩)	وَرَبُّنا الرَّحْمَنُ سَوَّى[1] الناسَا	يُحِبُّ مِنْ عبادِهِ العُطاسَا
(٥٩٠)	فهْوَ دَليلُ خِفةِ الأبدَانِ	وَعِندَهُ النشاطُ مِنا دَان
(٥٩١)	فلا تبَالِغْ في العُطاسِ رَافِعَا	صَوْتكَ، وَاسْترْ[2] لِيَكوْنَ مَانِعَا
(٥٩٢)	لا تلْوِ فِيْهِ الرَّأسَ أيَّ ناحِيةْ	فاللّيُّ يُؤْذِيْكَ، رُزِقتَ العَافِيَةْ
(٥٩٣)	وَلْتحْمَدِ اللَّهَ إذا عَطستا	وَحَبذا بالحَمدِ لَوْ رَفعْتا
(٥٩٤)	أمَّا مُصَليا ففِي السِّرِّ احْمَدِ	أوْ أخرْنهُ بَعْدُ وَارْكعْ وَاسْجدِ
(٥٩٥)	وَكلُّ مَنْ يَسْمعُهُ يُشمتهْ	يَرْحَمكَ اللَّهُ، فهَذِيْ نِعْمَته
(٥٩٦)	لِيَحْصُلَ التألِيْفُ وَالمَوَدَّة	فترْتدِي الأمةُ ثوْبَ الشِّدَّة
(٥٩٧)	وَلْيكن التشْمِيْتُ حِيْنَ يَسْكنُ	مِنْ عَطسِهِ العاطِسُ فهْوَ آمَنُ
(٥٩٨)	وَقلْ لهُ إنْ كنتَ ما سَمِعْتهُ:	رُحِمْتَ إنْ كنتَ أخِيْ حَمِدْتهُ
(٥٩٩)	وَمَنْ يَزدْ مُرَبعًا[3] عُطاسا:	فأنتَ مَزْكوْمٌ وُقِيتَ باسا
(٦٠٠)	وَقلْ إذا شَمَّتَ غيْرَ المُسْلِم:	يَهْدِيْكمُ اللَّهُ، فأسْلِمْ تسْلم
(٦٠١)	وَرُدَّ إنْ أخوْكَ قدْ شَمتكا:	يَهْدِيْكَ مَوْلاكَ وَيصْلِحْ بالكا

* * *

(١) سَوَّى الناسَ: خلقهُم مُتناسِبي الأعضاءِ غيرَ مُتفاوِتين.
(٢) واسْتُرْ أي: غطِّ فمَكَ، لتكونَ التغطِيَة مانِعة من خروج الرَّذاذِ من الفمِّ، فلا يُؤذى أحدُ الحُضور.
(٣) من عطس أكثر من ثلاثِ مرَّاتٍ، فقل له: «أنت مزكومٌ»، وادْعُ لهُ بالشفاءِ، ولا تشَمِّتهُ.

الفصلُ الثامنُ والثلاثونَ: آدابُ التثاؤب

(٦٠٢) واللَّهُ رَبِّي يَكرَهُ التثاؤُبا ... لكِنْ يُحِبُّهُ اللعِينُ مَنْ أبَى

(٦٠٣) إبْلِيسُ، فهْوَ منهُ إذ يَرْضَاهُ ... وَوَقتهُ يَبلغُ ما يَهْوَاهُ

(٦٠٤) مِنْ ثقلٍ لِلجسْمِ وَامْتلاءِ ... وَكسلٍ يعوقُ عَنْ أداءِ

(٦٠٥) لِوَاجباتٍ أوْ قضاءِ حاج ... وَيجعَلُ الخِلقةَ في اعْوجَاج

(٦٠٦) وفي خصَائِص النبيِّ الأعْظمِ ... لَمْ يَتثاءَبْ عُمْرَهُ فأكرِمِ

(٦٠٧) فرُدَّهُ بفِيكَ مَا اسْتطعْتا ... وَحَبذا لوْ مَلبَسا وَضَعتا

(٦٠٨) أوْ بَاطِنَ الكفِّ اليَمِيْنِ فوْقهُ ... أوْ ظاهِرَ اليُسْرَىٰ وَسِرًّا افقهُوا

(٦٠٩) لا ترْفعِ الصَّوْتَ بقوْلِ «هَاهِ»[1] ... وَكنْ مِنَ الشَّيْطان في انتِبَاهِ

(٦١٠) فقدْ أتىٰ في الشَّرْعِ عَنْ حَبيبنا ... بأنهُ يضْحكُ لاعبا بنا

(٦١١) وَجَاءَنا: «يَدْخل»[2] أيْ: في فِيْهِ ... يَعْنِيْ: تَمَكنًا، بلا تَمْوِيهِ

* * *

(١) **هَاه**: حكايةُ صوتِ المُتثائِبِ إذا فتحَ فمَهُ، وهوَ مَنهِيٌّ عنه شَرْعًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إنَّ اللَّهَ يُحبُّ العُطاسَ ويكرهُ التثاؤبَ، فإذا تثاءَبَ أحدُكم فليَرُدَّهُ ما استطاع، وَلا يقلْ: هاه هاه، فإنما ذلكم من الشيطان، يضحكُ منه»**. رَواهُ أحمد وأبو داود ـ بهذا اللفظ ـ والنسائي والبُخاريُّ في «الأدَب المفرد».

(٢) قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذا تثاءَبَ أحدُكم فليمسِكْ بيدِه، فإنَّ الشيطانَ يدخلُ»**. رَوَاهُ أحْمدُ ومسلمٌ ـ بهذا اللفظ ـ والبُخاريُّ في «الأدَب» وابنُ خزيمة وابنُ أبي شيبة وأبو يعلى. **وفِيه**: فمه، **والتمويه**: التلبيسُ والمُخادَعَة وتزيينُ الباطل، والمعنى: أنَّ «يدخلُ» بمعنى يتمكن ويتسلط، لأن الشيطانَ بالداخل يجري مجرى الدَّم.

الفصلُ التاسِعُ والثلاثونَ : آدابُ النوم

(٦١٢) وَنومُنا أعْظمُ بهِ بُرهَانا ... أماتنا اللَّهُ بهِ أحيانا

(٦١٣) بقدْرَةٍ صَيرَهُ سباتا[1] ... لا تعرفُ السرَّ بهِ بَتاتا

(٦١٤) وَفيهِ لِلأجْسامِ مُسْتَرَاحُ ... وَتلتقِيْ في سَاحِهِ الأرْوَاحُ

(٦١٥) فدُمْ على الوُضُوْءِ قبْلَ النوْم ... وَلا تنمْ وَأنتَ بينَ القوْم

(٦١٦) وَلتنفضِ الفِرَاشَ بالإزَار ... وَهْوَ أخِيْ سِرٌّ مِنَ الأسْرَار

(٦١٧) وَلتجْعَلِ القِبْلةَ شَطرَ وَجْهكا ... وَكفكَ اليُمْنى تُحَيْتَ خدِّكا

(٦١٨) وَامْسَحْ جَمِيْعَ الجسْم بالكفين ... وَنمْ على جَانِبكَ اليَمِين

(٦١٩) وَنوْمَةُ الوَجْهِ[2] مِنَ الشَّيْطان ... وَيسْحَبُ الكافرُ في النيْرَان

(٦٢٠) وَباسْمِكَ اللهُمَّ جَنبيْ يُوْضَعُ ... وَليسَ إلا بكَ رَبِّيْ يُرْفعُ

(٦٢١) إنْ تُمْسِكِ الرُّوْحَ فهَبْهَا الرَّحْمَة ... أوْ تبْقِهَا فأحْيهَا في عِصْمَة

(٦٢٢) وَحَاسِبِ النفسَ على السَّاعَاتِ ... وَلتحْمَدِ المَوْلىْ على الطاعَاتِ

(٦٢٣) وَأكثِرَنْ مِنَ الدُّعا وَالذكر ... وَلا تنمْ إلا سَلِيمَ الصَّدْر

* * *

(١) سُبَاتًا: رَاحَةً وسُكونًا، قال المَولى ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ [النبأ]، وبتاتًا: قطعًا.

(٢) فعن يَعيش بن طخفة الغفاريِّ رضي الله عنهما قال: (كان أبي من أصحابِ الصُّفة... فبينما أنا مضطجعٌ في المسجدِ من السحَر على بطني، إذا رجلٌ يحرِّكني برجلِه! فقال: «إنَّ هذه ضِجعةٌ يبغضُها اللّهُ»، قال: فنظرتُ فإذا رسولُ اللّه ﷺ). رَواهُ أحْمدُ وأبو داود وابنُ أبي شيبة والطبرانيُّ في «الكبير» والبيهقيُّ في «الشُّعَب». وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: (مرَّ بيَ النبيُّ ﷺ، وأنا مضطجعٌ على بطني، فركضني برجلِه! وقال: «يا جُنيدبُ، إنما هذه ضِجعة أهل النار»). رَواهُ ابن ماجه، وقال ربُّ العِزَّة: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر].

الفصلُ الأربعونَ: آدابُ الرُّؤى

(٦٢٤) وَإنْ رَأيْتَ في المَنام رُؤْيا ... صَالحَةً فقدْ أصَبتَ وَحْيا

(٦٢٥) فإنها جزءٌ[١] أتى مِنْ سِتةِ ... وَأربعينَ جُزْءًا النبُوَّةِ!

(٦٢٦) وَإنها مِنَ المُبشراتِ ... بما أتاكَ أوْ بخيرٍ آتِ

(٦٢٧) أرْسَلَ رَبِّي مَلَكًا لِيُعْلِمَكْ ... وَيَضْربَ الأمْثالَ حَتى يُفهمَكْ

(٦٢٨) فاحْمَدْ عَليهَا اللَّهَ إذ أتاحَا ... لِلرُّوحِ أنْ تشْهَدَ ذي الأرْوَاحَا

(٦٢٩) وَلا تعَبرْ بِهوَاكَ النفسِيْ ... لسْتَ ابْنَ سِيْرِيْنَ[٢] وَلا النابُلسِيْ

(٦٣٠) وَلا تقصَّها على كلِّ أحدْ ... وَأخفِهَا وَاخشَ عَليْهَا مَنْ حَسَدْ

(٦٣١) وَقصَّها على طبيْبٍ رُوْحِيْ ... ذيْ خِبْرَةٍ وَمُخلِصٍ نصُوْحِ

(٦٣٢) وَقصَّهَا أيضًا على حَبيْبِ ... يَدْعُوْ بتثبيْتٍ بظهْرِ الغيْبِ

(٦٣٣) وَإنْ أتاكَ الأمرُ[٣] فِي المَنام ... فاسْتفتِ فِيْهِ شِرْعَةَ الإسْلام

(٦٣٤) وَأعْظمُ الرُّؤَىْ رُؤَىْ نبيٍّ[٤] ... أوْ مَلكٍ أوْ عالِمٍ وَليِّ

---

(١) قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جُزءًا من النبُوَّة». رواهُ أحمدُ والبخاريُّ ومُسلمٌ والترمذيُّ وابنُ مَاجه وابنُ أبي شيبة.

(٢) هو: الإمامُ محمدُ بنُ سِيرينَ، من كبار التابعين، يُقارَنُ في عِلمِه بإمام دار الهجرة مالكِ بن أنس، والعوامُّ لا يعرفون من علمه إلا تفسيرَ الأحلام، مع أنه واحدٌ من علومِه، وحُكِيَ أنه رأى نبيَّ اللَّهِ يوسُف في المنام، وقد فتحَ لهُ فمَه وقال له: انظر، ماذا ترَى؟ قال أرَى لِسَانك، ثم أغلق فمَه ثم فتحَه فقال: ماذا ترى؟ فقال: أرَى لهَاتكَ، ثم أغلقَ وفتح فقال: ماذا ترَى؟ قال: أرى فؤَادَكَ! فرَبَّتَ على كتِفِهِ وقال له: قمْ فعَبِّرْ! فما عُرِضَتْ عليهِ رُؤيا بعدَها إلا عَبَّرَهَا! وكتابُ «تفسير الأحلام» الذي وضِعَ اسمُهُ عليه منسوبٌ إليهِ، ولم تثبُتْ هذه النسبة، وتُوُفِّيَ بالبَصرَةِ سنة (١١٠هـ).

والنابُلسِيُّ هو: الشيخُ عبدُالغنيِ بنُ إسماعيلَ النابُلسيُّ، الحنفيُّ الدمشقيُّ، صاحبُ كتابِ «تعطير الأنام في تعبير المنام»، والمتوفى سنة (١١٤٣هـ).

(٣) الأمرُ أي: الأمرُ بفعل شيءٍ أو بتركِ شيء، والرُؤيا المَناميَّة لا يَثبتُ بها حُكمٌ شَرعِيٌّ.

(٤) وأعظمُها على الإطلاق رؤيا النبيِّ محمدٍ ﷺ؛ قال ﷺ: «مَنْ رآني في المنامِ فقد رآني؛ فإنَّ الشيطانَ =

(٦٣٥) مَنْ هَاجَرُوا أوْ خَزْرَجَ وَأوْس ... أوْ مُصْحَفٍ أوْ جنةِ الفِرْدَوس

(٦٣٦) أوْ كعْبةٍ أوْ رَوْضَةِ الرَّسُوْل ... فافتحْ لنا يَا رَبِّ لِلوُصُول

* * *

= لا يتمثَّلُ في صُورتي». رواه البخاريُّ، وراجع في هذا كتابَنا: «رأيتُ النبيَّ ﷺ».

الفصلُ الحَادِي وَالأرْبَعُونَ: آدَابُ الأحْلامِ

(٦٣٧) أمَّـا إذا مَـا جَـاءَكَ الـشيطانُ وَحـشوُهُ الإزْعَـاجُ وَالعـدْوَانُ

(٦٣٨) بحُلمِـهِ المُـزْعِجِ وَالكابُـوْس حَتـىْ يَـضِيْقَ وَاسِـعُ الـنفوْس

(٦٣٩) فلتـسْتعِذ باللَّـهِ مِـنْ حـضُوْرِهِ وَالهمْـز وَالـنفثِ وَمِـنْ شـرُوْرِهِ

(٦٤٠) وَجَـدِّدِ الوُضُـوْءَ حَتـىْ يطـرَدَا فهْـوَ لـهُ أعْظـمُ أسْـبَابِ الـرَّدَىْ

(٦٤١) وَاتفـلْ ثلاثـا جهَـةَ اليَـسَار وَعُـدَّ[1] مَـا رَأيْـتَ في الأسْـرَار

(٦٤٢) فـإنَّ مـا رَأيـتَ لا يـؤْذيكا واللَّـهُ مِـنْ كـيْدِ العِـدَا يَحْمِـيْكا

(٦٤٣) وَاسْـأله أنْ يَـسُوْقَ رُؤْيـا صَـالِحَة وَعِـصْمَةً[2] مِـنَ الوُجُـوهِ الكالِحَـة

* * *

(١) يعني: لا تخبرْ بِهِ أحدًا، واجعَلهُ كالسرِّ الذي لا تُخبرُ به أحدًا، أو كالأمر المَنسِي.

(٢) العِصمَة: الحفظ والوقاية، والوُجُوهُ الكالِحَة: الشَّياطين.

الفصلُ الثاني وَالأرْبَعُونَ : آدَابُ الاسْتِيقاظ

(٦٤٤) وَلْتحْمدِ اللَّهَ إذا اسْتيْقظتا ... إذ رَدَّ فِيْكَ الرُّوْحَ حتىٰ قمْتا

(٦٤٥) وَاذكرْ بهِ النشُورَ[١] بَعْدَ المَوْتِ ... حِيْنَ تَهبُّ سَامِعًا لِلصَّوْتِ

(٦٤٦) ثُمَّ تَوَضَّأْ وَاذكرِ اللَّهَ الأحدْ ... وَصَلِّ حَتىٰ تنجلِيْ عَنكَ العُقدْ[٢]

(٦٤٧) وَاعْزمْ على خيْرٍ وَكنْ مُسْتبشِرَا ... مؤَمِّلا مشَابِهًا أسْدَ[٣] الشَّرَىٰ

* * *

(١) النشُور: البعثُ والإحْياءُ، فعن حذيفة ﷺ قال: (كان النبي ﷺ إذا نام قال: «اللهم باسمك أحيا وأموت»، وإذا استيقظ قال: «الحمد للّهِ الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»). رواهُ أحْمدُ والبخاريُّ وأبو داود ـ واللفظ له ـ وابنُ حِبَّانَ وابنُ أبي شيبة. وتَهُبُّ: تنهضُ من القبر، سامعًا المَلكَ يدعُوكَ للخروج، قال ربُّنا ﷻ: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق].

(٢) العُقدُ أي: التي يَعقِدُهَا الشيطانُ على مُؤَخرَةِ الرَّأس قبلَ نوم الإنسَان، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «يَعقِدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدِكم ـ إذا هُوَ نامَ ـ ثلاثَ عُقد، يَضربُ كل عقدةٍ: عليكَ ليلٌ طويلٌ فارقدْ، فإن استيقظ فذكرَ اللّهَ انحلتْ عُقدة، فإنْ توضأ انحلتْ عُقدة، فإنْ صَلى انحلتْ عُقدة، فأصبحَ نشيطًا طيِّبَ النفس، وإلا أصبح خبيثَ النفس كسلان». رواهُ مالكٌ وأحْمدُ والبُخاريُّ ـ بهذا اللفظ ـ ومُسلِمٌ وابنُ ماجه وابنُ خزيمة وابنُ حِبَانَ وأبو يعلى.

(٣) الأسْدُ: جَمعُ أسَد، والشرَى: بيتُ الأسَدِ، كالعَرين والغابةِ.

الفصلُ الثالِثُ وَالأَرْبَعُونَ : آدَابُ النظر إلى المِرْآة

(٦٤٨) وَانظُرْ إلى المِرْآةِ لِلتجَمُّل ... في الشكلِ وَالثيَابِ وَلتستكمِل

(٦٤٩) فهَكذا كانَ الرَّسُوْلُ يَفعلُ ... وَالمِشْطَ وَالمِرْآةَ دَوْما يَحْمِلُ

(٦٥٠) وَاحْمَدْ إلهَ الخلقِ إذ قوَّاكا ... وَحَسَّنَ الخِلقةَ إذ سَوَّاكا

(٦٥١) وَاسْألهُ أنْ يُحَسِّنَ الأخلاقا ... وفي الهُدَىْ تنطلِقَ انطِلاقا

(٦٥٢) وَاجْتنِبِ التطويْلَ وَالإكثارَا ... وَالعُجْبَ بالحُسْنِ وَالاغتِرَارَا

❊ ❊ ❊

الفَصْلُ الرَّابعُ وَالأَرْبَعُونَ: آدَابُ الطريْق

(٦٥٣) وَسِرْ على الطريْق باحْتِرَام ... وَغضَّ عَيْنيْكَ عَنِ الحَرَام

(٦٥٤) وَامْش بِهَوْنٍ[1] مِشْيَةَ التوَاضُع ... في كلِّ موْضِع مِنَ المواضِع

(٦٥٥) وَإنْ مَشتْ وَاحِدَةُ النسَاءِ ... فلتمْش دَائِمًا على اسْتِحْيَاءِ

(٦٥٦) وَأمُرْ بمَعْرُوفٍ وَلا تؤذِ الوَرَىْ ... وَلِنْ وَغيِّرْ إنْ رَأيْتَ مُنكرَا

(٦٥٧) وَحَيِّ بالسَّلامِ مَنْ لقِيتا ... وَرُدَّ بالأحْسَنِ إنْ حُيِّيْتا

(٦٥٨) وَسَاعِدِ الكبيرَ وَالضَّعِيْفا ... وَاحْمِلْ مَتاعًا عَنهُمَا تَخفِيْفا

(٦٥٩) وَإنْ غريْبٌ في الطريْق ضَلا ... أرْشدْهُ حَتىْ يَصِلَ المَحلا

(٦٦٠) وَلتمِطِ الأذىْ عَنِ الطريقِ ... وَقاكَ رَبيْ لفحَةَ الحَريْق

* * *

(١) الهَوْنُ: الهُدُوءُ والمَهَلُ والتواضُع.

الفصلُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ: آدَابُ اللقاءِ وَالفِرَاق

(٦٦١) وَقابِلِ الإخْوَانَ بابْتِسَامِ فإنهُ عُنوَانُ خلقٍ سامِ

(٦٦٢) أمَا سَمِعْتَ قوْلَ خيْرِ الخلقِ يُشبهُ البَسْمَةَ[1] بالتصَدُّقِ ؟

(٦٦٣) وَحَيِّ مَنْ لقِيتَ بالسلامِ وَمَنْ يُصَافِحْ حتَّ مِنْ آثامِ

(٦٦٤) وَلا تضَيِّعْ وَقتهُ مُثرْثرًا[2] وَكنْ لهُ مُبَجلا مُوَقرًا

(٦٦٥) وَقلْ لهُ: لا تنسَنا أخيا مِنْ صَالِحِ الدُّعَاءِ دُمْتَ حَيا

(٦٦٦) وَأوْصِهِ بالحَقِّ ثمَّ الصَّبرِ وَاقرَأ أو اسْمَعْ خاتِمًا بالعَصْرِ

(٦٦٧) وَكرِّرِ السَّلامَ في الفِرَاقِ فحُكمُهُ[3] كسَاعةِ التلاقِيْ

* * *

---

(١) قال ﷺ: «**تبسُّمُكَ في وَجه أخيك صَدَقة...**». رواهُ أحْمدُ والترمذيُّ ـ واللفظ لِغيره ـ وابنُ حِبَّان والبزَّارُ.

(٢) **مُثرْثِرًا**: مُكثِرًا من الكلام بدُون فائِدة، **ومُبَجِّلا مُوَقرًا**: مُعَامِلًا له بالاحترام والإجلال.

(٣) حُكمُ السَّلام في حالةِ الافتراق سُنة، كحُكمِهِ في حالةِ اللقاءِ والمُقابَلة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا جاءَ أحدُكم إلى القوم فليسلمْ، وإذا قام فليسلمْ، فليستِ الأولى بأحَقَّ من الآخرة**». رواهُ أحْمدُ وأبو داودَ والنسائِيُّ والطبرانيُّ في «الصغير» ـ واللفظ لهما ـ والترمِذيُّ وابنُ حِبَّان.

الفَصْلُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ: آدَابُ المَجلِس

(٦٦٨) وَاجْلِسْ بمَجْلِس حَوَى الأخيَارَا ... الأنقيا أهْلَ التقى الأبرَارَا

(٦٦٩) يَعْلُوكَ ثوبٌ حَسَنٌ جَمِيْلُ ... وَريْحكَ الرَّيْحانُ إذ يَمِيلُ

(٦٧٠) وَكنْ مُسَلمًا إذا وَصَلتا ... مُسَميا رَبكَ إن جَلسْتا

(٦٧١) وَإنْ رَأيْتَ فرجَة[1] فاجْلِسْ بها ... أوْ حَيْثمَا مَجْلِسُنا قدِ انتهىْ

(٦٧٢) وَلا تقمْ أخاكَ مِنْ مَجْلِسِهِ ... فمَنْ أتىْ مُبكرًا أولى بهِ

(٦٧٣) وَاذكرْ فذا مُطمَئِنُ القلوبِ ... وَصَلِّ إنْ تَجْلِسْ على المَحبُوْبِ

(٦٧٤) فالمَجْلِسُ الخَالِيْ مِنَ الذكر تِرَةْ[2] ... وَتصْبحُ الهمةُ فِيهِ فاترَةْ

(٦٧٥) وَافسَحْ لِمَنْ يَأتِيْ يُرِيْدُ المَجْلِسَا ... وَكنْ لهُ مُبْتسِما لا عَابسَا[3]

(٦٧٦) وَلتتمَكنْ جَالِسًا معْتدِلا ... والاتكا وَالاضْطِجَاعُ فِيهِ لا

(٦٧٧) ما لَمْ تكنْ تُجَالِسُ الأصْحَابَا ... وَالأهلَ وَالصِّغارَ وَالطلابَا

(٦٧٨) لا ترْفعِ الصَّوْتَ فذا رُعُونة[4] ... وَانطِقْ بصِدْق وَاطلبِ المَعونة

(٦٧٩) وَلتحْذرِ الغِيْبَةَ إنْ جَلسْتا ... وَانهَ عَنِ القبيْحِ إنْ سَمعْتا

(٦٨٠) وَاختِمْ[5] مُسَبِّحًا لِرَبِّيْ حَامِدَا ... مُسْتغفرًا وَتائِبًا مُوَحِّدَا

---

(١) فرْجَة: مكانًا فارغًا يتسِعُ لجُلوسِكَ فيه.

(٢) التِرَة: الحَسرَة والندامَة، قالﷺ: «ما جلس قومٌ مجلسًا، لم يذكروا اللَّه فيه، ولم يُصَلوا على نبيِّهم، إلا كان عليهم تِرَة». رواهُ أحْمد وأبو داود والنسائيُّ والترمِذيُّ ـ واللفظ له ـ وابنُ حِبَّان. وفاتِرَة: غيرُ نشيطة.

(٣) عَابِسًا: مُتجَهمَ الوَجه مُقطبَ الجَبين.

(٤) الأرْعَنُ: الأهْوَجُ الأحْمق.

(٥) قالﷺ: «ما من إنسان يكونُ في مجلس، فيقولُ حينَ يريدُ أن يقومَ: سُبحانكَ اللهمَّ وبحمدِك، لا إله إلا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ، إلا غفِرَ له ما كان في ذلك المجلس». رواهُ أحْمدُ والطبرانيُّ في «الكبير» ويُسَمَّى هذا الذكرُ: خِتامَ المَجلس.

(٦٨١) وَكــرِهَ المَعْـصُوْمُ عَــنْ أخطــاءِ لـــنا حَدِيــثا عَقـــبَ العـــشاءِ

(٦٨٢) كــذا الجُلــوْسَ في طـريْق الـناسِ إلا لحَاجــــةٍ بـــلا التـــباسِ[1]

(٦٨٣) وَلا تُجــالسْ أهـــلَ الابـــتِدَاعِ وَهُــبَّ[2] إنْ تـسْمعْ نـدَاءَ الدَّاعِـيْ

❊ ❊ ❊

(١) أي: لا يلتبسْ عليكَ كراهِية الجُلوس في الطريق، مع ما ورَدَ من أنَّ النبيَّ ﷺ جلس في الطريق أكثر من مرةٍ، للضرُورةِ، كقضاءِ مصلحةٍ، أو الإجابةِ عن سُؤال.

(٢) هُبَّ: قم وانْهَضْ ولا تتكاسَلْ، والدَّاعِي هنا: المُؤذن.

الفصلُ السَّابعُ والأربعُونَ: آدابُ الزِّيارَة

(٦٨٤) وَزُرْ أخاكَ يَا أخِي في رَبكا | لِيَدْخُلَ الحُبُّ شَغافَ[1] قلبكا
(٦٨٥) إنْ زُرْتَهُ مِنْ أجْلِ وَجْهِ اللَّهِ | لا بُغْيَةً لِحاجَةٍ أوْ جاهِ
(٦٨٦) نِلتَ دُعَاءَ المَلكِ المُوَشْى[2]: | قَدْ طِبْتَ يَا هَذا وَطابَ المَمْشَى
(٦٨٧) وَانتق وَقتا صَالحًا مُلائِمَا | لا غائِبا أوْ خامِلاً[3] أوْ نائِمَا
(٦٨٨) وَحَبَّذا لَوْ قَبْلَهَا أعْلَمْتَهُ | بالهَاتِفِ العَصْريِّ أوْ رَاسَلتَهُ
(٦٨٩) وَاطرُقْ برفق بابَهُ ثلاثا | وَاصْبرْ لكَيْ يَنبَعِثَ انبعاثا
(٦٩٠) فإنْ أتاكَ عِندَها يعتذِرُ[4] | فاعْذرْهُ وَارْجِعْ عَنهُ فهْوَ أطهَرُ
(٦٩١) وَحَيهِ وَادْخلْ إلى المَكانِ | بَعْدَ ائتِناس مِنكَ وَاسْتِئذانِ
(٦٩٢) وَاجْلِسْ بمَوْضِع بهِ يُدْنِيكا | وَلا تَخُضْ في الأمْرِ لا يَعْنِيكا
(٦٩٣) وَاقض إذا دَخلتَ كلَّ الوَقتِ | في الخَيْر لا في جَالِبَاتِ المَقتِ[5]
(٦٩٤) أسْمِعهُ مِنْ كلامِكَ الرَّقِيْقِ | وَادْعُ لهُ بالخيرِ وَالتوْفِيْقِ
(٦٩٥) انصَحْهُ وَاستنصِحْهُ وَاسْتشِرْهُ | وَاسْمعْ لِمَا يَقولُ وَانتظِرْهُ

---

(١) شَغافُ القلبِ ـ بفتح الشين ـ: غِلافه، وهوَ جلدَةٌ رَقِيقة دُونهُ كالحِجَابِ، ويُسَمَّى: السُّوَيْدَاءَ أيضا.

(٢) الوَشْيُ: التزيينُ والتحسين، والملائكة مُنحُوا حُسنًا وجمالًا، حتى غرس هذا في قلوبِ الناس، ويُشَبَّهُ بهم كلُّ حسَن مَليح، قال اللَّهُ ﷻ على لسان النسوةِ لمَّا رَأينَ يوسُفَ: ﴿... حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ [يوسف].

(٣) خامِلًا: كسلانَ غيرَ نشيطٍ، يُريدُ أنْ يَستجمَّ ويَستريح.

(٤) يعتذِرُ أيْ: عن الزيارَةِ، ويُريدُ تأجيلها لضرُورَةٍ، فاقبَلْ اعتذارَهْ، قال اللَّهُ ﷻ: ﴿...وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ...﴾ [سُورَة النور: ٢٨].

(٥) المَقتُ: غضَبُ اللَّهِ ولعنته، وجالِباتُ المَقت: الأمورُ التي تتسَبَّبُ فيه، كالكذب والغيبة والنميمة ونحوها.

(٦٩٦) وَاقبلْ إذا قَدَّمَ مِنْ خيْرَاتِهِ ... وَلتحْفظِ العَيْنيْنِ عَنْ عَوْرَاتِهِ

(٦٩٧) وَمِلْ إلى التخفِيْفِ لا التثقِيْلِ ... وَاشْكرْهُ إنْ هَمَمْتَ بالرَّحِيْلِ

(٦٩٨) لا تفشِ[1] سِرًّا بَعْدَ مَا رَمَقتَهُ ... وَاحْفظْ لهُ الغيْبَةَ إنْ فارَقتَهُ

* * *

(١) لا تفش: لا تنشرْ، ورَمَقتهُ: رأيتهُ ونظرتَ إليه.

الفَصْلُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ : آدَابُ عِيَادَةِ المَرِيْض

(٦٩٩) وَالمَـرْءُ لا يَثْـبُتُ وَفـقَ حـالِ ... في صِـحَّةٍ يَـوْمًا وفي اعْـتِلالِ

(٧٠٠) وَالـدَّاءُ حَقـا يَقْهَـرُ الإنـسَانا ... لـضَعْفِهِ، فكُـنْ لـهُ معْـوَانا

(٧٠١) وَعُـدْهُ[(١)] إنَّ ذا هـوَ الإخـاءُ ... وَالأمْـرُ بالـسَّبعِ رَوَى البـرَاءُ

(٧٠٢) وَمَـن أتـىْ إلى المَـريض وَسَـعَىْ ... في خـرْفَةِ[(٢)] الجَـنةِ حَتـىْ يَـرْجعا

(٧٠٣) وَجَـاءَ في الـسُّنةِ فِـيْمَـا صَـحا ... أنَّ النبـيَّ قـالَ يَـوْما ناصِـحا

(٧٠٤) مُـحَرِّضًـا أصْـحَابَهُ تَحْرِيْـضَا: ... مَـنْ عَـادَ في يَـوْمكم مَرِيْـضًا ؟

(٧٠٥) فمَـنْ أتـىْ يَـوْمًا بـتِلكَ الأرْبَعَـة[(٣)] ... أدْخِـلَ في الأخْـرَىْ جنانا يَانِعـهْ

(٧٠٦) وَقـالَ رَبُّ العِـزَّةِ العَلـيْمُ ... فِـيمَـا رَوَىْ رَسُـوْلهُ الكـريْمُ :

(٧٠٧) مَرِضْـتُ[(٤)] يَـا ابْـنَ آدَمَ مَا عدْتني! ... فقـالَ: رَبِّ أنـتَ قـدْ خلقتنِـيْ!

---

(١) عُدْهُ: زُرْه، وقصدتُ بالأمر بالسَّبع: ما رواهُ البَراءُ بنُ عَازِبٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قائِلًا: «أمرنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بسبع، ونهانا عن سَبع: أمرنا بعيادةِ المريض، واتباع الجنازة، وتشميتِ العاطس، وإبرار القسَم أو المُقسِم، ونصر المظلوم، وإجابةِ الدَّاعي، وإفشاءِ السلام...» رواهُ أحْمدُ والبُخاريُّ ومسلمٌ ـ واللفظ له ـ والنسائيُّ والترمذيُّ. فالأمرُ بعيادةِ المريض ضِمنَ هَذِهِ السَّبع.

(٢) خرْفة الجنةِ: جَناهَا، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «من عاد مريضًا، لم يزل في خرفةِ الجنة حتى يرجع». رواهُ مُسلمٌ وابنُ أبي شيبة ـ واللفظ لهما ـ وأحْمدُ والترمِذيُّ؛ وزَادَا: (فقيلَ: يا رسولَ اللَّهِ، وما خرفة الجنة؟ قال: «جَناهَا»).

(٣) تلكَ الأربَعَة: أفعَالُ الخير الأربعَة التي تضمَّنهَا ما رَواهُ أبو هريرة رضي الله عنه فقال: (قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فمَنْ تبعَ منكم اليومَ جنازة؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فمَنْ أطعمَ منكم اليومَ مسكينا؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»). رَواهُ مُسلمٌ ـ بلفظه ـ والنسائيُّ والبُخاريُّ في «الأدَبِ المُفرَد». ويانِعَة: ناضِجَة الثمار.

(٤) قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن اللَّهَ عز وجل يقولُ يومَ القيامةِ: يا ابنَ آدمَ، مرضتُ فلم تعُدْني! قال: يا ربِّ، كيف أعودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين!؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلانًا مرض فلم تعدْه، أما علمتَ أنك لو عُدته لوجدتني عنده؟ يا ابنَ آدمَ، استطعمتك فلم تطعِمْني! قال: يا ربِّ كيف أطعمُك وأنت رب العالمين!؟ قال: أما علمتَ أنه استطعمَك عبدي فلانٌ فلم تطعمْه، أما علمتَ أنك لو أطعمته
=

(٧٠٨) كَيْفَ أَعُودُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينْ؟ فقَالَ: مَا عُدْتَ أخًا في العَائِدِيْنْ!

(٧٠٩) فلَوْ أتَيتَ زَائِرًا إليهِ وَجَدْتَنِي بِرَحْمَتِي لَدَيهِ

(٧١٠) فعُدْهُ وَاغرسْ في الفُؤَادِ الأمَلا وَاطرُدْ عَن النفس أخيَّ المَللا

(٧١١) بِذِكرِ مَنْ عَافى الإلهُ وَشَفى[1] وَمَا اعْتَرَى أيُّوبَ ثمَّ انكشَفا

(٧١٢) بشِّرْهُ بالثوَابِ وَالغفرَانِ وَالحبِّ وَالرِّضَا مِنَ الرَّحْمَنِ

(٧١٣) بالكفِّ جسَّهُ[2] وَكنْ ملاطِفا وَاسْألهُ عَنْ حَالِ لكيْ تخَففا

(٧١٤) وَادْعُ لهُ بالأجرِ وَالشفاءِ وَنعْمَةِ الصَّبْر على البَلاءِ

(٧١٥) إنْ شاءَ رَبيْ لا عَليكَ بَأسا يطهِّرُ الذنوبَ كيْ لا تأسَىْ

(٧١٦) سَاعِدْهُ بالجهْدِ إذا اسْتطعتا فاللَّهُ يَجزيكَ إذا نفعتا

(٧١٧) وَخففِ المُقامَ فالبيوْتُ سِرٌّ لهَا، وَوَقتنا يَاقوْتُ

(٧١٨) إلا إذا أحْسَسْتَ مِنه رَغبةْ أوْ طلبَ المُكثَ فأسْعِدْ قلبهْ

(٧١٩) وَافسَحْ لِمَنْ أتاهُ كيْ يعوْدَا وَلا تكلفْ أهْلهُ مَجْهُوْدَا

(٧٢٠) وَعُدْ أخِي الرِّجَالَ وَالنسَاءَ[3] فالكلُّ عَنْ رَسُوْلِنا قدْ جَاءَ

* * *

= لوجدتَ ذلك عندي؟ يا ابنَ آدمَ استسقيتك فلم تسقني! قال: يا ربِّ وكيف أسقيك وأنتَ ربُّ العالمين!؟ قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي». رواه مسلمٌ وابنُ حِبَّانَ والبُخاريُّ في «الأدبِ» والبيهقيُّ.

(١) بذِكر حِكاياتٍ من ابتُلِيَ بالأمراض، ثمَّ مَنَّ اللَّهُ عليهِ بالشفاءِ، وألبسَهُ لِباسَ العَافِيةِ، كنبيِّ اللَّهِ أيوبَ ﷺ وغيره، من أهل كلِّ عَصْرٍ ومِصرٍ، لا بذِكر منْ مرضَ ثمَّ زادَ عليهِ مرَضُه أو ماتَ، واعْترَى: أصَابَ وغشِيَ، وانكشف المرضُ: زالَ وانقشع.

(٢) بالكفِّ جسَّهُ: المَسُّ وامْسَسْه لِفحصٍ واختبارِ حالِه، كالحرارةِ والبُرُودَةِ، لِيَطمَئِن ويَهدَأ.

(٣) عن جابر بن عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: (أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخل على أمِّ السائب أو أمِّ المُسَيِّب، فقال: «ما لكِ يا أمَّ السائبِ ـ أو يا أمَّ المسيبِ ـ تزفزفين!؟» قالت: الحُمَّى، لا باركَ اللَّهُ فيها، فقال: «لا تسُبِّي الحُمَّى، فإنها تذهبُ خطايا بني آدم، كما يُذهبُ الكِيرُ خبثَ الحديد»). رَواهُ مسلمٌ وابنُ حبانَ وأبو يعلى والبيهقيُّ.

الفَصْلُ التاسِعُ وَالأرْبَعُونَ : آدَابُ المَرَض

(٧٢١)	مَنْ يُـردِ اللَّـهُ بِـهِ مِـنْ خيـر	مِـنهُ يُـصِبْ مُبْتلـيا بِـضُرٍّ!
(٧٢٢)	أشَدُّنا في ذا البَلاءِ الأفضَلُ	وَبَعدَهُ الأمْثلُ ثمَّ الأمْثلُ
(٧٢٣)	فإنْ مَرِضْتَ فاشْكرِ الإلَهـا	وَلتذكرِ النعْمَةَ لا تلاهى[1]
(٧٢٤)	وَلتدَّكـرْ فكلنـا مُصَابُ	وَاصْبرْ أخِـي لِيَعْظمَ الثوَابُ
(٧٢٥)	وَارْضَ وَلا تـضْجَرْ وَلا تـسَخَّطِ	وَارْجُ وَكـنْ ذا أمـلٍ لا تقنـطِ
(٧٢٦)	وَاذكـرْ إلـهَ الناس تـزْدَدْ قـرْبا	وَادْعُ بـأنْ يَكـشِفَ عَـنكَ الكـرْبَا
(٧٢٧)	فهْـوَ الـذِيْ يَـشْفِيْ إذا مَرِضْنا	وَيَبْسُطُ النفسَ[2] إذا انقبَضْنا
(٧٢٨)	وَاسْتعْمِلِ الرُّقـيْ ففِـيْهَا العَافِـية	كـمْ رُقـيـةٍ مـنَ النبـيِّ كافـيَة؟
(٧٢٩)	وَاطلـبْ مِـنَ الـصَّالح أن يَـرْقيكا	يَـرْجوْ مِـنَ الإلـهِ أنْ يقـيَكا
(٧٣٠)	تـدَاوَ فالـشَّرْعُ الـتداويْ مَـا مَنعْ	واللَّـهُ لِلـدَّاءِ الـدَّوَاءَ قـدْ وَضَـعْ
(٧٣١)	لا تـتدَاوَ بالـذي قـدْ حـرِّما	وَاطلـبْ طبيْبًا حَاذقـا مُعَلَّما
(٧٣٢)	وَعَـسلُ الـنحْلِ بـهِ شِـفاءُ	وَلتحْـتجمْ وَالحَـبَّةُ الـسَّوْدَاءُ
(٧٣٣)	وإنْ تـذرْ تـدَاويا لا باسـا[3]	إنْ تـرْتدِيْ تـوَكلا لباسـا
(٧٣٤)	سَـبْعُوْنَ ألفـا يَدْخلـوْنَ الجَـنة	بـلا حِـسَابٍ قـدْ أتـىْ في الـسُّنة
(٧٣٥)	وَإنْ تكـنْ ذا مَـرَضٍ مُنـتقل	فـلا تُخَـالطْ أحَـدًا وَاعتـزل

(١) لا تلاهَ: لا تتلاهَ وتنشغِلْ بل اذكرْ جيِّدًا.

(٢) يَبسُط النفسَ: يُزيلُ عنها ضِيْقها وانقِباضَها وهَمَّها، ويَرُدُّ إليها الانشِرَاحَ والسُّرُور.

(٣) عن عمرانَ بن حُصَين رضي الله عنه عن نبيِّ اللَّهِ ﷺ قال: «يدخلُ الجنة من أمتي سبعونَ ألفا بغير حِسَابٍ»! قالوا: ومَن هم يا رسولَ اللَّه؟ قال: «همُ الذين لا يكتوُونَ، ولا يسترْقونَ، وعلى ربِّهم يتوكلون». فقام عُكَّاشة فقال: ادعُ اللَّهَ أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم»، قال: فقام رجلٌ فقال: يا نبيَّ اللَّه، ادعُ اللَّهَ أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عُكاشة». رواهُ أحْمدُ ومُسلمٌ والطبرانيُّ.

(٧٣٦) نبيُّنا أرْسلَ لِلمَجْذومِ[(١)]: ارْجعْ فبَايَعْناكَ مِثلَ القوْمِ

(٧٣٧) وَلا تسُبَّ يَا أخِي الأسْقاما فرَبُّنا يَمْحوْ بها الآثاما

(٧٣٨) وَلتدْعُ لِلنفسِ كذا لِلغيْر وَاحْذرْ مِنَ الدُّعا بغيْر الخيْر

(٧٣٩) وَلا تمنَّ المَوْتَ[(٢)] إنْ ضُرٌّ نزَلْ قدْ زدْتَ خيْرًا وَكذاكَ لَمْ تزَلْ

* * *

---

(١) فعَن عمرو بن الشَّريدِ عن أبيهِ رضي الله عنه قال: (كان في وفدِ ثقيفٍ رجلٌ مجذومٌ، فأرسلَ إليهِ النبيُّ ﷺ: «إنا قد بايعناكَ؛ فارجعْ»). رَواهُ أحْمدُ ومسلمٌ والنسائيُّ وابنُ ماجه وابنُ أبي شيبة والبيهقيُّ في «الشعب».

(٢) فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ لضرٍّ نزل به، فإن كان لا بدَّ مُتمنيًا للموتِ فليقلْ: اللهمَّ أحْيني ما كانتِ الحياة خيرًا لي، وتوَفني إذا كانتِ الوفاة خيرًا لي». أحْمدُ، والبخاري، ومُسْلمٌ، والنسائيُّ، والترمذيُّ، وابنُ ماجه، وابنُ أبي شيبة، وابنُ حبان، وأبو يعلى، والبيهقيُّ في «الشعب».

الفَصْلُ الخَمْسُونَ : آدَابُ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَة

(٧٤٠) لابـدَّ لِلمـرْءِ مِـنَ الأصْـحابِ ... وَالأصْـدِقاءِ يَـا أوْلِـي الألـبابِ

(٧٤١) وَالمَـرْءُ دَوْمـا مُـشْبِهٌ خلِـيْلَهُ ... كأنـهُ في الخلـق صُـوْرَةٌ لـهُ

(٧٤٢) وَكـلُّ صُـحْبةٍ[1] إلى الـندَامةْ ... صَـائِرَةٌ إنْ قامـتِ القِـيَامةْ

(٧٤٣) يَعَـضُّ كـلُّ صَاحِبٍ مِنْ حَسْرَتِهْ ... على يَدَيـهِ قـائِلا في خيْبَـتِهْ :

(٧٤٤) يـا ليْتنِـيْ أطعْـتُ ذا الرَّسُـوْلا ... وَلمْ يكـنْ فـلانٌ الخلـيلا

(٧٤٥) إلا إذا كانـتْ لـوَجهِ اللَّـهِ ... فالخَيْـرُ يَبْقـىْ ، فابْـقَ في انتِـباهِ

(٧٤٦) فانـتق في اللَّـهِ صَـدِيْقا مُؤْمِـنا ... يَكـوْنُ مِـنهُ الخـلُّ دَوْمـا آمِـنا

(٧٤٧) عفًّـا كـريْمًا عَـاقلًا وَفـيا ... وَذا مـرُوْءَةٍ كـذا حيـيا

(٧٤٨) مُعَاونـا في البـرِّ وَالطاعَـاتِ ... وَمُغـضِيا مِـنكَ عَـن الـزَّلاتِ

(٧٤٩) إنْ كـنتَ يَـوْمًا مُحْسِنا يـشَجِّعُكْ ... وَإنْ هَمَمْـتَ بالقبـيحِ يَمْـنعُكْ

(٧٥٠) وَكـنْ لـهُ مـثلَ نـسِيْمِ الـرُّوْح ... معَالِجـا كمَـرْهَمِ الجُـرُوْحِ !

(٧٥١) وَانـصَحْهُ بالخيـرِ وَكـنْ مِعْـوَانا ... في خِفـةٍ[2] مِـنْ غيْـرِ أنْ توَانـى

(٧٥٢) شَـاركهُ في الفـرْحَةِ وَالمَـسَرَّة ... وَاكـتمْ لـهُ جَمـيْعَ مـا أسـرَّهْ

(٧٥٣) وَسَـلهِ في غمـهِ وَكـرْبَتهْ ... وَوَاسـهِ في حـزْنهِ وَنكبـتهْ

(٧٥٤) إنْ غـابَ يَـوْمًا عَـنكَ فاسْـألْ عَـنهُ ... وَاصْـبرْ إذا جـاءَكَ سـوْءٌ مِـنهُ

(٧٥٥) فهَـذِهِ الـصُّحْبةُ وَالـصَّدَاقة ... وَمَـا سِـوَاهَا يَـا أخِـيْ حماقـة

---

(١) الأبياتُ الأربَعَة تشيرُ إلى قول المَولى ﷻ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف]، ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان].

(٢) في خِفةٍ: في سُرعَةٍ ونشاط، وتوَاني وتتوانى: تتكاسَل وتتباطأ.

الفصلُ الحَادِيْ والخمْسُوْنَ: آدَابُ النصِيْحَة

(٧٥٦) أخلِصْ لِمَنْ يَسْتنصِحُ النصِيْحَة ... وَلِنْ، وَأحْضِرْ نِيةً صَحِيْحَة
(٧٥٧) وَالنصْحُ لِلهِ وَلِلكِتابِ ... كذا رَسُوْلنا بلا ارْتِيابِ
(٧٥٨) وَانصَحْ جَمِيْعَ الناس بالخَيْر وَلا ... تكسَلْ، وَطبقْ مَا تقوْلُ أوَّلا
(٧٥٩) وَليكن النصْحُ على انفِرَادِ ... حَتىْ تنالَ غايةَ المرَادِ
(٧٦٠) وَاسْلكْ سَبيْلَ القدْوَةِ[1] الحَكِيْم ... «مَا بَالُ أقوَامٍ؟» على التعْمِيْم
(٧٦١) وَكنْ بما تنصَحُ فِيْهِ عَالِما ... فالجَهْلُ يُبْدِيْ حِلنا مُحَرَّما!
(٧٦٢) وَلا تُقنِّطْ أوْ تكنْ مُثقلا ... لِيَسْتجيْبَ رَاغِبًا لا عَنْ قِلىْ[2]
(٧٦٣) وَاصْبرْ إذا أصَابَكَ المَكرُوْهُ ... هلْ يَقعُ الأمْرُ كما ترْجوْهُ؟

* * *

(١) القدْوَة: النبيُّ ﷺ، وما كانَ نبيُّنا يَجرَحُ المَشاعِرَ، أو يُحرجُ أحَدًا بتعيينِه في نسبةِ الخطأ إليه، وإنما كان يُعَمِّمُ، كقولِه ﷺ: «... **ما بالُ أقوامٍ يرغبونَ عمَّا رُخصَ لي فيه**...». رواهُ مسلمٌ، وقولِه: «... **ما بالُ أقوامٍ يشترطونَ شروطًا ليست في كتابِ اللَّه**...». رواه النسائيُّ وابنُ حبان والطبرانيُّ في «الكبير»، وقولِه: «... **ما بالُ أقوامٍ يرفعونَ أبصارَهم إلى السماءِ في صلاتِهم**...». رواه أحمدُ والبخاري والنسائي وابنُ ماجه وابن خزيمة وابنُ أبي شيبة والدارمي وأبو يعلى وابن حبان.

(٢) القِلى: البُغضُ والكرَاهِيَة، كقول اللَّهِ ﷻ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى].

الفصلُ الثاني وَالخمْسُونَ : آدَابُ الكلامِ

(٧٦٤) لا يَخْـرُجَنْ مِـنْ فِـيْكَ إلا الطـيِّبُ ... أتَحْسَبُ الأقْـوَالَ لَيْسَتْ تكـتبُ!؟

(٧٦٥) لِلخيْـرِ في اليُمْنـى مَـلاكٌ يَـرْقبُ ... عَتِيْدُنا[1] يُحْـصِي على مَـنْ يُـذنِبُ

(٧٦٦) وَالكلِـمُ الطـيِّبُ مَـرْفوْعٌ إلى ... مَـنْ خلـقَ الأكـوَانَ جـلَّ وَعَـلا

(٧٦٧) أمَّـا الخبـيْثُ يُفـسِدُ النفوْسَـا ... يُرْضِـيْ كـذا عَـدُوَّنا إبْلِيْـسا

(٧٦٨) فـإنْ نطقـتَ بالـهُـدَىْ غنِمْـتا ... وَإنْ سَـكتَّ عَـنْ رَدًى[2] سَـلِمْتا

(٧٦٩) وَقلـلِ الكـلامَ لا تثرْثِـرِ ... فـإنْ أرَدْتَ حِكمَـةً لا تكثـرِ

(٧٧٠) فهَـلْ يَكـبُّ[3] الـناسَ في جَهَـنمِ ... إلا حـصَائدُ اللسَـانِ؟ فـاعْلمِ

(٧٧١) فامْلِكـهُ لا تُجـبْ بـهِ سَـفِيْهَا ... وَكـنْ عَـنِ الـذِيْ أتـىْ نـزيْهَا

(٧٧٢) فـإنْ سَـكتَّ رَدَّ عَـنكَ المَلـكُ ... وَشَـرَفُ الـرَّدِّ جـزَا مَـنْ يَمْلِـكُ

❊ ❊ ❊

---

(١) مع كل مكلَّف] مَلَكانِ كريمانِ، يُسَجِّلان عليه ما يقولُه وما يعمله، أحدهُما يسجِّلُ الحسناتِ، والآخرُ يكتبُ الذنوبَ والسيئاتِ، وكلٌّ منهما رقيبٌ أي: حافظٌ شاهدٌ. وعتيدٌ: أي: حاضر. قال ربُّنا ﷻ : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، ويُحْصِي: يُسَجِّلُ ويَعُدّ.

(٢) الرَّدَى: الهَلاكُ، والمَعنى: إن سَكتَّ عما فيه هلاكك أو ما يَجُرُّكَ إلى الهلاك، وهُو: الشَّرُّ والسُّوء.

(٣) يَكبُّ الناسَ ويُكبْكِبُهم: يقلبُهم على وُجُوهِهم ويَصْرَعُهم.

الفصلُ الثالِثُ والخمسُونَ : آدابُ الحِوار

(٧٧٣) وَانتق ألفاظكَ إنْ حَاوَرْتا وَانطِقْ بها إنْ قبْلَهَا فكرتا
(٧٧٤) وَوَضِّحِ الكلامَ حَتى يُفهَمَا وَاصْدُقْ وَأكثِرْ ذكرَهُ لِتلهِمَا
(٧٧٥) لا تغضَبَنْ وَلا تكنْ مُنفعِلا وَلتخفِضِ الصَّوْتَ إذا مِنكَ عَلا
(٧٧٦) وَالتزمِ الهُدُوْءَ وَالوَقارَا وَلا تثرْثرْ إنْ تدِرْ حوَارَا
(٧٧٧) بَلْ أوْجِز الكلامَ فِي[1] اللقاءِ مِثلَ التي مَشَتْ على اسْتِحْيَاءِ
(٧٧٨) وَلا تلِجْ[2] في القوْلِ بَابًا لاحِقا إلا إذا أنْهَيتَ ذاكَ السَّابقا
(٧٧٩) وَأعطِ مَنْ تُحاورُ اهْتِمَاما وَهَبْ لهُ فرْصَتهُ احْتِرَامَا
(٧٨٠) وَلا تكنْ عَنْ وَجْهِهِ مُلتفِتا بَلْ مُقبلا على الحَدِيْثِ يَا فتى
(٧٨١) وَلا تقاطِعْهُ إذا تكلمَا وَاصْبرْ على حَدِيْثِهِ كيْ يُعْلمَا
(٧٨٢) قدْوَتنا أصْغى لِتِلكَ[3] المَرْأةْ إذ جَادَلتْ في زَوْجِها بجُرْأةْ!
(٧٨٣) وَاسْتمَعَ الفارُوْقُ أيضًا قوْلها وَهْوَ أمِيْرُ الناسِ وَاقِفا لها!
(٧٨٤) وَاثبُتْ على الحَقِّ وَصُنْ مَوْقِفكا وَاحْترمِ الرَّأيَ وَإنْ خالفكا

* * *

(١) أوجزْ: اختصِرْ، واللقاء: المُقابلة، والتي مَشَتْ على اسْتِحياءِ: بنتُ الشيخ الكبير (أو: شُعَيب ﷺ): ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ...﴾ [القصص: ٢٥]، فقد اختصَرتِ الكلامَ لنبيِّ اللّهِ مُوسَى ﷺ، فلم تزدْ على أن قالت: ﴿...إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ...﴾ [القصص: ٢٥]، كمَا اختصَرَتْ هيَ وأختها من قبل: ﴿... لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص].

(٢) تلِجْ: تدخل، والمَعنى: كنْ مُنظمًا، فلا تدخلْ في موضُوع جديد، حتى تفرُغَ من الذي قبله.

(٣) أصغى: استمعَ، وتلكَ المَرأة هي: السَّيِّدَة خولة بنتُ ثعلبَة ﵂، وزوجُها: أوسُ بنُ الصَّامت ﵁، وهما سَببُ نزول سورة المُجَادلة.

الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالخمْسُونَ: آدَابُ الْمَزْح

(٧٨٥) وَأنفسُ الناسِ بِهِمْ تضِيْقُ فَينطفِي السُّرُوْرُ وَالبَرِيقُ!

(٧٨٦) والمَزْحُ يَقضِيْ غالِبًا على المَلَلْ وَيَطرُدُ الْهمَّ وَيُذهِبُ العِلَلْ

(٧٨٧) وَيَسْتعِيْدُ[1] العَزْمَ وَالنشاطا وَيَضْبطُ النفسَ لنا انضِبَاطا

(٧٨٨) وَيُدْخِلُ السُّرُوْرَ مِنكَ القلبا وَيَنعَشُ[2] الرُّوْحَ وَيَجْلو اللبا

(٧٨٩) فالمَزْحُ مِنْ خصَائِص الإنسَان وَهْوَ على التفكِيْر كالعُنوَان!

(٧٩٠) قدْ مَزَحَ النبيْ وَفِيهِ رَقَّا وَلَمْ يَقلْ في المَزحِ إلا حَقَّا

(٧٩١) وَبَعدَهُ أصْحابهُ الكِرَامُ وَهكذا الأئمةُ الأعلامُ

(٧٩٢) فليَكن المزَاحُ في الكلام كالمِلح إذ يُوْضَعُ في الطعَام

(٧٩٣) إنْ زَادَ مَزْحُنا يَكنْ ذا مُفسدَا وَالقوْلُ إنْ مِنهُ خلا تَجَمَّدَا

(٧٩٤) وَلتحْذر الكِذبَ وَالاحْتِقارَا وَكلَّ مَا يُضَيِّعُ الوَقارَا

(٧٩٥) وَالخلطَ بَيْنَ جِدِّنا وَالضِّحْكِ وَالخدْشَ لِلحَيا وَقوْلَ[3] الإفكِ

(٧٩٦) وَلا ترَوِّعْ[4] بالمزَاحِ آمِنا فليْسَ منا مَنْ يُخِيْفُ مؤمِنا

* * *

(١) قد بيَّنتُ فوائِدَ المَزح ومَحظوراتِه وضوابطهُ وشُرُوطه في مُقدِّمةِ كتابنا «طرائفُ ولطائف» فليُرْجَعْ إليه.

(٢) يَنعَشُ الرُّوحَ: يرفعُ المَعْنويَّاتِ ويتدارَكُهَا من هَلكتِهَا، ويَجْلو اللبَّ: يُصَفي العَقلَ ويُنقيه.

(٣) الإفكُ: الكذِبُ والحديثُ بالباطل.

(٤) لا تروِّعْ: لا تدخل الخوف، فليس هذا من الدِّين.

الفصلُ الخامسُ والخمسُونَ: آدابُ الخِلاف

(٧٩٧)	قَدْ غُرِسَ الخِلافُ في الخَلائِقِ	في الطبْعِ وَالآرَاءِ وَالطرَائِقِ!
(٧٩٨)	بِهَذِهِ السُّنةِ[1] يَحْيا الناسُ	﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ لنا نبرَاسُ
(٧٩٩)	لا تجْعلِ الخِلافَ للأهوَاءِ	أوْ غرَضٍ تبْغيهِ أوْ رياءِ
(٨٠٠)	أوْ لِقَرِيْبٍ مِنكَ أوْ لقاصِ	فالحَقُّ لا يُعْرَفُ بالأشْخَاصِ
(٨٠١)	لا ترْفعِ الصَّوْتَ وَلازمْ رفقا	وَكنْ مَعَ الإنصَافِ[2] وَابْغِ الحَقا
(٨٠٢)	وَاترُكْ مِرَاءً[3] ليْسَ فِيْهِ مَنفعَةْ	تسْكنْ ببَيْتِ النبيْ تزَعمَهْ
(٨٠٣)	ولا تُجادِلْ جاهِلًا يصُولُ	أوْ مَنْ لسَانُ حَالهِ يقوْلُ:
(٨٠٤)	إنْ كنتَ وفقَ رَأينا صِدِّيقُ	وَإنْ تُخالفْ رَأينا زنديقُ!
(٨٠٥)	وَإنْ رَأيْتَ الحَقَّ يَوْمًا فاعْترفْ	بهِ وَسِرْ في دَرْبهِ لا تنحَرفْ
(٨٠٦)	لا تتكبرْ يَا أخِيْ أوْ تسْتحِ	وَعُدْ حَمِيْدًا عَنكَ ذاكَ ينمَحِ
(٨٠٧)	وَقلْ كمَا قدْ قالَ كلُّ صَالِحِ	أوْ عَالِمٍ يَبْغِيْ النجَاةَ ناصِحِ:
(٨٠٨)	رَأيِيْ صَوَابٌ قدْ يَكوْنُ الغلطا	وَالغيْرُ بالعَكس وَفَارقْ شَططا
(٨٠٩)	فإنْ بَقِيتمَا بخلفٍ حَكِّمَا	وَليَكن التحْكيْمُ فصْلا حَاسِما
(٨١٠)	وَالحكمُ لِلهِ وَلِلرَّسُولِ	فاسْتفتِ أهْلَ العِلم وَالعُقولِ

---

(١) السُّنة: الطريقة. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ...﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩]، والنبرَاسُ: المِصبَاحُ والسِّرَاج.

(٢) الإنصَافُ: العَدلُ، وابْغِ: اطلبْ.

(٣) المِرَاءُ: الجدَالُ، تزَعَّمَهُ: قال: أنا زعِيمٌ به وضَامنٌ له، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربض الجنةِ لمَنْ تركَ المِرَاءَ وإن كان مُحِقا، وببيتٍ في وسطِ الجنةِ لمن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمن حسُنَ خلقه». رواهُ الترمذيُّ وابنُ ماجه ـ واللفظ لِغيرهما ـ وأبو داود والطبرانيُّ في «الثلاثة» والبيهقيُّ في «الشُّعَب».

(٨١١) تعَاوَنــا فِــيْما بـــهِ اتفقــتمَـا وَالتمِــسَا العُــذرَ إذا افتــرَقتمَـا

(٨١٢) بَيْــنكمَـا حــبْلَ الــصَّفاءِ مُــدَّا لا يُفــسِدُ الخـلافُ فِيـنا الــوُدَّا

* * *

الفصلُ السَّادِسُ وَالخمْسُونَ: آدابُ البيْعِ وَالشراء

(٨١٣) كُنْ صَادِقًا في البَيْعِ وَالشِّرَاءِ فالرِّزْقُ كلُّ الرِّزْقِ في السَّمَاءِ
(٨١٤) وَكُنْ مَعَ الأنامِ[1] سمْحا ليِّنا مُوَضحا مُجليًا مُبينا
(٨١٥) نبيُّنا لُقِّبَ بالأمينِ مصَدَّقًا قبلَ نزُوْلِ الدِّينِ
(٨١٦) واحْذرْ مِنْ الغِشِّ وَالاحْتِيالِ وَتاجِرَنْ مَا شِئتَ في الحلالِ
(٨١٧) وَلا تنفقْ[2] سِلعَةً بالقسَمِ وَلا تبعْ على أخِيْكَ المسْلِمِ
(٨١٨) لا تَحْتكرْ[3] مِنَ العِبادِ سِلعَةْ وَلا تبعْ بَعدَ أذانِ الجُمعةْ
(٨١٩) وَابْتغِ مِنْ فضْلِ الإلهِ الحَقِّ وَاذكرْ وَلا تنشَغلنْ بالرِّزقِ
(٨٢٠) لا تدْخلِ السُّوْقَ بدُوْن خِبْرَةْ فرُبَّمَا تصِيرُ فِيهِ عِبْرَةْ!
(٨٢١) فاسْألْ وَدُرْ وَابْحثْ عَنِ المَكنُوْنِ[4] فالسُّوْقُ فنٌّ ليْسَ بالظنُوْنِ
(٨٢٢) تحَلَّ بالأخلاقِ في المُعامَلَة فهْيَ لبَاسٌ سَابغٌ مَا أجْمَلَهْ!
(٨٢٣) وَادْعُ لِدِينِ اللَّهِ كلَّ حِيْنِ في مِصْرَ أوْ بالهِندِ أوْ بالصِّيْنِ

* * *

(١) الأنامُ: الخلق.
(٢) التنفِيقُ: الترْويجُ، وعكسُهُ: البَوار والكسَادُ، والسِّلعَة: البضَاعَة، والقسَمُ: الحَلِف.
(٣) الاحتِكارُ: جَمعُ الطعام ونحوه واحتباسُهُ انتظار وقت الغلاء.
(٤) ابحَثْ عن المكنون: اعرف المَخبُوءَ من الأسرار والأنظمة والأساليب والعَادات.

الفصلُ السَّابعُ وَالخمْسُونَ: آدَابُ الوَظائِفِ

(٨٢٤) وَإنْ حَبَاكَ [(١)] اللَّهُ بالوَظِيفة نافعةً رَائِقَةً شَرِيفَةْ

(٨٢٥) مُهَندِسا قَدْ كنتَ أوْ مُحَاسِبا مدَرِّسا أوْ ضَابطا أوْ كاتبا

(٨٢٦) فاذهَبْ مُبكرًا وَلا تأخرْ وَانبذ [(٢)] خُمُولا وَمِنَ العَجْز احْذرْ

(٨٢٧) وَحَصِّلِ الإخلاصَ إنْ بدَأتا وَرَاقبِ الإلهَ ما عمِلتا

(٨٢٨) وَاسْتَصْحِبَنْ بَشَاشَةَ الكِرَامِ وَانطِقْ كذا بطيبِ الكلامِ

(٨٢٩) وَارْفقْ بمنْ يأتِي وَلا تعَسِّرِ وَإنْ تنظمْ دَائِمًا لم تَخسرِ

(٨٣٠) وَوَقرِ الأعْلَىْ إذا لم ترْفعِ وَكنْ إذا رُفِعْتَ في تواضُعِ

(٨٣١) وَعَنْ مُخَصَّصَاتِهَا [(٣)] كنْ في وَرَعْ وَأتقِنِ الأعْمَالَ وَالتقصِيْرَ دَعْ

(٨٣٢) فمَنْ على الأجْر أخيَّ قدْ حَصَلْ حَاسَبهُ رَبُّ الوَرَىْ على العَمَلْ

(٨٣٣) وَلا تعَطلْ يَا أخِي المَصَالِحا وَكنْ بِهَذا الثغر [(٤)] عُضْوًا صَالِحَا

(٨٣٤) وَاحْذرْ مِنَ الرِّشْوَةِ وَالتمَلقِ [(٥)] على حِسَابِ الغيْر، وَاللَّهَ اتقِ

(٨٣٥) لا تنشَغِلْ في عَمَلٍ عَنْ ذِكرهِ وَاصْبرْ وَكنْ مُلازمًا لِشُكرهِ

* * *

(١) حَبَاكَ: أكرَمكَ ووهبَك وهَيَّأ لك، رائقة: حسَنة مُريحَة، شريفة: في الحلال المُباح.

(٢) انبذ: اطرَحْ وارْم، والخمُولُ: الكسَل والتقاعُس.

(٣) مُخصَّصَاتُ الوَظيفة: مَا أعِدَّ خِصِّيصًا لمصلحةِ العمل لا لِمصلحةِ الأفرادِ الخاصة، كالهاتف والأوراق.

(٤) الثغرُ: المَكانُ الذي يكونُ حَدًّا فاصِلا بين بلادِ المسلمين والكفار، ويكونُ مكانَ مخافة، وكلنا على ثغر من ثغور الإسلام، فلنحذرْ أن يُؤتى الإسلامُ من قِبَلِنا.

(٥) التمَلُّق: الزيادة في التوَدُّدِ والتلطفِ فوقَ ما ينبغِي، للوصُول إلى غرض، خاصَّة على حسابِ الغير.

الفصلُ الثامنُ والخمسُونَ: آدابُ المِهن

(٨٣٦)	وَإِنْ تـــزَاولْ حِـــرْفةً أوْ مِهْـــنة	تـرْجُوْ بهـا الفـوْزَ غـدًا بالجَـنة
(٨٣٧)	حـــدَّادًا اوْ نقَّاشًـــا[١] اوْ سَـــباكا	نجـــارًا اوْ خـــبازًا اوْ حـــيَّاكا
(٨٣٨)	فلتـــسْتعِنْ باللَّـــهِ تعْـــطَ الهمَّـــة	وَانـــو بهـــا الـــنفعَ لكـــلِّ الأمـــة
(٨٣٩)	وَاسْـــتنزل الأرْزَاقَ بالطاعـــاتِ	وَحاسِـبِ الـنفسَ على الـسَّاعَاتِ
(٨٤٠)	وَاسْـعَ دَؤُوْبًـا[٢] يَـا أخِيْ في حَرَكة	فكلمَـــا سَـعيْتَ نِلـتَ البَـرَكة
(٨٤١)	وَلا تغِـــشَّ أوْ تُخـــادِعْ أحـــدَا	وَلتلتـــزمْ إذا قطعـــتَ مَـــوعِدَا
(٨٤٢)	وَأفـسِح الطـريقَ[٣] لِلمُـــرُوْرِ	وَجَـنبِ الجيْـرَانَ مِـنَ شـرُور
(٨٤٣)	وَكـــنْ لِحُـــرْمَةِ البُـــيوْتِ رَاعِـــيا	ذا عفـــةٍ وَصـــادِقا مـــؤَدِّيا
(٨٤٤)	وَارْضَ مِـنَ الأجْـر بمَـا يُناسِـبُ	يُـبَارِكِ الـرَّحْمَنُ فِـيْمَا تكـسِبُ
(٨٤٥)	وَكـنْ رَفِـيْقا دَائِمًـا بـصِبْيتِكْ[٤]	وَلا تعِـبْ يَـوْمًا زَمِـيْلَ مِهْنـتِكْ

* * *

(١) النقَّاشُ: مَنْ يُزَيِّنُ الجُدْرَانَ بالأصْبَاغ والألوان، والسَّبَّاكُ: من يقومُ بمُعالجةِ توصِيل المِياهِ إلى المنازل، وإخرَاجِهَا منها، والحَيَّاكُ: من يخيط المَلابس.

(٢) دَؤُوبًا: نشيطا باستِمرار، ونِلتَ الشيءَ: ظَفِرْتَ به وحَصَلتَ عليه.

(٣) أفسِح الطريقَ: لا تضَيِّقهَا بأدواتِكَ وأجهزتك، فتضُر بمَن يمُر.

(٤) بصِبيَتِك: صِغار العُمَّال، فهُم كأبناءِك.

الفَصْلُ التاسِعُ وَالخمْسُوْنَ : آدابُ السَّفر

(٨٤٦) أسْفارُنا قِطعٌ مِنَ العذابِ ... فكنْ لِكلِّ البرِّ في اكتِسَابِ

(٨٤٧) كالحَجِّ وَالجهادِ وَالتجارَة ... وَالعِلمِ وَالدَّعوَةِ وَالسِّفارَة

(٨٤٨) وَانشَطْ وَأخلِصْ نِيَّةً مُسَافرًا ... وَاسْتخِرِ المَوْلىْ وَكنْ مُشاورَا

(٨٤٩) وَكن لِرِضْوَانِ العِبَادِ جَامِعًا ... وَرُدَّ لِلمُسْتوْدِعِ الوَدَائِعا

(٨٥٠) وَجَهِّزِ الزَّادَ مِنَ الحَلالِ ... وَأمِّنِ الإنفاقَ لِلعِيالِ

(٨٥١) وَاخترْ رفاقا مِنْ ذوي الإحْسَانِ ... وَوَدِّعِ الأهلَ مَعَ الإخوَانِ

(٨٥٢) وَبَكرَنْ فَفِي البُكوْرِ بَرَكة ... وَلتدْعُ بالأذكارِ عِندَ الحَرَكة

(٨٥٣) سُبْحانَ مَنْ سَخرَ هَذا يُرْكبُ ... وَإنا لِلهِ سوْفَ نقلبُ!

(٨٥٤) وَلتذِقِ الأصْحَابَ مِنْ إنفاقِكا ... وَاسْتصْحِبِ الرِّقة مَعْ رفاقِكا

(٨٥٥) وَلتدْعُ فالدُّعاءُ مُسْتجَابُ ... وَالقصرُ وَالإفطارُ لا يعَابُ

(٨٥٦) وَاعجَلْ إذا فرَغتَ[1] بالإيابِ ... وَاذكرْ كما ذكرْتَ في الذهَابِ

(٨٥٧) بآيبُوْنَ تائِبوْنَ عابدُوْنْ ... لِلهِ رَبِّ الكائِناتِ حامِدُوْنْ

(٨٥٨) وَلا تعُدْ بليْلةٍ تَخوُّنا[2] ... وَحَبَّذا لوْ كنتَ قبْلُ مُعْلنا

(٨٥٩) وَلتصْحَبِ المَرْأةُ مَعْهَا مَحْرَمَا ... بغيْر ذا ترْتكِبُ المحَرَّمَا

* * *

---

(١) فرَغتَ: انتهَيتَ من قضاءِ مصلحَتِكَ، وما سَافرتَ من أجلِه، والإيابُ: الرُّجُوعُ والعَودة.

(٢) لا تعُدْ: لا ترجِعْ، تخوُّنا: تفجَأ أهلك شَاكا فيهم مُلتمسًا عورَاتِهم، ومُعلِنا: مُخبرًا بهاتفٍ أو رسالة.

الفَصْلُ السِّتُّونَ: آدابُ الحَرْبِ

(٨٦٠) وَالوَيْلُ كلُّ الوَيْل فِي الحرُوْبِ ... كَمْ جَرَّتِ الدَّمَارَ لِلشُّعُوْبِ؟

(٨٦١) وَالتهمَتْ مِنْ يَابسٍ وَأخضَرَا ... وَخرَّبَتْ مِنْ مُدُن وَمِنْ قرَى؟

(٨٦٢) قدْ قاتلَ اليَهُوْدُ وَالرُّوْمَانُ ... وَالفرْسُ وَالهُنوْدُ وَاليُوْنانُ!

(٨٦٣) مَا ابْتدَعَ الإسْلامُ يَوْمًا حَرْبَا ... بلْ ابْتغى مِنَ السَّلامِ القربَا

(٨٦٤) وَخاضَهَا النبيُّ في اضْطِرَارِ ... مُدَافِعًا[1] ضِدَّ أذى الكفارِ

(٨٦٥) لا تتمَنوْهَا إذا أمنتمُ ... وَلتثبُتوا إنْ أنتمُ لقيْتمُ

(٨٦٦) فأخلِصُوا النيةَ إنْ جَاهَدْتمْ ... وَادْعُوا إلَهكمْ إذا التقيْتمْ

(٨٦٧) وَجهِّزُوا قوَّتكم بكلِّ مَا ... أوْتِيْتمُوا وَخططوا مقدَّمَا

(٨٦٨) وَلتأخُذوا الحِذرَ مِنَ الأعدَاءِ ... وَأمنوا الجبْهة في الوَرَاءِ

(٨٦٩) وَحَفزُوا[2] القوَّادَ وَالجنودَا ... وَعبِّؤُوا الأرْوَاحَ كيْ نسُوْدَا

(٨٧٠) وَأطِعِ الأمرَ وَكنْ شجاعَا ... مُضَحيًا لِلهِ، مِمَّنْ باعَا

(٨٧١) وَاسْتعْمِلِ الذكاءَ وَالزَمْ صَبْرَا ... وَشاورِ الإخوَانَ وَاكتمْ سِرَّا

(٨٧٢) وَلتحْذرِ الإحْرَاقَ وَالتعرُّضَا ... للطفلِ وَالمَرْأةِ أوْ مَنْ مَرضَا

(٨٧٣) وَالأخذَ مِنْ غنِيْمَةٍ، مَنْ يَغللِ ... يأتِ بمَا غلَّ[3] غدًا وَيسألِ

(٨٧٤) وَكن بأهْلِ الشُّهَدَاءِ رَاحِمَا ... مُبشرًا مُعَاونا مُكرِّما

---

(١) وقد بيَّنَ العُلماءُ هذا ووَضَّحُوهُ جَيِّدًا، وأبطلوا شُبهة من قالوا: إنَّ الإسلامَ انتشَرَ بالسَّيف، وراجعْ في هذا كتابَنا «أخلاقِيَّاتُ الحروب في سِيرةِ الحَبيبِ المَحْبُوب ﷺ».

(٢) حَفزُوا: استنهِضُوا الهِمَمَ والعَزَائِمَ، واغرسُوا الحَماسَة، ونسُودُ: نغلب وننتصر.

(٣) غلَّ يَغلُّ غلولا: أخذ من الغنيمةِ قبلَ التوزيع والتقسِيم، قال رَبُّنا ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١)﴾ [آل عمران].

(٨٧٥) قــدْ أمَــرَ النبــيُّ بالطعــامِ لآلِ جَعْفــرٍ[١] الفتــى الْهمــامِ
(٨٧٦) وَليَــسْتمِرَّ البــرُّ وَالإكــرَامُ لا يَنتهــيْ إنْ مــرَّتِ الأعــوَامُ
(٨٧٧) وَشَــرْعُنا نَهــى عَــن التمثِــيْلِ[٢] وَالعَــبَثِ المُهــيْنِ بالقتِــيْلِ
(٨٧٨) فــسَلمُوا الأهْــلَ أو ادْفــنوهُ لحقــهِ، فــآدَمُ أبــوْهُ
(٨٧٩) وَعامِــلِ الأسِــيْرَ[٣] بالإحْــسَانِ وَالــسَّبْيَ وَاقــرَأ سُــوْرَةَ الإنــسَانِ

* * *

(١) جَعفرُ هُوَ: الطيَّارُ جعفرُ بنُ أبي طالب، ابنُ عمِّ النبيِّ ﷺ ومن أشبهِ الناس به خلقا وخلقا، واستشهدَ في غزوةِ مُؤتة ﷺ، وعن عبدِاللّهِ بن جعفر ﷺ قال: (لما جاء نعيُ جعفر حينَ قتِل، قال النبيُّ ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم، أو أتاهم ما يشغلهم»). رواهُ أحمد ـ واللفظ له ـ وأبو داودَ وابنُ ماجه والحاكمُ وأبو يعلَى والطبرانيُّ والبيهقي في «السنن».

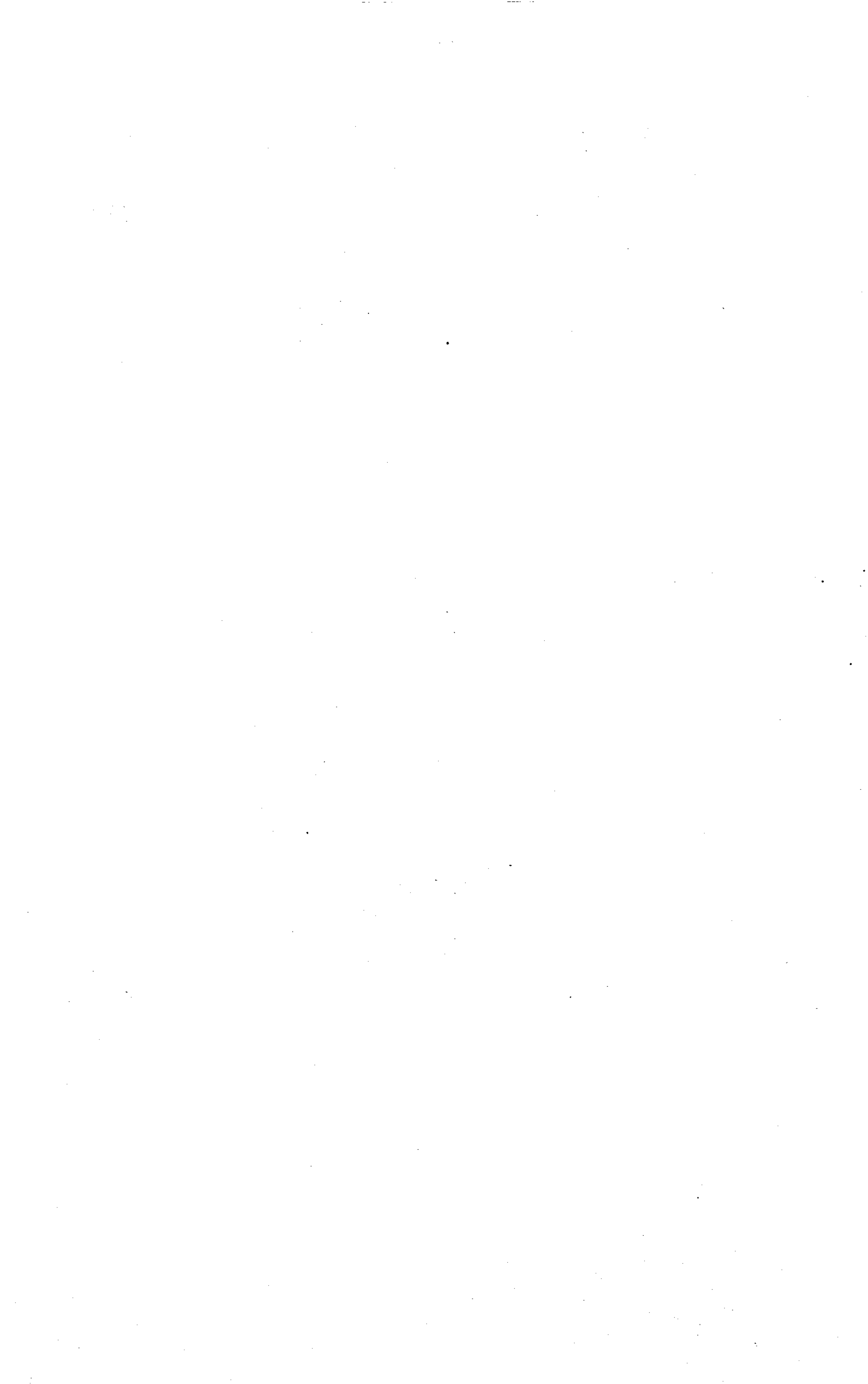
(٢) التمثِيلُ: إهانة القتيل بعدَ قتلِه، والعبَثُ بجسدِه، كقطعِ أنفِه أو أذنِه.

(٣) الأسِيْرُ: الذِي يُلقى عليهِ القبضُ من الأعداءِ، والسَّبيُ: المَرأة التي تؤخذ في الحرب، وسُورة «الإنسان» تحدَّثتْ عن حُسن مُعَاملةِ الأسير في قول اللّهِ ﷻ في صفاتِ الأبرار: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان].



البابُ الثاني

الأخلاقُ الإسْلاميَّة



الفصلُ الأوَّلُ: خلقُ الإخلاص

(٨٨٠)	إخلاصُـنا إفـرَادُنا الأعْمَـالا	لِلَّـهِ وَحـدَهُ كـذا الأقـوَالا
(٨٨١)	صَـلاتنا وَنـسْكنا[1] مَحـيانا	مَماتـنا نـصْرفها إذعانـا
(٨٨٢)	لا نبْتغِـيْ بدِيْنِـنا سِـوَاهُ	فالكـلُّ مَخلـوْقٌ فـلا نخـشاهُ
(٨٨٣)	وَ«إنمـا الأعْمـالُ بالنـياتِ»[2]	قاعِـدَةُ الإسْـلامِ في ثـباتِ
(٨٨٤)	فنِـيةٌ مِـنْ غيْـر شُـغلٍ تقـبَلُ	وَطاعَـةٌ مَـعَ الـرِّياءِ تُهمـلُ!
(٨٨٥)	وَمَـنْ أتـىٰ بالـشِّرْكِ في الأعْمَـالِ	يَتـرُكهُ المَوْلـىٰ وَلا يبالِـيْ
(٨٨٦)	وَيَجْعـلُ الأعْمَـالَ كالْهَـباءِ	مَنـثوْرَةً خفَّـتْ على الأجْـوَاءِ
(٨٨٧)	وَهـدَّدَ اللَّـهُ النبـيْ[3] وَمَـنْ سَبَقْ	فالزُّمَـرَ اقـرَأ يَـا أخِـيْ فالقـوْلُ حَقّ
(٨٨٨)	إنْ عَمـلا أتيْـتهُ أشـرَكتا	لكـانَ مُحْـبَطًا كـذا خسِرتا
(٨٨٩)	وَأخبَـرَ النبـيُّ عَـنْ جهـنمَـا	إذ يَـبْدَأ التـسْعِيْرُ حَتـىٰ تـضْرَمَا
(٨٩٠)	ثلاثـةٌ يُدْنِـيهمُ العَلِـيْمُ	عَـالِمُهمْ جَـرِيْئهمْ كـرِيمُ!
(٨٩١)	مُـوَبَّخا لِفِعلِهـمْ مُكـذبا	فكلهُـمْ إخلاصُـهُمْ عَـنهُمْ نـبا

---

(١) النسُكُ: العِبادَة والطاعة، وما أمرتْ به الشريعَة، والنسكُ: الذبحُ ـ أيضًا ـ، وإذعَانًا: تسليمًا وانقِيَادًا.

(٢) عن عمرَ بن الخطابِ ﷺ قال: سمعت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكلِّ امرئ ما نوَى، فمن كانت هجرته إلى اللَّهِ ورسُولِه، فهجرَته إلى اللَّهِ ورسُولِهِ، ومن كانتْ هجرته لدنيا يُصيبُها، أو امرأةٍ ينكحُها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». رَواهُ أحْمدُ والبُخاريُّ ومُسلِمٌ وأبو داود والنسائِيُّ والترمِذِيُّ وابنُ مَاجه وابنُ خزيمة وابنُ حبَّانَ والبزار. وهذا الحدِيثُ أحَدُ الأحاديثِ الأربعةِ التي عليها مدارُ الدين.

عُمْدَةُ الدِّيْن عِندَنا كلمـاتٌ   أربعٌ مِنْ كـلام خيـر البَرية
اتق الشبُهاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ ما   ليْسَ يَعْنِيْـكَ وَاعْمَلـنْ بنِيـة

(٣) يُشِيرُ البيتُ إلى قول المولى ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

(٨٩٢) فاعْــبُدْهُ وَاحْـــذرْ دِقـــةَ الـــرِّياءِ فهْـــوَ كـــدَبِّ الـــنمْلةِ الــسَّوْدَاءِ!

(٨٩٣) وَحـــصِّلِ الإخْـــلاصَ إنْ عَـــبَدْتهُ وَكـــنْ لـــهُ مـــمَّنْ أرَادُوا وَجْهـــهُ

(٨٩٤) لا لافـــتِخارٍ أوْ لِمَـــدْحِ زَائـــلِ أوْ لـتُـرَائِـــيْ بَـــشرًا بالـــبَاطِلِ

(٨٩٥) فكـــلُّ أغـــرَاض الـــوَرَىْ سَـــرَابُ أمَّـــا الـــوَرَىْ وَإنْ عَلـــوا تـــرَابُ!

(٨٩٦) إخلاصُـــنا رُوْحٌ لـــنا وَقـــوْتُ بدُوْنـــهِ أعمالـــنا تَمـــوتُ!

* * *

الفصلُ الثاني: خلقُ الإيْقان

(٨٩٧) وَاعْلَـمْ بـأنَّ كـلَّ هَـذا الـدِّيْن لا يَنبَنِـيْ إلا على اليَقِـين

(٨٩٨) فكـنْ بمَـا أتـاكَ مِـنهُ مؤمِـنا وَجَازمـا مُـصَدِّقا وَموْقـنا

(٨٩٩) وَاتـرُكْ حَبيْبـي كـلَّ مَـا يَـريْبُكا[1] وَاعْمِـدْ إلى الحَـقِّ فـلا يَـضِيرُكا

(٩٠٠) اللَّـهُ رَبـيْ لـيسَ فِـيهِ شـكُّ وُجُـوْدُهُ في القلـبِ لا يَـنفكُّ

(٩٠١) وَوَحْـيهُ القـرْآنُ وَهـوَ نـوْرُهُ صِـرَاطهُ مَـنهَجهُ دُسْـتوْرُهُ

(٩٠٢) مُـحَمـدٌ نبيـنا رسُـوْلنا وَهدْيـهُ وَشـرْعهُ سَـبيْلنا

(٩٠٣) وَالـبعثُ حَـقٌّ لا امْتِـرَاءَ فـيهِ قـدْ فـازَ مـنْ مِـنْ هـولِهِ يَكفِـيهِ

(٩٠٤) وَالمُـتقوْنَ آمـنوا بالغـيبِ هـدُوا وَصَـدَّقوا بغيْـرِ رَيـبِ

(٩٠٥) أهْـلُ الـنفاق أرْجَفـوا[2] وَرَدَّدُوا كـذبا وَبَـينَ رَيْـبهِمْ تـرَدَّدُوا

(٩٠٦) عَـدُوُّنا الـشَّيْطانُ جَـا[3] مُوَسْوسَـا يَبْغِـيْ مِـنَ المُـؤْمِنِ أنْ يُهلوسَـا!

(٩٠٧) فكـمْ رَأيْـنا مَـنْ أتـىْ لِيَطهـرَا مُكـرِّرًا قـدْ يَـسْتزيْدُ الأنْهُـرَا!

(٩٠٨) أوْ كـرَّرَ التكبيْـرَ في الإحْـرَامِ مُوَسْوَسًـا يَـشكُّ في الإحْكـامِ[4]!

(٩٠٩) وَمَـنْ تـلا فاتِحـةَ الكِـتابِ عـدَّةَ مـرَّاتٍ مِـنَ ارْتـيابِ!

---

(١) يَريبُك: يُدخِلُ الرَّيبَ والشكَّ في قلبك، ولا يَضِيرُك: لا يَضُرُّكَ، بل ينفعُكَ ويُقوِّيك.

(٢) أرْجَفوا: خاضُوا في الأخبار الكاذبة وَوَلدُوهَا، ليكونَ بها اضطرابٌ في الناس، قال ﷻ: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب]، وترَدَّدُوا: تحَيَّرُوا، قال ﷻ: ﴿... وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة].

(٣) جَا: جَاءَ، ويبغِي: يُريدُ، يُهلوسُ: يَهذِيْ ويفقدُ عَقله.

(٤) الإحكام: إتقان التكبير، وهل خرجَ كلُّ حرفٍ من مَخرجه! وهل كانت الألفاظ مُوافقة لقواعِدِ اللغة، تلبيسًا.

(٩١٠) أَوْ ظَـنَّ هَـذا ناطِقـا يَعْنِـيْهِ! أَوْ أَنَّ ذاكَ بـالأذىْ يَـرْمِيهِ!

(٩١١) وَمَـنْ رَأَىْ شَخـصًا يُمَاشِـيْ أنثـىْ فظَـنَّ سُـوْءًا بهمـا أَوْ خبـثا!

(٩١٢) أَوْ أَحْكَـمَ الأبـوَابَ في الإقفـالِ ثـمَّ هُـناكَ صَـارَ في بَلـبالِ!

(٩١٣) وَمَـنْ أتـتْ لـنارها وَأطفـأتْ وَأكـدَتْ بـيَدِها إذ لَمَـسَتْ

(٩١٤) ثـمَّ اسْـتبَانتْ عَيْـنُهَا وَأُذْنُهـا وَبَعْـدَهَا شـككهَا شـيْطانُها!

(٩١٥) فـإنْ ظنـنتَ يَـا أخِـيْ فحَقـقِ وَلتـسْتعذ باللَّـهِ ثـمَّ دَقـقِ

(٩١٦) فقطعُـكَ الـشكَّ هـوَ اليَقـيْنُ واللَّـهُ مَـوْلانا هـوَ المُعِـينُ

* * *

الفصلُ الثالِثُ: خلقُ الصِّدْق

(٩١٧) وَالصِّدْقُ وَالإِيْمَانُ في اتفاقِ ... وَالكِذبُ مِنْ علامَةِ النفاقِ
(٩١٨) فاصْدُقْ فذا مِنْ صِفةِ الرَّحْمَنِ ... ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾[1] مِنَ الإيْمَانِ
(٩١٩) وَالرُّسْلُ فِيْهِمْ خلقٌ أصِيلُ ... وَصَادِقُ الوُعوْدِ إسْمَاعيلُ
(٩٢٠) كذا بهِ قدْ جَاءَنا الرَّسولُ ... في كلِّ مَا يُخبرُ أوْ يقوْلُ
(٩٢١) وَلقبَ الرَّسوْلُ في صِباهُ ... بالصَّادِقِ الأمِيْنِ مَا أبْهَاهُ!
(٩٢٢) وَفارَقَ الكذابَ مِنهُمْ وَنبَا ... إذ لم يُجَرِّبوا عَليْهِ الكذِبا
(٩٢٣) وَصَحْبهُ رُبوا على يَدَيهِ ... قدْ صَدَقوا مَا عَاهَدُوا عَليْهِ
(٩٢٤) صِدِّيْقنا لقبَ ذا بحقِّ ... وَصَدَّقَ الذِيْ أتى بالصِّدْقِ
(٩٢٥) وَاسْمَعْ جَوَابَ المُجْتبَىْ إذ يُسْأَلُ ... أيَجْبُنُ المُؤمِنُ؟ قالَ: يَحْصُلُ
(٩٢٦) فقِيْلَ: هَلْ يَبْخَلُ يَوْمًا بالنعَمْ؟ ... فقالَ مَنْ أدَّبهُ رَبِّي: نعمْ
(٩٢٧) فقِيْلَ: هَلْ يَكذِبُ دَوْمًا قائِلا؟ ... أجَابَ عِندَ الكِذبِ: لا هَذا بَلا
(٩٢٨) وَسَمِعَ المَرْأةَ إذ تدْعُو ابْنهَا ... وَهْيَ تُمَنِّيْهِ عَطاءَ مَا اشتهَىْ
(٩٢٩) فقالَ: هَلْ تعْطِيْنه إنْ أقبلا؟ ... قالتْ: نَعَمْ أعْطِيْهِ مِنْ تَمْرٍ حَلا
(٩٣٠) فقالَ لِلتعْلِيْم: لوْ لم تدْفعِ ... لسُجِّلتْ عَليْكِ كِذبَةٌ فعِ!
(٩٣١) وَالكِذبُ مَالَ الخلقُ عَنهُ مَيْلا ... وَتنفرُ الأمْلاكُ مِنهُ مِيْلا!
(٩٣٢) وَالكذبُ لِلمَزْحِ وَلِلإضْحَاكِ ... حَرَّمهُ الشَّرْعُ فلا تُحَاكِ
(٩٣٣) وَالكِذبُ في الرُّؤيَا لدَى المَنامِ[2] ... عَنهُ نهانا سَيدُ الأنامِ

---

(١) ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا...﴾ [آل عمران: ٩٥]، ومِن الإيمان أنْ تصِفَ اللَّهَ بالصِّدق.

(٢) إن الكذب في الأحلام والرؤى من أشد أنواع الكذب ومن أقبح أصنافه، قال ﷺ: **«أفرَى الفِرَى أن يُرِيَ الرَّجُلُ عينيه ما لم ترَيَا»**. رواهُ أحْمدُ والبخاريُّ. و**«أفرى الفِرى»** يعني: أكذب الكذب، وأخطر

(٩٣٤) فـإنْ لـزِمْتَ الـصِّدْقَ يَهـدِ اللَّـهُ قلـبكَ لِلبـرِّ كـذا تَخـشاهُ

(٩٣٥) فارْفـعْ شِـعَارَ الـصِّدْق في الحَـيَاةِ واركـبْ أخِـيْ سَـفِيْنة الـنجَاةِ

(٩٣٦) فالـصِّدْقُ يُنْجـيْ دُمْ على أنْ تسْلكهْ وَإنْ ظنـنتَ أنَّ فِـيْهِ الـتهْلكةْ!

❊ ❊ ❊

= أنواعه، لذلك بيَّنَ النبيُّ ﷺ عقوبة من يقعُ في هذا النوع من الكذب، فقال ﷺ: «من تَحَلَّمَ بحُلم لم يَرَه، كلفَ أنْ يعْقِدَ بينَ شَعِيْرَتين، ولنْ يفعَل». رواهُ البخاريُّ والترمذيُّ وابنُ ماجه والطبرانيُّ في «الكبير»، والتكليفُ بالعقدِ بينَ حَبتي الشَّعير والرَّبطِ بينهما تكليفٌ بمستحيل، أيْ: يُكلفُ بشيءٍ لا يحدُثُ، كما أنه ادَّعَى في الدنيا حُدُوثَ شيءٍ وهو لم يحدث ونسبه للواقع! وهو كناية عن إرهاقِه وإتعابه، وإهانتِه واحتقاره، ثم يحيقُ به عذابُ اللَّهِ الذي أعَدَّهُ للكاذبين، وراجعْ في هذا كتابَنا: «رَأيتُ النبيَّ ﷺ».

الفصلُ الرَّابعُ: خلقُ الأمَانة

(٩٣٧) حافظْ على تأدِيةِ الأمَانة وَاحْذرْ مِنَ التضْييْع وَالخِيَانة
(٩٣٨) فالشرْعُ حَثنا على الأداءِ وَحَرَّمَ الغدْرَ مَعَ الأعدَاءِ!
(٩٣٩) فإنْ تَخفْ خِيَانةَ التِوَاءِ فانبذ إليهمُ على سوَاءِ
(٩٤٠) جبْريلُ عِندَ رَبهِ مَكِينُ ذُوْ مِرَّةٍ [1] بوَحيهِ أمِينُ
(٩٤١) وَالأنبياءُ بالأدَاءِ وُصِفوا وَاشْتهرُوا بحِفظِهَا وَعرفوا
(٩٤٢) وَالصَّادِقُ الأمِيْنُ يَوْمَ الْهِجْرَةْ رَدَّ أمَانَاتِ العتاةِ الفجرَةْ!
(٩٤٣) أدَّىْ أبُوْعُبيدَةٍ بالهمَّةْ فصَارَ بَيْنهمْ أمينَ الأمةْ
(٩٤٤) وَالمَرْءُ يَغدُو فاقدًا إيْمَانهْ إنْ سُلِبَتْ مِنْ قلبهِ الأمَانةْ
(٩٤٥) وَإنْ غدَتْ في أرْضِنا مُضَاعةْ فلتستعدَّ لِوُقوْعِ السَّاعَةْ
(٩٤٦) لا تستهنْ فإنها ثِقالُ قدْ أبَتِ السَّمَاءُ وَالجبالُ!
(٩٤٧) مَيْدَانها مُتسعٌ فلتَرْعَهَا تشْمَلُ كلَّ نِعْمَةٍ أوْدِعتها
(٩٤٨) كالدِّيْنِ وَالعَقلِ مَعَ الوَدَائِعِ وَالأهْلِ وَالمَال وَغيْر الذائِعِ [2]
(٩٤٩) فليُبْرِئِ المُسْلِمُ دَوْمًا ذِمَّتهْ مُؤَدِّيا مؤْتَمَنًا أمَانته

❊ ❊ ❊

(١) ذو مِرَّةٍ: صَاحِبُ قوَّةٍ وشِدَّةٍ ومَنظر حَسَن.
(٢) غيرُ الذائِع: السِّرُّ الذي يُكتمُ ويُصَانُ ولا يُنشَر.

الفصلُ الخامسُ: خلقُ الحِلم

(٩٥٠) أمْسِكْ زمَامَ النفسِ حِيْنَ تغضَبُ ... وَأخـز شَيْطانكَ فهْوَ يَقرُبُ
(٩٥١) وَلتضْبطنَّ غَاضِبًا أعْصَابَكا ... وَلتصْبرَنْ على الذِيْ أصَابَكا
(٩٥٢) إنْ تسْتعِذْ أثناءَهُ باللَّهِ ... يكفِكَ مِنْ إمامِ[1] كلِّ لاهِ
(٩٥٣) ليْسَ الشَّدِيْدُ بالذِي يُصارعُ ... لكنهُ لِلنفسِ دَوْما رَادِعُ
(٩٥٤) وَأحْلمُ الخَلقِ على العُمُوْمِ ... مَن وَجْهُهُ سَرَّىْ[2] عَن المَهْمُوْمِ
(٩٥٥) فقدْ أتىْ إليهِ يَوْما جلفُ[3] ... فظٌّ غلِيْظٌ قدْ حَدَاهُ العنفُ
(٩٥٦) وَشدَّهُ مِنْ فتحَةِ الرِّدَاءِ ... مُؤثرًا في الصَّفحَةِ[4] البَيْضَاءِ!
(٩٥٧) وَقالَ: أعْطِنِيْ فليْسَ هذا ... مَالك يَا مُحمَّدُ وَآذىْ!
(٩٥٨) فهَمَّ صَحبهُ ليَرْدَعوْهُ[5] ... مِنْ غيْظِهِمْ فقالَ: لا، دَعوْهُ
(٩٥٩) وَلانَ في الحَدِيْثِ مُصْطفانا ... وَزَادَهُ حَتى انثنىْ[6] عِرْفانا!
(٩٦٠) وَلقنَ الأصْحَابَ فِيهِ دَرْسا ... في الحِلمِ وَالدَّعْوَةِ ليْسَ يُنسَىْ
(٩٦١) وَجاءَهُ في قِسْمةٍ وَأبْصَرَهْ ... مُنافِقٌ يُدْعَىْ بذِي[7] الخُوَيْصِرَهْ

---

(١) إمامُ كلِّ لاه: أبو مُرَّة، الشيطانُ الرَّجيم، فهُو إمامُ أئمَّةِ الكفر.
(٢) وَجهُهُ سَرَّى عن المَهموم: طلعَتهُ فرَّجتْ عن المهموم وأزاحَتْ هَمَّه، والمَعنيُّ في البيت: النبيُّ ﷺ.
(٣) الجلفُ: ذو الجَفاءِ والقسْوَة والعُنفِ، وحَدَاهُ: سَاقه، والعُنفُ: نقيضُ الرِّفق واللين.
(٤) الصَّفحَة البيضاءُ: صَفحة عُنق النبيِّ ﷺ، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: «كان عُنقُ رسُول اللَّهِ ﷺ كأنهُ إبريقُ فِضَّة!». رواهُ الطبريُّ في «التاريخ» وابنُ سعدٍ في «الطبقات».
(٥) لِيَرْدَعُوهُ: لِيَبطِشُوا به ويُؤدِّبُوهُ، وَدَعُوْهُ: اترُكوه.
(٦) انثنى عِرْفانا: رَجَعَ من عندِ النبيِّ ﷺ شَاكِرًا مَادِحًا، مُعترفًا بالعَطاءِ الجَزيل، والخلق النبيل.
(٧) عن أبي سعيدِ الخدري رضي الله عنه قال: (بينما نحن عندَ رسول اللَّه ﷺ، وهو يقسِمُ قسمًا، أتاه ذو الخُوَيْصِرَة، وهو رجلٌ من بني تميم، فقال: يا رسولَ اللَّهِ اعدِلْ، فقال: «ويلكَ! ومَن يعدلُ إذا لم

(٩٦٢) فقــالَ في وَجْـهِ عَظِـيْمِ الجـاهِ: إنــكَ مَــا أَرَدْتَ وَجــهَ اللَّــهِ!

(٩٦٣) فطلــبَ القــتلَ لــهُ الفــارُوْقُ فقــالَ: دَعــهُ فلــهُ مُــرُوْقُ

(٩٦٤) مِــنْ دِيْنِـنا مِـثلُ مُـرُوْقِ الـسَّهْمِ فخــرَجُوا بالجَهْــلِ لا بــالعِلمِ

(٩٦٥) وَبَيْـنمَا الـسَّجَّادُ زَيْـنُ العَابـدِيْنْ جَاريَــةٌ صَــبَّتْ لــهُ على الــيَدَينْ

(٩٦٦) إذ سَــقطَ الإبْــريْقُ مِــنْ يَــدَيْها فَــشَجَّهُ[1] ثــمَّ رَنــا إلــيها

(٩٦٧) ففــزعَتْ مِــنْ نظــرَةٍ وَوَجلــتْ لكِــنهَا لمَّــا عَلــيْهِ قــدْ تلــتْ:

(٩٦٨) ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ﴾[2] أعــــتقهَا وَكظــــمَ الدَّفيــــنا

(٩٦٩) فمَكّــنِ الحِلــمَ مِــنَ الأعْمَــاقِ فــالحِلمُ حَقــا سَــيِّدُ الأخــلاقِ

* * *

= أعدلْ؟ قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل»! فقال عمرُ: يا رسولَ اللَّهِ، ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دعْه، فإن له أصحابًا، يحقرُ أحدُكم صلاته مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامِهم، يقرؤون القرآنَ لا يُجاوزُ تراقيَهم! يمرُقون من الدين، كما يمرقُ السهمُ من الرميَّة... آيتهم رجلٌ أسودُ، إحدى عضُدَيهِ مثلُ ثدي المرأة، أو مثلُ البُضعة تدردر! ويخرجون على حين فرقةٍ من الناس»! قال أبو سعيدٍ ﷺ: فأشهدُ أني سمعتُ هذا الحديثَ من رسول اللَّهِ ﷺ، وأشهدُ أن عليَّ بنَ أبي طالب قاتلهم (يعني: الخوارجَ) وأنا معه، فأمر بذلكَ الرجل، فالتمِسَ، فأتِيَ به حتى نظرتُ إليه على نعتِ النبيِّ ﷺ الذي نعته). رَوَاهُ أحْمدُ ـ واللفظ لغيره ـ، وَالبُخاريُّ ومُسلمٌ والنسائيُّ وابنُ أبي شيبة.

(١) شَجَّهُ: جَرَحَه، ورَنا: نظر والتفت.

(٢) ﴿...وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران]، الدَّفين: الغيظ .

الفصلُ السَّادِسُ : خلقُ التواضُع

(٩٧٠) وَالــزَمْ تواضُــعا وَدَعْ تكبــرَا وَانظرْ لِما اسْتقرَّ [١]فِيْكَ أوْ جَرَىْ

(٩٧١) هَــلْ تخــرقُ الأرْضَ وَإنْ قويْــتا؟ هَــلْ تقهَــرُ الــذبَابَ إنْ أوْذِيْــتا؟

(٩٧٢) قدْوَتــنا قــدْ رَكِــبَ البُــرَاقا وَجــاوَزَ الأمــلاكَ وَالطــباقا!

(٩٧٣) واللَّــهُ زَكــاهُ بــشرْحِ الــصَّدْرِ وَوَضْــعِ وزْرِهِ وَرَفــعِ الذكــرِ!

(٩٧٤) وَضَــرَبَ الأمْــثالَ في التوَاضُــعِ فارْجــعْ إلى سِــيْرَتِهِ وَرَاجــعِ

(٩٧٥) فكــانَ دَائِمًــا جــوَارَ أهلــهِ في حَلــبِ شَــاتِهِ وَخــصْفِ نعْلــهِ!

(٩٧٦) كــمْ مَــرَّةٍ يَجْلِــسُ فــوْقَ الأرْضِ مُنغمِــسًا بــصَحْبِهِ في العَــرْضِ

(٩٧٧) وَحَفــرَ الخــندَقَ مَــعْ أصَــحَابِهِ حَتــى تغطــى الــبَطنُ مِــنْ تــرَابِهِ

(٩٧٨) وَحِــيْنَ جــاءَ مَكــةً لِيَفــتحا نكــسَ مِــنْ تواضُــعٍ وَسَــامحا

(٩٧٩) إبْلِيْــسُهُمْ مِــنْ أجْــلِ أنْ تعَاظمــا أنــزَلهُ الجَــبَّارُ مِــنَ فــوْقِ الــسَّمـا!

(٩٨٠) وَانظــرْ لِمــا قــدْ حَــلَّ بالقــرُوْنِ وَمَــا جــرَىْ لِلقــصْرِ مَــعْ قــارُوْنِ

(٩٨١) وَمَــا أتــىْ فِــرْعوْنَ ذا الأوْتــادِ حِــيْنَ طغــا وَعــاثَ في الــبلادِ

(٩٨٢) بَعُوْضَــةٌ أهْلكــتِ النمْــرُوْدَا [٢]! وَصَــيحَةٌ قــدْ دمــرَتْ ثمُــوْدَا!

(٩٨٣) فاخــضَعْ [٣]وَدِنْ لِلــهِ بالإذعــان وَكــنْ أخِــيْ مِــنْ عَابــدِي الــرَّحْمَن

---

(١) استقرَّ فيكَ أو جَرى: بقِيَ في حَشَاكَ وجَوفِكَ، أو خرجَ عنكَ، من القاذوراتِ والأذى! فعليك بالتواضع.

(٢) هو: نمرُودُ بنُ كنعَانَ، ملكَ العرَاقَ وتجبَّرَ، وهو الذي حَاجَّ إبرَاهيمَ في ربِّه، وألقى نبيَّ اللّهِ إبراهيمَ ﷺ في النار، فعَاقبَهُ اللّهُ بأنْ سَلط عليهِ بعُوضة دخلت في خيَاشِيمِه، فكانَ لا يهدأ ولا يرتاحُ إلا إذا ضُربَ على رأسِه! وبقي هكذا مُدَّة ثمَّ هلك.

(٣) اخضعْ: تواضَعْ، وكنْ من عبادِ الرَّحمَن المُتواضِعين: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣].

(٩٨٤) فمَـــنْ تواضَـــعْ لِلّـــهِ رُفِعـــا   وَذلَّ مَـــنْ تكبـــرَنْ وَوُضِـــعا

* * *

الفصلُ السَّابعُ : خلقُ الكرمِ والسَّخاء

(٩٨٥) تَحَلَّ بالجُودِ وَكُنْ سَخِيا ... يُحْبِبْكَ رَبُّ الخلقِ يَا أخيا

(٩٨٦) فاللَّهُ رَبِّيْ أكرَمُ الكِرَامِ ... وَمغدِقُ(١) العطاءِ للأنامِ

(٩٨٧) وَمَلَكُ الصَّبَاحِ يَدْعُوْ بالخلفْ ... لِمُنفِق، وَلِلبَخِيْلِ بالتلفْ

(٩٨٨) نبينا بالجُوْدِ رَبِّيْ أرْسلَهْ ... فكانَ فِيْهِ مِثلَ رِيْحِ مُرْسَلة

(٩٨٩) وَغرَسَ الجُوْدَ بأهْلِ بَيْتِهِ ... بقوْلِهِ وَفِعلِهِ وَسمْتِهِ

(٩٩٠) قالَ لأمِّ المُؤْمِنِيْنَ الطاهِرَة: ... وَذبَحُوا شَاةً وَكانتْ حَاضِرَة

(٩٩١) وَوَهبُوا لِمَنْ غدَا وَالآت ... مَاذا بَقِيْ مِنَ لحْمِ تِلكَ الشاةِ؟

(٩٩٢) قالتْ لهُ: قدْ نفِدَتْ إلا الذرَاعْ ... فقالَ: لا، بَلْ بَقِيَتْ، فلا ضَيَاعْ

(٩٩٣) وَعلَّمَ السَّخاءَ للأصْحابِ ... فبَادَرُوا بالبَذلِ كالسَّحابِ

(٩٩٤) صِدِّيْقنا أنفقَ كلَّ المالِ! ... أبْقى النبيَّ بَعْدَ ذِيْ الجلالِ

(٩٩٥) مَا ضَرَّ مَا يَعْمَلهُ عُثمَانا ... إذ جَهزَ الجَيْشَ(٢) رَوَى الظمْآنا

(٩٩٦) أخو النبيِّ(٣) أطعَمَ الطعامَا ... مَعْ حبهِ وَآثرَ الأيتاما

---

(١) مُغدِقُ العَطاءِ: مُنزِلُهُ بكثرةٍ ووفرة، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن].

(٢) جَهَّزَ عُثمانُ رضي الله عنه جيشَ العُسرَة «تبوك»، فقد أعانَ فيها بثلاثِمائةِ بعير، وألفِ دِينار، وروَى أصحابَ النبيِّ ﷺ وسقاهُم حينَ حَفرَ لهم بئرَ رُومَةَ في المدينة المنورة، فعن أبي عبدِالرحْمن رضي الله عنه: (أن عثمانَ رضي الله عنه حيث حُوصِرَ أشرَفَ عليهم، وقال: أنشدُكم اللَّهَ، ولا أنشدُ إلا أصحابَ النبيِّ ﷺ، ألستم تعلمونَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَن حفرَ رُومَةَ فله الجنة»، فحفرتُها؟ ألستم تعلمون أنه قال: «مَن جهز جيشَ العسرةِ فله الجنة»، فجهزته؟ قال: فصدَّقوه بما قال). رَواهُ البُخاريُّ.

(٣) أخو النبيِّ ﷺ: لقبٌ لقبَ بِهِ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه، فعن سعدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال لعليٍّ رضي الله عنه: «أنتَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي». رواهُ أحْمدُ ومسلمٌ ـ واللفظ لِغيرهما ـ، والترمِذِيُّ والبزارُ وأبو يَعلَى والطبرانيُّ في «الأوسطِ» ورواهُ النسَائِيُّ عن أسماءَ بنتِ عُمَيس.

(٩٩٧) وَخالِـدٌ أمْـوَالُهُ[١] في الوَقْـفِ!	وَقَـدْ دَعَـا النبـيُّ لابـن عـوْفِ
(٩٩٨) وَخالِـدُ بْـنُ زَيـدٍ[٢] الأنـصَاريْ	أضَـافَ خيْـرَ الأنبـيَا في الـدَّار
(٩٩٩) وَبـشرَ النبـيْ أبَـا الدَّحْـدَاحِ[٣]	وَقـالَ: كـمْ عِـذقٍ لـهُ رَدَاحِ؟
(١٠٠٠) فـارْمِ بكـلِّ جَانِـبٍ بـسَهمِ	حَتـى تكـوْنَ كالـسَّمَـا[٤] إذ تَهْمِيْ
(١٠٠١) أوْ جُـدْ أخِـيْ بـدِرْهَمٍ أوْ فلـسِ	وَقـاكَ رَبِّـيْ شـرَّ شُـحِّ الـنفسِ
(١٠٠٢) قـدْ أهْلـكَ الـشُّحُّ الـذينَ قبلـنا	إذ سَـفكوا الـدِّمَا وَخاضُوا في الزِّنا

* * *

(١) هُوَ: سيفُ اللَّهِ المسلول خالدُ بنُ الوليد، فعن أبي هريرةﷺ قال: (بعث رسولُ اللَّهِﷺ عمرَ على الصدقة، فقيل: منع ابنُ جَميل، وخالدُ بنُ الوليد، والعباسُ عمُّ رسول اللَّه! فقال رسولُ اللَّهِﷺ: **«ما ينقمُ ابنُ جَميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناهُ اللَّه! وأما خالدٌ فإنكم تظلمونَ خالدا! قد احتبس أدراعَه وأعتادَه في سبيل اللَّه! وأما العباسُ فهي عليَّ ومثلها معها»**، ثم قال: **«يا عمر، أمَا شعرتَ أن عمَّ الرجل صِنوُ أبيه؟»**). رواهُ البخاري ومسلم ـ بهذا اللفظ ـ وأبو داود والنسائي وأحْمد وابن خزيمة وابن حبان والبيهقي في «السنن».

(٢) هُوَ: أبو أيُّوبَ الأنصاريُّﷺ، أكرمُ الناس أضيافًا، فقد برَكت ناقة رسُول اللَّهِﷺ أمامَ بيتِه، فتشرَّفَ باستضافةِ النبيِّﷺ في دَاره لمدةِ ستةِ أشهُر، حتى بُنِيَت حُجرة النبيِّ ومسجدُه، ودُفنَﷺ تحت أسوار القسطنطينيةِ سنة (٥٢ هـ).

(٣) هُو: ثابتُ بنُ الدَّحدَاح الأنصاريُّ، والعَذقُ بالفتح: النخلة بحملِها، **والعِذقُ** ـ بالكسر ـ: العَرجُونُ بما فيه من الشماريخ، ورَدَاحٌ: عظيمٌ ثقيل، وعن أنس بن مالكﷺ: (أن رجلًا قال: يا رسولَ اللَّهِ، إن لفلان نخلة، وأنا أقيمُ حائطي بها، فأمُرْهُ أن يعطيَني، حتى أقِيمَ حائطي بها، فقال له النبيُّﷺ: **«أعطِها إياه بنخلةٍ في الجنة»**، فأبى! فأتاه أبو الدحداح فقال: **«بعني نخلتك بحائطي»**، ففعل، فأتى النبيَّﷺ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إني قد ابتعتُ النخلة بحائطي، قال: فاجعلها له فقد أعطيتكها، فقال رسولُ اللَّهِﷺ: **«كمْ من عِذق رِدَاح لأبي الدحداح في الجنة؟»** ـ قالها مرارًا ـ، قال: فأتى امرأته فقال: يا أمَّ الدَّحداح، اخرجي من الحائط، فإني قد بعته بنخلةٍ في الجنةِ، فقالتْ: ربحَ البيعُ. ـ أو كلمة تشبهها ـ). رواهُ أحْمدُ والبزارُ وابنُ حِبَّانَ والحاكمُ والطبرانيُّ.

(٤) **كالسَّمـا إذ تَهمِي**: كريمًا سَخِيًّا مثلَ السَّماءِ حينَ تمطرُ.

الفصلُ الثامنُ : خلقُ الإيثار

(١٠٠٣) إيْــــثارُنا تقدِيْمُـــــنا اللـــــذاتِ وَالخيْـــرَ للغيْـــر قبَـــيْلَ الـــذاتِ

(١٠٠٤) وَيَحْـــصُلُ الإيْـــثارُ باليَقِـــينِ بما أعَـــدَّ اللَّـــهُ يَـــوْمَ الـــدِّينِ

(١٠٠٥) وَمَـا حَـوَى القلـبُ مِـنَ المَحَـبة وَالـصبر إذ في القلـبِ رَبِّـيْ صَبَّهْ

(١٠٠٦) نبيُّـــنا وَالـــصَّحْبُ يؤْثِـــرُونا على الـــنفوْسِ رَافِعِـــيْنَ الدِّيْـــنا

(١٠٠٧) فيُؤْثـــرُوْنَ اللَّـــهَ ثـــمَّ الآجلـــةْ وَالكافِـــرُوْنَ يُؤْثِـــرُوْنَ العَاجلـــةْ

(١٠٠٨) وَجَـاءَتِ النبـيَّ يَـوْمًا امْـرَأةْ[(١)] وَالحُـبُّ هـاجَ قلبَهَا وَأدْفـأهْ

(١٠٠٩) قالــتْ لــهُ إذ كــانَ مُنـصِتًا لها: نـسَجْتُ ذِي البُـرْدَةَ كـيْ أهْـدِيْكها

(١٠١٠) نبيُّـــنا دَعــــا لها وَقَــــبِلَا وَلــبسَ البــرْدَةَ ثــمَّ أقــبلا

(١٠١١) وَالحُـسْنُ وَالجَمَـالُ كـانَ فِـيْها فقــالَ صَــاحِبٌ لــهُ: اكــسُنِيْها!

(١٠١٢) فــدَخلَ النبــيْ وَمُــسْرعًا أتــىْ فــناوَلَ الــسَّائِلَ هَــذا البُــرْدَةَ!

(١٠١٣) فقِــيْلَ: مَــا أحْــسَنتَ إذ سَـألتهُ هَــلْ رَدَّ يَــومًا سَـائلا رأيــتهُ؟

(١٠١٤) فقـــال: مـــا سَـــألتهُ لِلُّـــبْسِ بَـلْ لِـتكوْنَ كفنِـيْ في رَمْـسِيْ[(٢)]!

(١٠١٥) فمَـــاتَ ذا الـــسَّائِلُ بَعْـــدَ حِـــيْنِ فألــبسَ البُــرْدَةَ في التكفِــيْنِ!

(١٠١٦) وَمَـــرَّةً أهــدِيَ رَأسُ شــاةِ لــوَاحِدٍ مِــنهُمْ أخِــيْ حاجَــاتِ

---

(١) عن سهل بن سعدٍ ﷺ قال: (جاءت امرأة ببُرْدَة قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم، هي الشملة منسوجٌ في حاشيتها قالت: يا رسولَ اللَّهِ، إني نَسَجْتُ هذه بيَدَيَّ أكسوكها، فأخذها النبيُّ ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها إزارُه، فقال رجلٌ من القوم: يا رسولَ اللَّهِ، اكسُنيها، فقال: «نعم»، فجلس النبيُّ ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال له القومُ: ما أحسنتَ، سألتها إياه، لقد علمتَ أنه لا يرُدُّ سائلا، فقال الرجل: واللَّهِ ما سألته إلا لتكونَ كفني يومَ أموتُ! قال سهلٌ: فكانتْ كفنه!). رواهُ أحْمدُ والبُخاريُّ والنسائيُّ وابنُ ماجه والطبرانيُّ والبيهقيُّ.

(٢) الرَّمسُ: من أسماءِ القبرِ، وكذلكَ اللحْدُ والجَدَث.

(١٠١٧) فآثَـرَ المُحتاجُ هـذا جارَهُ ... وَآثَـرَ الجارُ كـذاكَ غيْرَهُ!

(١٠١٨) وَهكـذا تـدُوْرُ رَأسُ الـشاةِ ... بأهلِ سَبْعَةٍ مِنَ الأبْياتِ!

(١٠١٩) وَاسْمَعْ لِمَا قدْ جاءَ عَن إيْثارهِمْ ... بحَرْبِهِمْ في سَاعَةِ احْتِضَارِهِمْ

(١٠٢٠) عَيَّاشُ[1] وَالحَارثُ ثمَّ عِكرِمَة ... جِرَاحهُمْ مُثخِنةٌ وَمُؤْلِمَة

(١٠٢١) فأعْطِيَ الحارثُ كوْبَ ماءِ ... يبلُّ ريقهُ مِنَ الإعْياءِ[2]

(١٠٢٢) فنظرَ الحَارثُ نحْوَعِكرِمَة ... فلفتَ السَّاقِيَ حَتىْ يُكرِمَهْ

(١٠٢٣) وَهَكذا يَصْرفهُ لِلثالِثِ ... مِثلَ أخِي الإيْثار قبْلُ الحَارثِ

(١٠٢٤) حَتىْ إذا مَا وَصَلوا عَيَّاشا ... ألفوْهُ قدْ فارَقهُمْ مَا عَاشا!

(١٠٢٥) فرَاجَعُوا عكرمَةً لِيَشْرَبا ... فكانَ أمْرُ اللَّهِ مِنهُمْ أقرَبا!

(١٠٢٦) فانقلبُوا لِلحَارثِ المِغوَارِ ... فأسْلمَ الرُّوْحَ بأمْرِ الباري!

(١٠٢٧) وَآذنَ الجَمِيعُ بانقِضاءِ ... وَالكوْبُ ظلَّ عَامِرًا بالمَاءِ!

(١٠٢٨) فكنْ لإخوَانِكَ دَوْمًا مُؤْثِرَا ... يُعْطِكَ رَبُّ الجُودِ مِنهُ أكثرَا

* * *

(١) عَيَّاشُ بنُ أبي رَبيعَة بن المغيرَة، والحَارثُ بنُ هِشام بن المُغِيرَة، وعِكرمَة بنُ أبي جَهل بن هشام بن المُغِيرَة، من أصحَابِ النبيِّ ﷺ، واستشهادُهم في مَوقِعَةِ «اليرْمُوك»، وأثخنتهُ الجراحُ: غلبتهُ وأوهَنته وأثقلته.

(٢) **الإعياء**: التعَب والإرهاق من شدة الألَم.

الفصلُ التاسعُ: خلقُ الحبِّ

(١٠٢٩) وَالحُبُّ أقوَىْ عَمَلٍ لِلقلبِ ... وَأعْظمُ الطاعَاتِ عِندَ الرَّبِّ
(١٠٣٠) وَحُبُّ الانصَارِ لِلاوَّلِيْنا ... سَمَّاهُمُ في «الحَشْر»[1] مُفلِحِيْنا
(١٠٣١) وَمَنْ[2] أحَبَّ سُوْرَةَ الإخلاصِ ... بَشرَهُ النبيُّ بالخلاصِ
(١٠٣٢) وَالمؤْمِنوْنَ حبُّهمْ أشدُّ ... لِلهِ، لا يُقدَرُ أوْ يُحَدُّ
(١٠٣٣) فأحْببِ اللَّهَ تفزْ بالحُبِّ ... مِنهُ وَتنعَمْ يَا أخِي بالقرْبِ
(١٠٣٤) وَاللَّهُ إنْ أحَبَّ عَبدًا نادَى ... جِبْرِيْلَ حَتىْ يَفعَلَ المُرَادَا
(١٠٣٥) وَبَعدَ ذاك يوْضَعُ القبُوْلُ ... كمَا بِذا قدْ أخبَرَ الرَّسولُ
(١٠٣٦) وَأحْببِ النبيَّ مِنْ فؤَادِكا ... أكثرَ مِنْ نفسِكَ مِنْ أوْلادِكا
(١٠٣٧) فالجذعُ[3] حَنَّ لِلقا إذ فارَقهْ ... لِمنبَرٍ مِنْ حُبِّهِ وَأرَّقهْ!
(١٠٣٨) وَأحدٌ[4] يُحِبُّهُ وَهْوَ جَبلْ! ... وَالكلبُ إذ أحَبَّ ذِكرُهُ اتصَلْ!

(١) قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحَشر].

(٢) هُوَ رجلٌ من الأنصار، كانَ يؤمُّهم في مسجدِ قباء، وكان يَقرأ سُورَةَ الإخلاص وسورة أخرى في كلِّ رَكعَةٍ! فسألهُ النبيُّ ﷺ عن سببِ لزُوم هذه السورة في كل ركعة، فقال: إني أحبُّها، فقال ﷺ: **«حبُّك إياها أدخلك الجنة»**. وحديثه عند البخاريِّ وغيره.

(٣) **«كان النبيُّ ﷺ يخطبُ إلى جذع، فلما اتخذ المنبرَ تحول إليه، فحَنَّ الجذع! فأتاه فمسحَ يدَهُ عليه»**. رواهُ البُخاريُّ. وزاد أحْمدُ وابنُ مَاجه وابنُ أبي شيبة: **«... فأتاهُ، فاحتضنه فسَكنَ! فقال: لوْ لَمْ أحتضنْهُ لحَنَّ إلى يوم القيامة!»**.

(٤) عن أنس بن مالكٍ ؓ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إن أحُدًا جبلٌ يُحِبنا ونحِبه!»**. رَوَاهُ مالكٌ وأحْمدُ والبخاريُّ ومسلم ـ واللفظ له ـ والترمذِيُّ وابنُ مَاجَه وابنُ أبي شيبة وابنُ حِبَّانَ. وكلبُ أهل الكهفِ، حينَ أحَبَّهم وتبعَهُم، جعل اللَّهُ ذِكرَهُ مَوصُولًا بذِكرهم، بسببِ حُبِّهِ لهُمْ!.

(١٠٣٩) دَلِـيْلُ مَـنْ أحَـبَّ الاتـباعُ وَوَفـقَ مـا يأمُـرُهُ ينـصَاعُ[١]

(١٠٤٠) وَبعـدَهُ كـلُّ رَسُـوْلٍ أوْ نبـيْ أوْ مَلَـكٍ مِـنْ رَبـنا مُقـرَّبِ

(١٠٤١) صِـدِّيْقنا[٢] فارُوْقـنا حَيِيُّـنا وَسِـتةٌ وَقـبْلهمْ عَليُّـنا

(١٠٤٢) وَكـلُّ مَـنْ قـدْ صَحِبَ الرَّسـولا أوْ بعْـدَهُمْ قـدْ سَـلكَ الـسَّبيلا

(١٠٤٣) وَحُبُّـنا الخـالصُ في الـرَّحْمَنِ أوْثـقُ عُـرْوَةٍ مِـنَ الإيمـانِ

(١٠٤٤) وَيُحْـشَرُ المَـرْءُ إذا حَيِيْـنا مَـعَ الـذِي أحَـبَّهُ يقِيْـنا

(١٠٤٥) بَعْـدَ الـنداءِ: أيْـنَ مَـنْ تَحَابَـبوا فيَّ[٣]، أظِلهـمْ فـلا أعاقـبُ

(١٠٤٦) فـإنْ تُحِـبَّ أحَـدَ العـبادِ أعْلِمْـهُ يَـرْبُ[٤] الحُـبُّ في الفـؤَادِ

* * *

(١) يَنصَاعُ: يَذهَبُ إلى الأمر سَريعًا، فيُطِيعُه ويَأتمر به.

(٢) صِدِّيقنا: أبو بكر، وفارُوقنا: عمرُ بنُ الخطابِ، وحَيِيُّنا: عثمانُ بنُ عفان، ورابعُهُم: عليُّ بنُ أبي طالب، والسِّتة: بقيَّة العشرَةِ المُبَشرينَ بالجنة، وهم: سعدُ بنُ أبي وقاص، وسعيدُ بنُ زَيدٍ، وطَلحَة بنُ عُبَيدِ اللَّهِ، والزُّبيرُ بنُ العوَّم، وأبو عُبَيدَة بنُ الجرَّاح، وعبدُ الرَّحْمن بنُ عَوف ﷺ. وقدْ نظمَهُمُ الإمامُ ابنُ حَجَر العَسْقلانيُّ رحمه الله فقال:

لقدْ بَشرَ الهادِيْ مِنَ الصَّحبِ زُمْرَةً بجَناتِ عَدْنٍ كلهـمْ فضْلـهُ اشْتهرْ
سَعِيدٌ زُبَيرٌ سَعْدُ طلحـةُ عَـامِرٌ أبُوْ بَكر عثمانُ ابنُ عَوفٍ عَلِيٌ عُمَرْ

(٣) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن اللَّهَ يقولُ يومَ القيامةِ: أينَ المتحابُّونَ بجلالي؟ اليومَ أظِلهمْ في ظِلي، يومَ لا ظلَ إلا ظِلي». رواهُ مالكٌ وأحْمدُ ومُسلمٌ وابنُ حِبانَ والدَّارميُّ.

(٤) يَربُو: يزدَادُ ويَعظم.

الفصلُ العاشرُ: خلقُ النقاء

(١٠٤٧) وَطهِّـر القلـبَ مِـنَ الأضْـغانِ ... أوْ بُغْـضٍ اوْ خدِيْعـةٍ أوْ رَانِ

(١٠٤٨) فمَـنْ تَمكـنَ الـنقا مِـنْ قلـبهِ ... يُـشاهِدِ الأمْـرَ بـنوْرِ ربِّـهِ!

(١٠٤٩) وَتفـتحِ الأبـوَابُ لِلبَـصِيْرَةْ ... فانظـرْ إلى الـتاريْخ بَعْـدَ الـسِّيْرَةْ

(١٠٥٠) فـإنهـا لا تنطفِـي[1] العـيُوْنُ ... وَإنمَـا يَـنطمِسُ المَكـنوْنُ

(١٠٥١) وَاللَّـهُ لا ينظـرُ لِلأبـدانِ ... وَلا إلى الأشْـكالِ وَالألـوَانِ

(١٠٥٢) لكـنهُ يَنظـرُ لِلقلـوْبِ ... كمـا أتـىْ عَـن النبـيْ المَحْبوْبِ

(١٠٥٣) وَبـشرَ الرَّسُـوْلُ ذاكَ الـدَّاخِلا[2] ... بجـنةٍ لأنَّ قلـبهُ خـلا

(١٠٥٤) وَالمَـرْءُ لا يَـنجُوْ لـدَى العَلِـيْمِ ... إلا بقلـبٍ خـالصٍ سَـلِيْمِ

(١٠٥٥) وَالأوْلـيا بجَـنةِ الغفـوْرِ ... يُنـزَعُ غلهـمْ مِـنَ الـصُّدُوْرِ

❊ ❊ ❊

---

(١) لا تنطفِي: لا يذهَبُ ضَوءُها فتعمَى، والمَكنونُ: القلبُ، وينطمسُ: يُطبَعُ عليهِ ويُختمُ، قال رَبُّنا ﷻ: ﴿... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

(٢) ذاكَ الدَّاخِلُ: رَجُلٌ منَ الأنصَار، فقد قال النبيُّ ﷺ لأصحابه ثلاثَ مراتٍ: «يطلعُ عليكمُ الآن رجلٌ من أهلِ الجنة»، فطلع هذا الأنصاريُّ، فباتَ عندَهُ عبدُاللَّهِ بنُ عَمرو ﵄ ثلاثًا لِيَرى عمله، فاستقلَّ ابنُ عمرو عمله! وأخبرَهُ بسببِ مَجيئِه، وببشارةِ النبيِّ ﷺ له، ثمَّ سألهُ: ما الذي بلغ بكَ ما قال رسولُ اللَّه ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيتَ، ثمَّ قال له: لا أجد في نفسي غلا لأحد من المسلمين، ولا أحسُدُه على خيرٍ أعطاه اللَّهُ إياه، قال ابن عمرو: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق. والحديثُ بطولِه عندَ أحمدَ والنسائيِّ وأبي يعلَى.

الفصلُ الحَادِيْ عَشَرَ: خلقُ الحيَاء

(١٠٥٦) إنَّ التقِيَّ يَكتَسِي الحَيَاءَ | لا كالصَّفِيْق[1] فِعْلُهُ مَا شَاءَ
(١٠٥٧) حَبِيْبُنا إمامُ الانبياءِ | أشدُّ في الحَياءِ مِنْ عذرَاءِ
(١٠٥٨) وَعَدَّهُ مِنْ شُعبِ الإيْمَانِ | وَاسْتَحْيَتِ الأمْلاكُ مِنْ عُثمَانِ
(١٠٥٩) وَأمُّنا عَائِشةٌ كمْ دخلتْ | حُجْرَتَها عَليْهمَا[2] وَخلعتْ؟
(١٠٦٠) وَبَعْدَ دَفنِ عُمَرٍ تَحَجَّبَتْ | وَاعَجَبا مِنْ مَيِّتٍ قدِ اسْتَحَت!
(١٠٦١) فاسْتحْيِ مِمَّا يَخدِشُ الحَيَاءَ | وَيَجرَحُ الشعوْرَ وَالأحْيَاءَ
(١٠٦٢) وَلا يَكنْ هَذا الحَيَاءُ حَاجِزَا | عَنْ صُنعِ مَا بِهِ تكوْنُ فائِزَا
(١٠٦٣) وَاسْتحْيِ مِنهُ حَقَّ الاسْتِحْيَاءِ | بِذِكركَ المَوْتَ مَعَ الفنَاءِ
(١٠٦٤) وَحِفظِكَ الرَّأسَ وَما وَعَاهُ[3] | وَالبَطنَ حَقا وَالذِيْ حَوَاهُ

* * *

(١) الصَّفيقُ: مَن قلَّ حَيَاؤُه.
(٢) كانت السَّيِّدَة عائشة رضي الله عنها تدخلُ على النبيِّ ﷺ وأبيها رضي الله عنه بعدَ دَفنهما في حُجرَتِهَا غيرَ مُرْتدِيَةٍ حِجَابَها، فلمَّا دُفِنَ عُمرُ رضي الله عنه معهما، ما كانت تدخلُ الحُجرَة إلا مُتحَجِّبة حيَاءً منه، لأنه أجنبيٌّ عنها.
(٣) ما وَعَاهُ الرَّأسُ: الحواسُّ المَوجُودَة فيه، كالبصَر والسَّمع، وما حَواهُ البطن: شهوتا البطن والفرْج.

الفصلُ الثانيْ عشَرَ: خلقُ الوَفاء

(١٠٦٥) وَفاؤُنـا الأداءُ لِلحقـوْقِ ... كامِلـةً لِلـهِ وَالمَخلـوْقِ
(١٠٦٦) وَالأمْـرُ بالـوَفاءِ في القـرْآنِ ... في غايَـةِ الوُضُـوْحِ وَالتبْـيانِ
(١٠٦٧) اقـرَأ بـ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾[1] في الإسْرَاءِ ... وَانعَـام وَالأعْـرَافِ وَالـشُّعْرَاءِ
(١٠٦٨) وَاسْـمَعْ فقـدْ دَعَـا هِـرَقلُ الـرُّوْم ... صَـخرًا أباسُـفيانَ ذاتَ يـوْمِ
(١٠٦٩) لِيَعْـرفَ الأوْصَـافَ عَـنْ نبيِّـنا ... شـهَادَةً بالحَـقِّ قـوْلاً بيِّـنا
(١٠٧٠) فـشَهدَ المَدْعـوُّ وَهْـوَ كافـرُ ... بأنـهُ يُوْفِـيْ وَلـيْسَ يَغـدِرُ!
(١٠٧١) وَحَـذرَ الرَّسُـوْلُ مِـمَّنْ نافقـوا ... وَمَـا بـهِ مِـنَ الـرَّدَى تَخلقـوا
(١٠٧٢) موَضِّـحا صِـفاتِهِمْ مَـا قـصَّرَا ... مِـنهَا: إذا عَاهَـدَ شَخـصًا غـدَرَا
(١٠٧٣) وَصَاحِبُ الـسِّرِّ[2] اختفىْ عَنْ بَدْر ... وَمعَـهُ وَالِـدُهُ، هـلْ تـدْريْ؟
(١٠٧٤) لأنـهُ قـدْ عاهَـدَ الكفـارَا ... وَبالـوَفا نبـيهُ أشـارَا!
(١٠٧٥) فـأوْفِ يَـا أخِـيْ بعَهْـدِ المَوْلـىْ ... وَاللَّـهُ بالـوَفاءِ مـنكَ أوْلـىْ
(١٠٧٦) فإنـهُ يُوْفِـيْ جَمِـيْعَ الخلـقِ ... في بَعْـثِهِمْ دِيْـنهُمُ بالحَـقِّ
(١٠٧٧) وَأوْفِ بالعُهُـوْدِ مَـا حَييـتا ... فأنـتَ مَـسْؤُوْلٌ إذا أحْييـتا
(١٠٧٨) وَأوْفِ في الكـيْلِ وفي المِيْـزَانِ ... وَالقـوْلَ وَالفِعْـلَ بالاتـزَانِ

---

(١) ﴿...أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ ...﴾ [الأنعام: ١٥٢، الأعراف: ٨٥، الإسراء: ٣٥، الشعراء: ١٨١].

(٢) صاحبُ سِرِّ رَسُول اللَّهِ ﷺ حُذيفة بنُ اليمان ﵄، فقد عرَّفهُ النبيُّ ﷺ بأسماءِ المُنافقين، وعنه ﵁ قال: (ما منعني أن أشهدَ بدرًا إلا أني خرجتُ أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفارُ قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريدُه، ما نريدُ إلا المدينة، فأخذوا منا عهدَ اللَّهِ وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينةِ، ولا نقاتل معه، فأتينا رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا، نفِيْ لهم بعهدِهم، ونستعينُ اللَّهَ عليهم). رواهُ أحمدُ ومُسلمٌ وابنُ أبي شيبة والحاكمُ والطبرانيُّ في «الكبير» و«الأوسط».

(١٠٧٩) وَأَوْفِ لِلـــــرِّجالِ وَالنـــــسَاءِ وَكـــــلِّ أحـــــبابكَ وَالأعـــــدَاءِ

(١٠٨٠) وَاحْـذرْ مِـنَ الغـدْر فكـلُّ مَـنْ غدَرْ لِـوَاءَ غــدْرهِ يــرَىْ كـلُّ البَـشرْ!

(١٠٨١) وَالـوَيْلُ في الـنار لِمَـنْ قـدْ طففـوا اسْـتوْفوُا الحَـقَّ وَلكِـنْ لَـمْ يَفـوا

❊ ❊

الفصلُ الثالثُ عشَرَ: خلقُ الصَّبْر

(١٠٨٢) وَالصَّبْرُ نِصْفُ الدِّيْنِ وَالإيمَانِ ... وَأجرُهُ يُعْطَى بلا حُسْبانِ
(١٠٨٣) ما أعْطِيَ الإنسَانُ مِنْ عَطاءِ ... خيْرًا مِنَ الصَّبْر على البَلاءِ
(١٠٨٤) وَبـ﴿تواصَوْا. وَتواصَوْا﴾[1] ضَابطُ ... وَبـ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾
(١٠٨٥) وَصَبْرُنا الضِّياءُ لِلقلوبِ ... وَمُذهِبٌ لِلهَمِّ وَالكُرُوْبِ
(١٠٨٦) لا يَصْبرُ المَخلوْقُ مِثلَ مَنْ خلقْ ... عَبْدٌ يَفوْهُ بالأذى[2] لِمَنْ رَزَقْ!
(١٠٨٧) قدْ سَخِرَ الكفارُ مِنْ نُوْحٍ وَمِنْ ... هُوْدٍ وَلوْطٍ، وَشُعَيْبٌ مَا أمِنْ
(١٠٨٨) وَألقِيَ الخلِيْلُ في نِيْرَانِهم! ... وَأوْذيَ الكلِيْمُ مِنَ لِسانِهِمْ!
(١٠٨٩) وَالضُّرُّ مَسَّ الجسْمَ مِنْ أيوبا ... وَابْيَضَّتِ العَيْنانِ مِنْ يَعْقوْبا
(١٠٩٠) وَأشْرَفُ الخلقِ أصَابَهُ الضَّرَرْ ... مِنْ كلِّ صِنفٍ[3] فتعَالى وَصَبَرْ
(١٠٩١) وَصَبَّرَ الأصْحَابَ في دُنياهُ ... زَفَّ لآلِ ياسِرٍ بُشرَاهُ
(١٠٩٢) بلالُنا يُسْحَبُ في الرَّمْضَاءِ[4] ... وَمُصْحَفُ الحَيِيِّ في الدِّماءِ

---

(١) قال المَولى ﷻ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧﴾ [البلد]، وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران].

(٢) يُشِيرُ البيتُ إلى قول النبيِّ ﷺ: «**لا أحدَ أصبرُ على أذى يسمعُه من اللهِ ﷻ، إنهُ يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ لهُ الوَلدُ، ثمَّ هُوَ يرزقهُم ويُعَافيهم!**». رواهُ أحْمدُ ومُسلِمٌ ـ بلفظِه ـ والنسائيُّ وابنُ حِبَّانَ والطبرانيُّ في «الأوسط».

(٣) من كلِّ صِنفٍ: أي من أصنافِ الضَّرر، كالضرب والشتم والنيل من العِرْض وغير ذلك، أو من أصنافِ البشَر، كالقريبِ والغريب، ومشركي مكة والمُنافقين واليهودِ وغيرهم.

(٤) يُسحَبُ في الرَّمضَاءِ: يُجَرُّ على الأرض والحِجَارةِ شديدةِ الحرَارة وقتَ الظهيرَة، والحَييُّ: عثمانُ بنُ عَفانَ، وقد اختلط مُصحفه بدِماءِه الزَّكيَّة، حينَ قتِلَ في دارِه، وهُوَ يقرأ في المُصحف!.

(١٠٩٣) وَابْـنَ جُبَيْـرٍ[(١)] قـتلوا في مِـحْـنَة وَأوْذِيَ ابْــنُ حَنـبَلٍ في الفِتــنة

(١٠٩٤) فَــنجَحَ الجَمِــيْعُ في اختِــبارِ وَســجِّلوا في أهْــلِ الاصْــطِبَارِ

(١٠٩٥) وَالــصَّبْرُ في شِــرْعَتِنا أنــوَاعُ وَالكـلُّ مَحْفـوْظٌ فـلا يـضَاعُ

(١٠٩٦) فهــوَ على الطاعَــاتِ وَالــبَلاءِ وَعَــنْ ذنوبِــنا مَــعَ الأهــوَاءِ

(١٠٩٧) فلتَــسْتعِنْ بالــصَّبْرِ وَالــصَّلاةِ وَلتحْتَــسِبْ في هَــذِهِ الحَــياةِ

(١٠٩٨) وَلــيَكنِ الــصَّبْرُ لــدَيْكَ عــادَة وَالجَــزَعَ احْــذرْ طالــبا إبعَــادَه

(١٠٩٩) مَــنْ يَتــصَبَّرْ رَبــنا يُــصَبِّرُهْ يَــرْبطُ فــوْقَ قلــبهِ وَيأجُــرُهْ

(١١٠٠) فـادْعُ وَقـل: ﴿أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾[(٢)] وَثــبِّتِ الأقــدَامَ وَاكــتبْ أجْــرَا

❊ ❊ ❊

(١) ابنُ جُبير: سعيدُ بنُ جُبير، من كبار عُلماءِ التابعين، آخِرُ مَن قتلهُ الحجَّاجُ بنُ يوسُفَ الثقفيُّ، أميرُ العراق الظالِم، وذلك سنة (٩٤هـ). وابنُ حَنبل: إمامُ أهل السُّنةِ والجماعة، أحْمدُ بنُ محمد بن حنبل، فقد عُذبَ في فتنةِ خلق القرآن، فصبر وثبت، ونصَر اللّهُ تعالى السنة على يدَيه، ومات سنة (٢٤١هـ).

(٢) قال اللّهُ ﷻ: ﴿... رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ [البقرة]، وقال: ﴿... رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف].

الفصلُ الرَّابعُ عَشَرَ: خلقُ الشُّكر

(١١٠١) وَالــشُّكرُ الاعْتِـرَافُ بالجَمِـيلِ	وَهْــوَ دَلِـيْلُ الخلــقِ النبـيْلِ
(١١٠٢) فاسْـتعْمِلِ الـنعْمَةَ في الطاعَـاتِ	وَباللـسَان اشْـكرْ مَـدَى الأوْقـاتِ
(١١٠٣) خلِـيلُ رَبِّــيْ شــاكرٌ لِلأنعُـمِ	وَنــوحُ العَـبْدُ الـشَّكوْرُ فـافهَمِ
(١١٠٤) وَسَــيدُ الخلــقِ يَبـيْتُ قائِمـا	وَالقـدَمُ الـشَّريْفُ يُـضْحِيْ وَارمَـا
(١١٠٥) وَزَوْجــهُ قالــتْ لــهُ في هَــذا:	رفقــا رَســوْلَ اللّــهِ، هــذا آذىْ
(١١٠٦) فقــالَ وَالقلــبُ غَــدَا مَـسْرُوْرَا:	ألا أكـوْنُ عــبدَهُ الــشَّكوْرَا؟
(١١٠٧) فاشْـكرْ لِـرَبِّ الكائِـناتِ الـرَّازِقِ	وَاشْـكرْ لِـوَالِدَيْكَ بَعْـدَ الخالِـقِ
(١١٠٨) وَاشْـكرْ على التوْفِـيْقِ وَالعِـبَادَة	وَدُمْ على الــشُّكرِ تــنلْ زيَــادَة
(١١٠٩) وَاشْـكرْ لِمَـنْ أسْدَىْ لكَ الإحْسَانا	فــإنْ شَــكرْتَ تــشْكرِ الــدَّيانا
(١١١٠) فاللّــهُ بالـسُّوْءِ يُجَـازيْ مَـنْ كفـرْ	كـذلِكَ الـشَّكوْرُ يَجْـزيْ مَـنْ شَكرْ
(١١١١) وَالـشُّكرُ لِلـنفسِ[1] بـلا التِـبَاسِ	وَمَـا أقـلَّ الـشُّكرَ عِـندَ الـناسِ!
(١١١٢) فاشْـكرْ يَهَـبْكَ اللّــهُ مِـنهُ الـنوْرَا	وَسَـعْيكمْ يَكــنْ لكــمْ مَــشْكوْرَا

* * *

(١) والشكرُ لِلنفس أيْ: يَعُودُ ثوابُه للشاكر نفسِه، فلا يلتبسْ عليكَ هذا الأمرُ، فقد قال اللّهُ ﷻ: ﴿... وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ...﴾ [النمل: ٤٠]، ومَنْ يشكرونَ اللّهَ قليلونَ قياسًا بمَن يكفرونَ به، قال المَولى ﷻ: ﴿... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ]، وقال: ﴿...وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣، يوسف: ٣٨، غافر: ٦١].

الفصْلُ الخَامِسَ عَشَرَ: خلقُ العَدْلِ والمُساوَاة

(١١١٣)	وَاعْدِلْ إذا حَكَمْتَ في قَضِيةْ	وَاقسمْ إذا قَسَّمْتَ بالسَّوية
(١١١٤)	وَالعَدْلُ إنْ رَضِيْتَ أوْ غَضِبْتا	على العَدُوِّ وَالَّذِيْ أحْبَبْتا
(١١١٥)	فاللَّهُ مَوْلانا يُحِبُّ المُقسِطا [(١)]	وَالنارُ تكويْ مَنْ يَكوْنُ قاسِطا
(١١١٦)	قَدْ رَفَعَ السَّمَا [(٢)] لنا عُنوَانا	وَلِلوَرَىْ قَدْ وَضَعَ المِيْزَانا
(١١١٧)	رَسُوْلنا أرْسَىْ أسَاسَ العَدْلِ	وَعَاشَ يَحمِيْ قَدْرَهُ وَيُعلِيْ
(١١١٨)	وَقالَ في شَرِيْفةٍ إذ سَرَقتْ:	وَاللَّهِ لوْ فاطِمَةٌ لقطِعَتْ!
(١١١٩)	وَاذكرْ أبَا حَفصٍ [(٣)] بِهَذا البَابِ	فعَدْلهُ اسْتولى على الألبابِ
(١١٢٠)	وَانظرْ شُرَيحًا [(٤)] إذ قضَىْ بالحَقِّ	على عَلينا أمِيْرِ الخلقِ
(١١٢١)	يرُدُّ وَاحِدًا [(٥)] مِنَ الشُّهُوْدِ	وَيَمْنحُ الدِّرْعَ لِهَذا اليَهُوْدِيْ!
(١١٢٢)	ترُدُّ يَا شُرَيْحُ هَذا السِّبطا؟!	نعَمْ، أرُدُّ الابْنَ حكمًا قِسْطا
(١١٢٣)	تاهَ [(٦)] أخو اليَهُوْدِ مِنْ قضَاهُ	وَاعْتنقَ الإسْلامَ عَنْ رِضَاهُ!

---

(١) المُقسِط: العَادِلُ المُنصِفُ، قال اللَّهُ ﷻ: ﴿... وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحُجُرَات]، والقاسِط: الظالِمُ الجائِرُ، قال اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجن].

(٢) يُشِيرُ البيتُ إلى قول رَبِّنا ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرَّحْمَن].

(٣) أبُو حَفص: كنيَة الأسَدِ، وهيَ هُنا كنيَة أمير المُؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، والفارُوقُ: لقبُه، وقصَصُ عَدْلِهِ التي بَهَرَ بها العُقولَ كثيرَة مشهورة.

(٤) شُرَيحٌ هو: الفقيهُ القاضي أبو أمَيَّة شُرَيحُ بنُ شَرَحبيل، أسلم في حياةِ النبيِّ ﷺ، وانتقل من اليمن زمنَ الصِّدِّيق، وتولَّى قضاءَ الكوفةِ ستينَ سنة، ومات سنة (٧٨ هـ).

(٥) رَدَّ شُرَيحٌ شهادة الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما، وهُوَ سِبط النبيِّ ﷺ، ليس طعنا فيه، وإنما لأنَّ شهادة الابن لأبيه لا تقبَل في الشرع.

(٦) تاهَ: تحَيَّرَ واندَهَشَ من عظمَةِ ما أبصَرَ وعظمَةِ ما سَمِع!

(١١٢٤) لا تعجَبوا يا أيُّها الكِرَامُ فالعَدْلُ وَالنوْرُ هُمَا الإسْلامُ

(١١٢٥) وَالعَدلُ حَقا مِنْ أسَاسِ المُلكِ وَالظلمُ يَهْدِيْ لِسَبيْلِ الهُلكِ

(١١٢٦) يَنتقِمُ اللَّهُ هنا مِمَّنْ ظلَمْ وفي المَعَادِ لا يَرَىْ مِنَ الظلمْ[١]

(١١٢٧) عليْكَ قدْ حَرَّمَهُ الإلهُ فاتقِ مَظلوْما وَخفْ دُعاهُ!

* * *

---

(١) لا يَرَى منَ الظلم: لأنَّ الظلماتِ أحاطتْ به من كلِّ جانب، فعن ابن عُمَر رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ قال ﷺ: «الظلمُ ظُلماتٌ يومَ القيامَة». رواهُ أحْمدُ والبُخاريُّ ومُسلِمٌ والترمِذِيُّ.

الفصلُ السَّادسُ عَشَرَ: خلقُ الرِّضَا والقناعَة

(١١٢٨) وَرَاحَــةُ الــنفوْسِ في القــناعَة — وَشَــرُّهَا الــتوَّاقةُ[(١)] الطمَّـاعَــة

(١١٢٩) وَالمَــرْءُ إنْ كــانَ لــهُ مِــنْ ذهــبِ — وَادٍ تَمَــنَّ مِــثلَ مَــنْ لَــمْ يــوْهَبِ!

(١١٣٠) وَإنْ يَكــنْ لِوَادِيَــينِ جامعَــا — يَطلِــبْ زيَــادَةً وَيُمْــسِ طامِعــا!

(١١٣١) وَالــنفسُ لا يَمْــلأ مِــنهَا العَيْــنا — إلا التــرَابُ صَــادِقا لا مَيْــنا[(٢)]

(١١٣٢) وَمَــنْ يَكــنْ بمَــا لدَيْــهِ قانِعــا — يَهْــنأ وَيُــضْح الــصَّدْرُ مِــنهُ وَاسِــعَا

(١١٣٣) فاقــنعْ مِــنَ اللَّــهِ بمَــا يَأتِــيكاَ — وَارْضَ فــرُبمَــا الغِنــى يُطغِــيْكا

(١١٣٤) مَــا عِــشْتَ في الأيَّــامِ وَالليالِــيْ — وَاعْلَــمْ بــأنَّ اللَّــهَ ذا الجَــلالِ

(١١٣٥) قــدْ قــسَّمَ الأرْزَاقَ وَالمَعِيْــشة — بحِكمَــةٍ، فلــنْ تــزيْدَ ريْــشة

* * *

(١) تاقتِ النفسُ إلى الشيءِ توقًا: مالت واشتهَتْ، وقيل: مالت إلى الدَّناءَةِ، والمَعنى: تطمَحُ ولا حَدَّ لِشِبَعِها.

(٢) المَيْنُ: من مَانَ يَمِينُ مَيْنًا أي: كذبَ يكذبُ كذِبًا، أمَّا مَانَ يَمُونُ: فهِيَ من المَؤُونة.

الفصلُ السَّابعُ عشَرَ: خلقُ الأمَلِ والرَّجَاء

(١١٣٦) وَعِشْ أخِيْ مِنْ رَبِّنا في أمَلِ ... فمَنْ رَجا رَبَّ البَرَايَا يَنلِ

(١١٣٧) وَمَنْ هَوَى[1] فؤَادُهُ في يَاسِ ... بُنيَانُه أضْحى بلا أساسِ

(١١٣٨) فهُوَ الذِيْ يُفرِّجُ الكرُوْبا ... وَيسْترُ الأخطاءَ وَالعُيُوْبا

(١١٣٩) كمْ عُقدَةٍ شَدِيدَةٍ قدْ حَلها ... لِمَنْ رَآهَا صَعبَةً وَمَلها

(١١٤٠) وَكمْ مَرِيْضٍ قدْ غدَا مُعَافىْ ... مِنْ بَعْدِ أنْ مَلَّ الدُّنا وَعَافا[2]!؟

(١١٤١) وَكمْ ضَعيْفٍ رَدَّهُ قويا!؟ ... وَعَائِلٍ صَيرَهُ غنيا!؟

(١١٤٢) وَكمْ يَتِيم مَا أرَاهُ الوَالدَا ... آوَاهُ إذ كانَ لهُ مُسَاندَا!؟

(١١٤٣) وَكمْ ذنوْبٍ أثقلتْ مَن اقترَفْ ... كفرَهَا إذ نادِمًا قدِ اعْترَفْ!؟

(١١٤٤) مَعْ عُسْرنا يُسْرَان قوْلا قاطِعا ... فكنْ لِما يَشْفِيْ الغليلَ سَامِعَا

(١١٤٥) يَعْقوْبُ يَشْكوْ بَثهُ[3] وَحُزْنهُ ... إذ فقدَ الصِّدِّيقَ ثمَّ عَينَهُ

(١١٤٦) وَبَعْدَهَا قالَ: اذهَبُوا تحَسَّسُوا ... مِنْ يُوْسُفٍ وَلتحْذرُوا أنْ تيْأسُوا

(١١٤٧) فنالَ مِنْ إلَهِهِ مناهُ ... وَاكتحَلتْ بيُوْسُفٍ عَيْناهُ!

(١١٤٨) وَبَعْدَهُ أيوْبُ مَسَّهُ الضَّرَرْ ... فزَالَ لمَّا أنْ رَجاهُ وصَبرْ!

(١١٤٩) وَيُوْنسٌ لمَّا دَعَاهُ رَاجيا ... خلصَهُ مِنْ ظلمَاتٍ ناجيا!

---

(١) هَوَى فؤادُهُ في يَاس: سقط قلبُه في اليأس، واستولى عليهِ القنوط.

(٢) عَافَ الدنيا: كره الحياة فيها، ومَلَّها بسببِ مرضِه.

(٣) البَثُّ: الحُزنُ العظيمُ، الذي لا يُصبرُ عليه حتى يُبَثَّ إلى الناس، قال اللَّهُ ﷻ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف]، والصِّدِّيقُ هو: يُوسُفُ بنُ يعقوب، وفقدَ يَعقوبُ صِحَّةَ عينِه من كثرةِ بُكاءِه على ابنِهِ يوسف، قال المَولى ﷻ: ﴿... وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسف].

(١١٥٠) وَقاتِــلُ التــسْعةِ وَالتــسْعينا — أصْـبَحَ مَـنْ أيأسَـهُ(١) طعيْــنا

(١١٥١) بالأمَــلِ المَــرْجُوِّ صَـارَ تائِــبا — وَدَنَــتِ الأرْضُ لَــهُ، وَقــرِّبا!

(١١٥٢) وَبَيْــنمَا الرَّسُــوْلُ في هِجْـرَتِهِ — مُطَــارَدًا أُخــرِجَ مِــنْ بلدَتــهِ

(١١٥٣) يَكـتبُ وَعْـدًا(٢) بـسِوَارَيْ كِـسْرَىْ — في أمَـلٍ يَحْـدُوْهُ يَبْغِـيْ النـصْرَا!

(١١٥٤) فــنفذ الفــارُوْقُ هَــذا الــوَعدَا — في عهْــدِهِ في مَحْفــلٍ وَأشْــهَدَا!

(١١٥٥) فأمِّلــوا يَــا إخوَتــيْ في رَحْمَــتِهْ — وَاجْــتهدُوا وَالتــزمُوا بطاعَــتِهْ

(١١٥٦) رَحْمَــتهُ عَظِــيْمَةٌ قــدْ وَســعَتْ — يَــنالُها أهْــلُ التقــىْ إذ وُزِّعَــتْ

(١١٥٧) فــإنْ فــرَغتَ(٣) آمِــلاً فلتنــصَبِ — وفي عَمِــيْمِ جُــوْدِهِ فلتــرْغبِ

* * *

---

(١) مَنْ أيأسَه أي: الرجل الذي قنطه من التوبةِ، وقال له: لا توبة لك، فقتله مُكمِلًا به المِئة قتيل!

(٢) كتبَ النبيُّ ﷺ لسُرَاقة بن مالكِ بن جُعشُم كتابَ أمن، حين تبعَهُ في الهجرةِ مُطارِدًا له، فساخت به قدَما فرسه، فوعَدَ النبيَّ ﷺ بألا يعُودَ، وطلب منه أن يكتبَ له كتابا، وقال له النبيُّ ﷺ: كيفَ بكَ إذا لبسْتَ سِوَارَيْ كسرَى، فلما أُتيَ عُمرُ رضي الله عنه بسِوَارَيْ كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة رضي الله عنه فألبسَه، وقال له: ارفع يديك وقلْ: الحمدُ للهِ الذي سلبهما كسرى بنَ هرمز، وألبسَهما سراقة الأعرابيّ! وماتَ سنة (٢٤ هـ).

(٣) فإذا قضَيتَ شُغلك، فاتعَبْ في الطاعةِ والعِبادةِ، واجتهدْ في سُؤال اللهِ من كرمِه العظيم ورَحْمتِه العَميمَة.

الفصلُ الثامنَ عشَرَ: خلقُ التوسُّطِ والاعتدَال

(١١٥٨) أحِبَّ الاعتدَالَ وَالتوسُّطا ... لا تفرطنْ وَلا تكنْ مفرِّطا

(١١٥٩) فالأمرُ إنْ زَادَ فوَيقَ حَدِّهِ ... صَارَ سَرِيْعا لاحِقا بضِدِّهِ!

(١١٦٠) لا فرْقَ أنْ يكونَ(١) في اعْتِقادِ ... أوْ في السُّلوْكِ أوْ في الانقِيَادِ

(١١٦١) احْتقرَ اليَهُوْدُ الانبياءَ ... فبهَتوا وَسَفكوا الدِّمَاءَ!

(١١٦٢) أمَّا النصَارَىْ عَبَدَتْ رَسُولها ... فأشْركتْ برَبِّها يَا وَيْلهَا!

(١١٦٣) وَهذِهِ الأمةُ قدْ توَسَّطتْ ... مَا ألَّهتْ نبيَّها وَلا سَطتْ(٢)

(١١٦٤) مِيْزَانهَا في ﴿بَشَرٌ مِثلكمُ ... يُوحَىْ إليَّ﴾(٣) وَحْدَهُ لا لكمُ

(١١٦٥) وَالفِرْقةُ الناجِيَةُ السُّنية ... تكوْنُ بَيْنَ الجهْمِ(٤) وَالقدْريَّة

(١١٦٦) كذاكَ بَيْنَ شِيْعَةٍ مغالِيَةْ(٥) ... وَضِدِّهَا أهْلِ الخرُوْجِ القالِيَةْ

---

(١) التوَسُّط والاعتدالُ ينسَحِبان إلى جَميع نواحِي دِيننا، ويشمَلان شُعَبُ الثلاثَ، العقيدة والشريعَة والأخلاق، وقد ضرَبتُ أمثلة من توسُّطِ هذا الدين في الشُّعَبِ الثلاث، وقصَدتُ بالسُّلوكِ: الأخلاقَ، وبالانقيادِ: العِبادات.

(٢) السَّطوُ: التطاوُلُ، والقهرُ بالبَطش، والمَعنى: أنَّ هذِهِ الأمَّة ما رفعَتْ نبيَّها فوقَ قدره، ولا انتقصَتهُ حَقه.

(٣) قال اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ...﴾ [الكهف: ١١٠، فصلت: ٦].

(٤) **الجَهمُ** بنُ صَفوانَ: رأسُ فِرقةِ الجَهمِيَّة، والجَهْمِيَّة والقدَريَّة فِرقتان ضالتان، وهما طرفا نقيض في الإيمان بالقدَر، فالجهمية تقول: إن العبدَ لا يُوصَفُ بالاستطاعةِ على الفعل، بل هُوَ مجبورٌ وليست له إرادة، فهوَ كالريشةِ المُعلقةِ في مَهبِّ الرِّيح! وأمَّا القدريَّة فإنها تنفي القدَرَ، وتنفي خلقَ اللَّهِ لأفعَال العِبادِ، وأهلُ السُّنةِ والجمَاعَةِ وسط بينَ الفِرقتين، فهم يُؤمنونَ بأقدار اللَّهِ، وبأنَّ اللَّهَ خالقٌ لِلعِبادِ ولأفعالهم، كما أنهم يُؤمِنونَ بأنَّ اللَّهَ أعطى العِبادَ قدرَة على الاكتسَابِ، وحُرِّيَّة في الاختيَار، وعلى هذا يُحَاسِبُهم.

(٥) **الشيعَة المُغالِيَة**: التي زادَتْ في حُبِّها لسيِّدِنا عليِّ بن أبي طالبٍ ﷺ وآل البيتِ الكرَام عن الحدِّ، **والخوارجُ القالِيَة**: شديدة البُغض والكراهِيَة لهُم، إذ خرَجُوا عليه وكفرُوه، وأهلُ السُّنةِ والجَماعَة توسَّطوا بلا إفراط ولا تفريط، قال الإمامُ القحطانيُّ:

=

(١١٦٧) إنْ زَادَتِ الجُـرْأةُ[١] فالـتهوُّرُ ... أوْ نقـصَتْ وَصْـفا يَكـوْنُ الخَـوَرُ

(١١٦٨) وَالجُـوْدُ إنْ زَادَ غـدَا تبْذِيـرَا ... أوْ قـلَّ يَـوْمًا أصْبَحَ التقتِيْـرَا

(١١٦٩) فـلا تـبذرْ فـتكنْ شَـيْطانا ... وَلا تـشحَّ تُهْلـكِ الإخـوَانا

(١١٧٠) وَأمـرَ النبـيْ بحـلِّ الحَـبلِ[٢] ... وَهْـوَ دَعَـا إلى الـصَّلا باللـيْلِ

(١١٧١) فـاحْفظ لـهُمْ حُـبُّ التناهِيْ شَطَطُ ... وَخيْـرُ أمْـرٍ في الأمُـوْر الوَسَـطُ

* * *

= وَاحْفـظ لأهْـلِ البَـيتِ وَاجـبَ حَقهـمْ ... وَاعْـرفْ عَلِـيا أيمـا عِـرْفانِ

لا تنتقِـصْهُ وَلا تـزدْ في مَدْحـهِ ... فعَلـيْهِ تـصْلى الـنارَ طائِفـتانِ

إحْـدَاهُمَا لا ترْتـضِيهِ خَلِـيفةً ... وَتنـصُّهُ الأخـرَى إلَهًـا ثانِـيْ

(١) الجُرْأة: الشجَاعَة والبسالة، والتهَوُّرُ: الوقوعُ في الشيءِ بدُون مُبالاةٍ، والمَعنى: استخدام الجُرْأة في غير موضِعِها سَفها، والخوَرُ: الجُبن.

(٢) عن أنس بن مالك ﵁ قال: (دخل النبيُّ ﷺ فإذا حبلٌ ممدودٌ بينَ الساريتين، فقال: «**ما هذا الحبلُ؟**» قالوا: هذا حبلٌ لزينبَ، فإذا فترَتْ تعلقت! فقال النبيُّ ﷺ: «**لا، حُلوه، لِيُصَلِّ أحدُكم نشاطه، فإذا فتر فليقعدْ**») رواه أحْمدُ والبخاريُّ ـ واللفظ له ـ ومسلمٌ وأبو داود والنسائيُّ وابنُ ماجه وابنُ خزيمة وابنُ حِبَّانَ. وقال ﷺ: «... **أيُّها الناسُ، أفشوا السلامَ، وَأطعموا الطعامَ، وَصِلوا الأرحامَ، وَصَلوا بالليل والناسُ نيامٌ، تدخلوا الجنة بسَلام**». رواهُ أحْمدُ والترمذِيُّ وابنُ ماجَه وابنُ أبي شيبة والدارميُّ والطبرانيُّ في «الأوسط».

الفصلُ التاسِعَ عشْرَ: خلقُ الهمّةِ والنشَاط

(١١٧٢) وَاجْتَنِبِ الإهْمَالَ وَالتسْويْفا — وَكُنْ نشِيْطا يَقِظا خفِيْفا

(١١٧٣) فالوَقتُ يَنقضِيْ هُنا سَريْعًا — مِنْ عامِلٍ أوْ خامِلٍ جَمِيْعًا

(١١٧٤) وَالمَرْءُ بالهمَّةِ لا بالجِسْمِ — وَأعْلى الانبياءِ أهلُ العَزمِ[1]

(١١٧٥) انظرْ إلى النمْلةِ في هِمَّتِها — وَلتَرْقبِ النحْلةَ في عَزْمَتِها

(١١٧٦) أجْدَادُنا قدْ فتحُوا البلادَا — بعَزْمهمْ وَأنقذوُا العِبادَا!

(١١٧٧) وَصَنفوا الفنوْنَ وَالعلوْما — وَلقحُوا[2] العُقوْلَ وَالفهوما

(١١٧٨) فالهمَّةُ العُليَا تفوْقُ الزَّمَنا[3] — وَتدْفعُ المَرْءَ لتحْقِيْقِ المُنىْ

(١١٧٩) وَتَجْعَلُ الإنسَانَ يَأتِي مُعْجزَا — وَيصْبحُ الدَّهْرَ وَيُمْسِيْ فائِزَا

* * *

(١) أهلُ العَزم من الرُّسُل: مَن تحمَّلوا المَشاقَّ والمتاعِبَ في تبليغ الدَّعوةِ أكثرَ من غيرهم، وهُم على الرَّاجح: نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى ومحمدٌ، وقد جاءَ ذكرُهم في القرآن في سُوَر: الأحزابِ والشورَى ومحمد.

(٢) لقحُوا العُقولَ، فعلوا بها ما تفعَلُ الرِّياحُ بالشجَر، أي: جعلوها تمتلئُ بالعُلوم وتنتجُ المَعَارف.

(٣) تجعَلُ صَاحِبَها يُنتِجُ ويبتكِرُ، في زمن يسير، ما لا يفعلهُ غيرُهُ في عُمُر أطوَلَ.

الفَصْلُ العِشْرُوْنَ: خلقُ العمَل

(١١٨٠) وَالعَمَـلُ البَانِـيْ عَلَـيكَ وَاجِـبُ ... وَتَحْتَهُ العَيْنُ[1] كَـذاكَ الحَاجِـبُ

(١١٨١) وَدِيْنُـنا كَـمْ حَثَّـنا على العَمَـلِ؟ ... وَكَـمْ نَهَى عَـنِ الخُمُوْلِ وَالكَسَلِ؟

(١١٨٢) وَرَبُّـنا سَـوْفَ يَـرَى الأَعْمَـالا ... وَيَـوْمَ بَعْـثٍ يُنبِـئُ العُمَّـالا

(١١٨٣) وَهْـوَ تعَالَـىْ لا يـضِيعُ الأَجْـرَا ... إِنْ أَحْـسَنَ العامِـلُ كَـانَ ذخـرَا

(١١٨٤) فَـإِنْ عَمِلْـتَ صَـالِحًا لِنفـسِكا ... وَإِنْ أَسَـأْتَ الـوِزْرُ فَـوْقَ ظَهْـرِكا

(١١٨٥) وَالأَنبِـياءُ كلُّهُـمْ قَـدْ عَمِلُـوا ... حَتـىْ أَتـىْ على الجمِـيْعِ الأَجَـلُ

(١١٨٦) فَقـدْ رَعَـوْا[2] وَكَـانَ مِـنْهُمْ تاجِـرُ ... وَحَـارِثٌ وَحائِـكٌ وناجِـرُ

(١١٨٧) وَمَلِـكٌ خلـيْفَةٌ[3] لا يأكُـلُ ... مِـنْ غيْـرِ كَـسْبِ الـيَدِ فهْـوَ أَفـضَلُ

(١١٨٨) وَيَعْمَـلُ الـدُّرُوْعَ[4] سَـابغاتِ ... كَمَـا أَتـىْ في مُـحْكَمِ الآيَـاتِ

(١١٨٩) وَسَـيِّدُ الخلـقِ لَـنا قَـدْ قَـالا ... حَتـى نحِـبَّ دَوْمًـا الأَعْمَـالا:

(١١٩٠) إِنْ قامَـتِ الـسَّاعَةُ وَالفَـسِيْلَة[5] ... في الـيَدِ فَلْتُغْـرَسْ تـنلْ جَمِـيلَهْ

---

(١) المعنى: للعلم منزلة عَاليةٌ، فهو فوقَ العَينِ والحَاجب.

(٢) رَعَوا: عملوا برَعْي الأغنام والمَاشية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بعثَ اللَّهُ نبيا إلا رَعَى الغنمَ»، فقال أصحابُه: وأنتَ؟ فقال: «نعم، كنتُ أرعاها على قراريط لأهل مكة». رواهُ مالكٌ والبُخاريُّ وابنُ ماجه. والحَارثُ: الذي يعملُ بفِلاحَةِ الأرض، والحَائِكُ: الخيَّاط، والناجِرُ: النجَّار.

(٣) هو: نبيُّ اللَّهِ داودُ أبو سُليمان، وكان ﷺ حَدَّادا.

(٤) الدُّرُوعُ: جَمعُ دِرع، وهوَ: مَا يحمله أو يلبسُهُ المُقاتلُ ليتقِيَ به ضرَباتِ عَدُوِّه، وسَابغات: كوامِلُ يجرُّها لابسُها على الأرض، قال اللَّهُ ﷻ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ].

(٥) الفسِيلة: الصغيرَة من النخل، وتنل جَميله: تأخذ الجزاءَ الجميل على هذا الغرس، أو: جَميلَ اللَّه وأجرَه، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن قامتِ الساعة وفي يَدِ أحدِكم فسيلة، فإن استطاعَ أن لا تقومَ حتى يغرسَها فليغرسْها». رواهُ أحمدُ والبُخاريُّ في «الأدبِ المُفرَد».

(١١٩١) وَجــاءَهُ يَــوْما فقِيْــرٌ يَــسْأَلُ ... وَهْــوَ صَــحِيْحٌ سَــالِمٌ وَيَكْــسَلُ!

(١١٩٢) فقــالَ: هَــلْ في البَــيْتِ مَــا يُــبَاعُ؟ ... أَجَــلْ، كِــسَا وَكُــوْبٌ المَــتاعُ!

(١١٩٣) باعَهُمــا بِدِرْهَمَــيْن وَاشْــتَرَى ... لَــهُ طعَامــا وَقَــدُوْما[1] باتِــرَا

(١١٩٤) فقــالَ: خُــذ وَلتحْــتطِبْ ثــمَّ بِــعِ ... وَلا أَرَاكَ نِــصْفَ شَــهْر فارْجِــعِ

(١١٩٥) فطَــبَّقَ الفقِيْــرُ ذِي الوَصِــيَّة ... وَجــاءَهُ وَنفْــسُهُ مَرْضِــية

(١١٩٦) إِذِ اشْــتَرَىْ ثــوْبا كَــذا طعَامــا ... وَأَشْــبهَ الأعِــزَّةَ الكِــرَاما!

(١١٩٧) وَهكَــذا النبِــيُّ أَعْلَــى العَمَــلا ... مُبَغِّــضًا لِلأُمَّــةِ التــسَوُّلا

(١١٩٨) فعمِــلَ الآبَــاءُ وَالأجْــدَادُ ... يَحْــدُوْهمُ[2] الجِــدُّ وَالاجْــتِهادُ

(١١٩٩) فانتَــشِرِيْ يَــا أُمَّتِــيْ في الأرْضِ ... فالــرِّزْقُ في طُــوْل بهــا وَعَــرْضِ

(١٢٠٠) وَاقْــضِيْ على مَــا يَنْــشُرُ الــبَطالة ... وَيَجْعَــلُ الــشَّبَابَ فِيْــنا عَالَــة

(١٢٠١) فقِــيْمةُ المَــرْءِ بِمَــا أَجَــادَا ... مِــنْ عَمَــلٍ يُغنِــيْ وَمَــا أَفــادَا

(١٢٠٢) وَاعْمَــلْ أَخِــيْ بمــا يُفِــيدُ الأمَّــة ... بِنِــيَّةٍ صَــادِقةٍ وَهِمــة

(١٢٠٣) وَاعْمَــلْ كما لَــوْ عِــشْتَ فِــيْهَا أَبَــدَا ... وَاعْمَــلْ كَــأَنَّ المَــوْتَ يَأْتِــيْكَ غَــدَا

❊ ❊ ❊

---

(١) القدُومُ: ما يُنحَتُ به أو يُقطعُ الشجرُ ونحوه كالفأس، والبَاتِرُ: الحَادُّ القاطع.

(٢) يَحدُوهمُ الجِدُّ: يسوقهم العزمُ والنشاط.

الفَصْلُ الحَادِي والعِشْرُونَ: خلقُ الترتِيْبِ وَالنظام

(١٢٠٤) وَكوْنُنا يَسِيْرُ في نِظَامِ ... في غايَةِ الإتقانِ وَالإحْكَامِ

(١٢٠٥) الشَّمْسُ وَالكوْكبُ وَالمجَرَّة ... وَالجسْمُ وَالجُزَيْءُ ثمَّ الذرَّة

(١٢٠٦) وَالمَاءُ وَالهَوَاءُ وَالعقولُ ... وَالليْلُ وَالنهَارُ وَالفصُولُ

(١٢٠٧) وَشَرْعنا نِظامُهُ مُرَتبُ ... بدِقةٍ فائِقةٍ لا تعْجَبوا

(١٢٠٨) فعَدَدُ المَرَّاتِ إنْ غسَلتا ... وَاليدُ قبْلَ الوْجْهِ هَلْ فكرْتا؟

(١٢٠٩) أذانُنا صُفوْفنا السُّجُوْدُ ... سحُوْرُنا إفطارُنا وَالعِيدُ

(١٢١٠) وَأشْهُرُ الحَجِيْجِ مَعْلوْمَاتُ ... وَالسَّعْيُ وَالطوَافُ وَالجمْرَاتُ

(١٢١١) وَكلُّ ذا يُعَوِّدُ النظاما ... وَيُكسِبُ المُسْلِمَ الالتِزَاما

(١٢١٢) فوَزِّعِ الوَاجبَ وَالحُقوْقَا ... مُفكرًا فِيْهَا لِكيْ ترُوْقا[1]

(١٢١٣) وَرَتبِ الأمُوْرَ في حَياتكا ... لِتنجزَ المَطلوْبَ مِنْ حَاجَاتكا

(١٢١٤) وَنظمِ الأفكارَ إنْ فكرْتا ... وَرَتبِ الكلامَ إنْ نطقتا

(١٢١٥) وَنظمِ الأثاثَ وَالمَتاعا ... يُكسِبْكَ ذا في المَنزل اتسَاعا

(١٢١٦) وَرَتبِ الزِّيَّ وَكنْ مُهندَمَا ... وَلتحْفظِ الأوْقاتَ كيْ لا تندَمَا

(١٢١٧) فإنْ تنظمْ تحْفظِ المَجْهُوْدَا ... وَالوَقتَ أيْضا وَتعِشْ مَسْعُوْدَا

* * *

---

(١) راقَ الشيءُ يَرُوقُ فهُوَ رَائِقٌ، أيْ: حسُنَ وجَمُلَ وصَارَ مُعجبًا، وَلِكي ترُوقا أي: تكونَ واجباتكَ وحُقوقكَ حسنة مُؤَدَّاة على أجمل وجه، أو لكيْ ترُوقَ أنت، فتصبحَ رَائقًا.

الفصلُ الثانيْ والعِشْرُوْنَ: خلقُ الإتقانِ والإحْسَانِ

(١٢١٨) أتقنَ رَبِّيْ كلَّ شَيْءٍ صَنعَهْ ... وَأحْسَنَ الخلقَ لنا إذ طبَعَهْ
(١٢١٩) يُحِبُّ كلَّ عَمَلٍ قدْ أُتقِنا ... وَلا يُضِيْعُ الأجْرَ مِمَّن أحْسَنا
(١٢٢٠) قدِ ابْتلي العبادَ بالإحْسَان[1] ... إنْ أحْسَنوا الحُسْنى مِنَ الجنان
(١٢٢١) وَبعْدَهَا الرُّؤْيَةُ يُبصِرُوْنَهُ ... إذ عَمِلوا كأنهُمْ يرَوْنَهُ
(١٢٢٢) فحَقق الإحْسَانَ إذ تطِيْعُ ... فقدْ عَلا[2]، وَدُوْنهُ الجَمِيْعُ
(١٢٢٣) وَليْسَ لِلمَرْءِ إذا مَا صَلىْ ... إلا التِي اسْتحْضَرَ فِيْهَا العَقلا
(١٢٢٤) وَطيِّبِ الكلامَ يَا مَنْ تؤْمِنُ ... وَأخرجِ الأقوَالَ وَهْيَ أحْسَنُ
(١٢٢٥) وَعَامِلِ الناسَ وَإنْ غشُّوْكا ... كما تُحِبُّ أنْ يُعَامِلوْكا
(١٢٢٦) وَعَمِّرِ الأرْضَ كما أُمِرْتا ... وَابْذلْ مِنَ المَجْهُوْدِ مَا قدِرْتا
(١٢٢٧) وَأحْسِنِ الغرْسَ إذا زَرَعْتا ... وَأتقِنِ الصَّنعَةَ إنْ صَنعتا
(١٢٢٨) مُفكرًا مُجدِّدًا وَأخلِص ... مُغتنِمًا في الخَيْرِ كلَّ الفرَص
(١٢٢٩) وَاحْذرْ مِنَ الغِشِّ مَدَى الزَّمَان ... فليْسَ ذا مِنْ خلق الإتقان
(١٢٣٠) وَأتقِنِيْ يَا أمَّتِيْ وَأحْسِنِيْ ... فالحُبُّ مِنْ رَبِّيْ لِكلِّ مُحْسِن

* * *

(١) ابتلى اللهُ العِبادَ بالإحسَان: كما في قولِه ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [المُلك: ٢]، ويُشِيرُ عَجزُ البيتِ إلى قول اللهِ ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ...﴾ [يونس: ٢٦]، وفسِّرَتِ الزِّيادَة في الآيَة على أنها النظرُ إلى وجهِ اللهِ الكريم في الآخِرَة.

(٢) عَلا مُقامُ الإحسَان ودَرَجتهُ على درجتي الدِّين الأخرَيين، فالإحسَانُ أعلى ثمَّ الإيمانُ ثمَّ الإسلام.

الفصلُ الثالثُ والعِشْرُونَ : خلقُ القوَّة

(١٢٣١) واللَّـهُ رَبِّـي قـادِرٌ وَمُقـتدِرْ ... وَيَهَـبُ القـوَّةَ مَـنْ شـا فادَّكِـرْ

(١٢٣٢) وَضَـعْفنا يَجْعَلُـهُ فُـتُوَّة ... وَيُـضْعِفُ الأجْـسَامَ بَعْـدَ القـوَّة

(١٢٣٣) وَالمُـؤْمِنُ القـويُّ مِـنا عِـندَهُ ... خيْـرٌ مِـنَ الـضَّعِيْفِ وَالحُـبُّ لـهُ

(١٢٣٤) فقـوِّ مِـنكَ الـدِّينَ في الفـؤَادِ ... حَتـى يَكـوْنَ مِـنكَ في ازْدِيـادِ

(١٢٣٥) وَقـوِّ مِـنكَ العَقـلَ وَالتفكِيْـرَا ... وَكـنْ بما تَحْـتاجهُ خبيـرَا

(١٢٣٦) وَقـوِّ مِـنكَ الـنفسَ وَالأعْـصَابا ... وَامْلِـكْ إذا مَـا غـضَبٌ أصَـابا

(١٢٣٧) وَقـوِّ مِـنكَ الجِـسْمَ مَـا اسْتطعْتا ... وَاحْـرِصْ على شَـيْءٍ بِـهِ انتفعْـتا

(١٢٣٨) وَاغتـنِم القـوَّةَ في الطاعَـاتِ ... قـبْلَ مَجـيْءِ هـاذمِ اللـذاتِ

(١٢٣٩) فاللَّـهُ سَـائلٌ إذا مَـا جئـتا : ... في أيِّ شَـيْءٍ عَـبْدَنا أبْليْـتا؟

(١٢٤٠) وَجَهِّـز القـوَّةَ لِلعَـدُوِّ ... في البَـرِّ أوْ في البَحْـرِ أوْ في الجـوِّ

(١٢٤١) فالمُـسْلمُ الحَـقُّ أمَـامَ الكفـرَة ... في شِـدَّةٍ وَغِلظـةٍ[١] كالقـسْوَرَة

(١٢٤٢) وَاحْـذرْ تكبـرًا بمـا أوْلاكـا ... مِـنْ قـوَّةٍ وَاحفظـهُ كـيْ يَـرْعاكا

(١٢٤٣) وَاسْـتغفِرِ اللَّـهَ وَتـبْ لِـرَبِّكا ... يَـزدْكَ قـوَّةً[٢] إلى قـوَّتكا

❊ ❊ ❊

---

(١) يُشيرُ البيتُ إلى قول المَولى ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]، والقسوَرَة: من أسماءِ الأسَد.

(٢) يُشيرُ البيتُ إلى قول المَولى ﷻ على لِسَان نبيِّهِ هودٍ ﷺ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هُود: ٥٢].

الفصلُ الرَّابعُ والعِشْرُوْنَ: خلقُ الجرأةِ والشَّجاعَة

(١٢٤٤) وَكُنْ جَرِيْءَ القلبِ كالأسُودِ ... وَاتْرُكْ جَمِيْعَ الجُبْنِ لِلْيَهُوْدِ

(١٢٤٥) فالجُبْنُ لا يَزِيْدُ في الأعْمَارِ ... وَالضِّدُّ لا يُدْنِيْ مِنَ الأقْدارِ

(١٢٤٦) وَالمُسْلمُ الحَقُّ شَدِيْدُ البَأسِ ... لا يَرْهَبُ المَوْتَ وَقطعَ الرَّأسِ

(١٢٤٧) وَسَيِّدُ الشُّجْعَانِ في الحُرُوْبِ ... بِهِ اتقى الصَّحْبُ مِنَ الكُرُوْبِ

(١٢٤٨) وَاذكُرْ عَلِيا إذ أرَادَ أجْرَه ... وَنَامَ في الفِرَاشِ يَوْمَ الهجْرَة!

(١٢٤٩) وَعمَرَ الإسْلام حِيْنَ جَاهرَا ... بديْنِهِ بَيْنَ الجُمُوْعِ شَاهِرَا!

(١٢٥٠) وَحَمْزَةً قَسْوَرَةَ الإسْلام ... مُعَلمًا بريشَةِ النعام!

(١٢٥١) بَرَاءُنا[1] قدْ قفزَ الأسْوَارَا ... وَقاتَلَ الكفارَ مَا توَارَىْ!

(١٢٥٢) وَخالِدٌ قدْ كسَّرَ الأسْيَافا ... بِيدِهِ في مُؤْتةٍ مَا خافا!

(١٢٥٣) بنتُ يَزِيْدَ[2] خَاضتِ اليَرْمُوْكا ... وَتِسْعَةً أرْدَتْ، لِيَنشرْ فوْكا!

(١٢٥٤) وَأفضَلُ الجهَادِ عِنْدَ القاهِر ... مَقوْلةُ الحَقِّ أمَامَ جائِر

(١٢٥٥) فانزِعْ إلَهِي الجُبْنَ مِنْ قلوْبنا ... وَانشُرْ جُنُوْدَ الحِفظِ حَوْلَ رَكبنا

* * *

---

(١) هُو: البَرَاءُ بنُ مالكٍ الأنصَاريُّ، فقد قفز على أسوار حِصن الكفار في معركةِ اليمامة، ثمَّ فتح البابَ، فدخلَ المسلمونَ المدينة وتمَّ لهم النصرُ، وقد قتل مائة مُبَارَزة في معاركه التي خاضها، ومات رضي الله عنه شهيدًا سنة (٢٠هـ) في فتح تستر. ومعنى ما توَارَى: ما اختبأ ولا أحْجَم.

(٢) بنتُ يزيدَ: أسماءُ بنتُ يَزيدَ بن السَّكن الأنصاريَّة رضي الله عنها، خطيبة النسَاءِ، بنتُ عمِّ مُعاذِ بن جبَل، وتسعة أرْدَتْ: قتلتْ تسعة رجال من الرُّوم بعمودِ فسطاطِها في معركةِ اليرموكِ، لِيَنشُرْ فوكَ: ليتكلم فمُكَ بأمثال هذهِ البطولاتِ، مُبيِّنا عظمةَ أصحابِ النبيِّ ﷺ وبُطولاتِهم.

الفَصْلُ الخَامِسُ وَالعِشْرُوْنَ: خلقُ الاتحادِ وَالاعْتِصَام

(١٢٥٦) احْرِصْ على مَا يَجْمَعُ الصُّفوْفا ... وَيَمْحَقُ الشِّقاقَ وَالخِلافَا

(١٢٥٧) ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾[1] لكم ... قانونُ صِدْق فِيْهِ حَقا عِزُّكمْ

(١٢٥٨) وَاعْتَصِمُوا دَوْما بحَبْلِ اللَّهِ ... وَلا تكوْنوا مِثلَ ساهٍ لاهِ

(١٢٥٩) وَلا تكوْنوا مِثلَ مَنْ تفرَّقوا ... فضَعُفوا وَهزمُوا وَمُزِّقوا

(١٢٦٠) «لا ترْجعُوا بَعْدِيَ كفارًا»[2] كذا ... قالَ النبيُّ مُبْعِدًا عنا الأذىْ

(١٢٦١) فعوْنُ رَبِّنا مَعَ الجَمَاعَة ... وَمَنْ أرَادَ فرْقةً أضَاعه

(١٢٦٢) وَالمُؤْمِنوْنَ بَعْضُهمْ لِبَعْض ... في قوَّةِ البُنيَانِ فوْقَ الأرض

(١٢٦٣) وَهمْ أذِلةٌ على الأبرار ... أعِزَّةٌ على العدَا الكفار

(١٢٦٤) قدْ غلِبُوا لمَّا قلوْبُهُمْ قسَتْ ... وَهَلْ يَنالُ الذئبُ إلا مَنْ قصَتْ؟

(١٢٦٥) وَمَنْ أقامَ فِتنةً مِنْ نوْمِها ... حَلتْ عَليْهِ لعْنةُ اللَّهِ بها

* * *

(١) ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال].

(٢) قال ﷺ: «لا ترجعُوا بعدِيْ كفارًا يضربُ بعضُكم رقابَ بعض». رَواهُ أحْمدُ والبُخاريُّ ومُسلمٌ وابنُ مَاجَه وابنُ أبي شيبة والبزارُ وأبو يعلى.

الفصلُ السَّادسُ وَالعِشْرُونَ: خلقُ التعاوُن

(١٢٦٦) وَعَاون الخلقَ وَكنْ مُسَاعِدَا ... في البرِّ وَالتقوَىْ تَجدْ مُسَانِدَا

(١٢٦٧) بِفِعْلَةٍ، أوْ كِلمَةٍ، أوْ دُلَّهمْ ... على طريْق العَوْن مُهْتمًّا لَهمْ

(١٢٦٨) فاللَّهُ في عَوْن الفتى الرَّؤُوْفِ ... مَا كانَ في عَوْن الأخ المَلهُوْفِ

(١٢٦٩) قدْ عَاوَنَ النبيُّ كلَّ الخلق ... مَنْ كانَ حُرًّا أوْ حَلِيْفَ الرِّقِّ

(١٢٧٠) وَعاوَنَ الأرْحامَ وَالأجانِبا ... مَنْ كانَ شَيْخًا مِنهُمُ أوْ في الصِّبَا

(١٢٧١) وَهَكذا كانَ ذوُو الألبابِ ... لِغيْرِهِمْ بالخيْر في اسْتِعْذابِ[1]!

(١٢٧٢) وَالنفسُ في حَاجَةِ نفسِ مْثلِها ... هَلْ صَفقتْ يَدٌ بدُوْن أختِها؟

(١٢٧٣) خيْرُ الوَرَىْ مَنْ لِلوَرَىْ يُوَاسِيْ ... وَخيْرُهُمْ أنفعُهُمْ لِلناس

* * *

---

(١) استعذبَ الشيءَ: أحَسَّ بأنه عَذبٌ، أي: حُلوالمَذاق، والمَعنى: أنَّ العُقلاءَ أهلَ الإيمَان يشعُرُونَ بلذةٍ ومُتعَةٍ حينما يُقدِّمونَ الخيرَ ويَدَ المَعُونةِ لغيرهم!.

الفَصْلُ السَّابِعُ والعِشْرُونَ: خلقُ الرَّحْمَة

(١٢٧٤) وَرَبــنا الــرَّحِيْمُ بالعِـبادِ رَحْمَــنُ ذِي الدُّنـيَا وفي المَعَـادِ

(١٢٧٥) رَحْمَــتُهُ لِغـضَبٍ قـدْ سَبَقتْ وَكـلَّ شَـيْءٍ شَـمِلتْ وَوَسِـعتْ

(١٢٧٦) يَختـصُّ بالـرَّحْمَةِ مَـنْ قـدْ رَضِـيا وَيَنــزِعُ الــرَّحْمَةَ مِـــمَّنْ شَـقِيا

(١٢٧٧) وَقــسِّمتْ رَحْمَــتهُ إلى مِــئَةْ بــوَاحِدٍ تــرَاحَمَتْ كــلُّ فِــئَةْ!

(١٢٧٨) فــرَفعتْ حَافِـرَها العَجْمَــاءُ[١] عَــنْ وَلــدٍ، مــا مَـسهُ الإيـذاءُ!

(١٢٧٩) وَادَّخـــرَ التــسْعَةَ وَالتـسْعِينا لِبَعْثِـــنا، فاسْـــألهُ مُــــسْتعِينا

(١٢٨٠) رَســوْلهُ بـــرَحْمةٍ قـــدْ لانـــا لِلخَلـــق وَالكـــلُّ بهـــذا دَانـــا

(١٢٨١) أرسَـــلهُ لِلعَالمِـــيْنَ رَحْمـــةْ وَهْــوَ الــرَّؤُوْفُ يَــا أخِــيْ بالأمَّـــة

(١٢٨٢) وَصَــحْبهُ كــذاكَ نالــوا حظهُــمْ فهُــمْ بحَــقٍّ ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[٢]

(١٢٨٣) وَجَــاءَ مَــجْلِسَ النبــيِّ صَــاحِبُهْ بــابنٍ لـــهُ يَــضُمُّهُ يداعِبُهْ

(١٢٨٤) فقــالَ لِلــوَالِدِ: هــلْ تــرْحَمُهُ؟ قــالَ: نعَــمْ، مِـنْ أجْـلِ ذا أضُـمُّهُ

(١٢٨٥) فقـــالَ إذ أجابـــهُ مُبـــشرًا: فـرَبنا أرْحـمُ مِـنْ كـلِّ الـوَرَىْ

(١٢٨٦) وَبَيْــنمـا نبيُّــنا في مَـــجْلسِ يَـوْما أتـاهُ الأقـرَعُ[٣] بْـنُ حَـابسِ

---

(١) الحَافِرُ من الفرس: كالقدم من الإنسان، وكالخفِّ من البعير، والعَجماءُ: البَهيمة أو الدَّابَّة، وقال النبيُّ ﷺ: «جعلَ اللَّهُ الرحمة في مِئةِ جُزءٍ، فأمسكَ عندَه تسعة وتسعين جزءًا، وأنزلَ في الأرض جزءًا واحدًا، فمِنْ ذلك الجزءِ تتراحمُ الخلائقُ، حتى ترفعَ الدابةُ حافرَها عن ولدِها خشية أن تصيبَه!». رَوَاهُ البخاريُّ ومُسلمٌ والدارميُّ والطبرانيُّ في «الأوسط» والبيهقيُّ في «الشُّعب».

(٢) قال رَبُّنا ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ...﴾ [الفتح: ٢٩].

(٣) عن أبي هريرة ﵁ قال: (قبَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ الحسنَ بن عليٍّ ﵄، وعنده الأقرعُ بنُ حابس التميميُّ جالسًا، فقال الأقرعُ: إن لي عشرة من الولدِ، ما قبَّلت منهم أحدا! فنظرَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم»). رواهُ أحْمدُ والبخاريُّ ومسلمٌ وأبو داودَ والترمذيُّ وابنُ حبانَ والبيهقيُّ في «الشُّعب».

(١٢٨٧) فانـدَهَشَ الأقـرَعُ حِـيْنَ أقـبَلا لمَّـا رَآهُ سِـبطَـهُ قـد قـبَّلا!

(١٢٨٨) فقـالَ: هَـلْ يُعْقـلُ ذا التقبـيْلُ ألـيْسَ ذا بهيْـبةٍ يمِـيلُ!؟

(١٢٨٩) فعـشْرَةٌ صِـرْتُ لكـلٍّ وَالـدَا واللّـهِ مَـا قـبَّلتُ مِـنهُمْ وَاحِـدَا!

(١٢٩٠) فقـالَ: مـا أفعـلُ يَـا هَـذا بكـا إنْ نـزعَتْ رَحْمَـتهُ مِـنْ قلـبكا؟

(١٢٩١) فـارْحَم أخِـيْ نفسَكَ فهْـيَ أوْلـىْ بطاعـةِ الإلـهِ نِعْـمَ المَوْلـىْ

(١٢٩٢) وَارْحَـم أخِـي القـريْبَ وَالبَعِـيْدَا تكـنْ محَـبًّا فائـزًا سَـعِيدَا

(١٢٩٣) وَامْـسَحْ أخِـيْ مِـنَ اليَتِـيْم الرَّأسَـا وَأطعِـم المِسْكِيْنَ أذهِـبْ بَأسَـا

(١٢٩٤) وَارْحَـمْ كـذا البَهـيْمَ وَالطـيُوْرَا تـنلْ بـذاتِ الكـبدِ[(١)] الأجـوْرَا

(١٢٩٥) فمَـنْ سَقى الكلـبَ نجَـا بـرَحْمَةٍ وَامْـرَأةٌ قـدْ عُـذبَتْ في هـرَّةٍ!

(١٢٩٦) وَانـضَمَّ في الـسَّيْرِ لِمَـنْ تواصَـىْ بـرحْمَةٍ[(٢)] وَاسْتحْـضِرَ الإخلاصَـا

(١٢٩٧) فاللّـهُ لا يَـرْحَمُ مِـنْ عـبادِهِ مَـنْ جَمَـعَ القـسْوَةَ في فـؤادِهِ

(١٢٩٨) وَادْعُ بــ: قلبـيْ رَقِقَـنهُ مِـنكا وَهَـبْ لـنا الـرَّحْمَةَ مِـنْ لـدُنكا

* * *

(١) ذاتُ الكبدِ: الكائناتُ الحَيَّة ذاتُ الإحساس، كالحيوان والطير، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «بينا رجلٌ يمشي، فاشتدَّ عليه العطشُ، فنزل بئرًا فشربَ منها ثم خرج، فإذا هو بكلبٍ يلهثُ يأكلُ الثرَى من العطشِ! فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفَّه ثم أمسكه بفيه! ثم رقِيَ فسقى الكلبَ، فشكر اللّهُ له فغفرَ له!» قالوا: يا رسولَ اللّه، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ». رواهُ مَالكٌ وأحْمدُ والبخاريُّ ومسلمٌ وأبو داودَ والبيهقيُّ في «السنن» و«الشُّعب».

(٢) اتصِفْ بصِفةِ من آمَنوا وأوصَى بعضُهم بعضا بالتراحُم والإشفاق على الأمَّة، والذين ذكرَهمُ اللّهُ في قولِهِ: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ [البلد].

الفَصْلُ الثامِنُ وَالعِشْرُونَ: خلقُ الرِّفقِ واللين

(١٢٩٩) وَالـرِّفقُ في كـلِّ الأمُـوْرِ زَيْـنُ ... وَالمُـؤْمِنُ الكَـيِّسُ[1] هَـيْنٌ لَـيْنُ

(١٣٠٠) في بَيْتِهِ أَوْ سُوْقِهِ أَوْ مَسْجِدِهْ ... في اليَوْم أَوْ في الغدِ أَوْ بَعْدَ غدِهْ

(١٣٠١) فـإِنْ رَفقنا تهْدَأِ الأعْصَابُ ... وَتـصْلح السنفوْسُ وَالألـبابُ

(١٣٠٢) واللّـهُ رَبنا بنا رَفيقُ ... فمَـنْ يَـرقَّ بالعَطا حقيْقُ

(١٣٠٣) أَمَّـا الـذِيْ يُحْـرَمُ هَـذا الخلقا ... يُحـرَمُ خيـرَ رَبِّـهِ وَالـرِّزقا

(١٣٠٤) دَعـا النبـيُّ للـذِيْ يُوَلَّـىْ ... بِهـذِهِ الأمـةِ أَوْ يُعَلَّـىْ

(١٣٠٥) أَنْ يَـرْفقَ اللّـهُ بـهِ إِنْ يَـرْفُقِ ... وَيَـشْققنْ عَلـيْهِ إِمَّـا يَـشْققِ

(١٣٠٦) وَقـدْ أتـىْ مَـسْجدَهُ الأعْرَابـيْ ... وَبـالَ فـوْقَ الـرَّمْلِ وَالتـرَابِ

(١٣٠٧) فهَـمَّ أَصْـحَابُ النبـيِّ بالـرَّجُلْ ... فقـال: لا، دَعُـوهُ[2] حَتـى تكـتمِلْ

(١٣٠٨) وَبَعْـدَ ذا صُـبُّوا على أذاهُ ... سَـجْلا[3] مِـنَ المـاءِ، وَمَـا آذاهُ!

(١٣٠٩) فالـتمَسَ العـذرَ وَبَعْـدُ نظفـا ... وَعَلَّـمَ الأصْـحَابَ مِـنهُ اللطفـا

(١٣١٠) فالتـزمِ الـرِّفقَ وَفـارقْ عُـنفا ... كـمْ أتلـفَ العُـنفُ وَجَـرَّ خـوْفا؟

❊ ❊ ❊

---

(١) الكيِّسُ: العَاقلُ اللبيبُ، والهَينُ اللينُ: السَّهلُ الخلق، الحَسَنُ الطبع.

(٢) دَعُوهُ: اترُكوهُ ولا تؤذوه، وحتى تكتمل أي: حتى تكتملَ حاجته، ويفرُغ من قضَاءِها.

(٣) السَّجْلُ: الدَّلْوُ الضخمة المَملوءَة ماءً، وقيل: كثرَ ماءُها أو قلَّ، والجَمعُ: سِجَالٌ وسُجُولٌ، ولا يُقالُ لها فارغة سَجْلٌ، لكن دَلو.

الفصلُ التاسِعُ والعِشْرُونَ: خلقُ اليُسرِ والسُّهُولة

(١٣١١) وَكُـن مَـعَ التسْهِيْلِ وَالتيْـسِيْرِ ... وَلتنـأ[1] عَـنْ مَـشَقةِ التعْـسِيْرِ

(١٣١٢) فاليُـسْرُ مِـنْ طبـيْعَةِ الإسْـلام ... وَلـيْسَ في ذا الأمْـرِ مِـنْ كـلام

(١٣١٣) قـدْ قـيَّدَ التقوَىْ بـ﴿مَا اَسْتَطَعْتُمْ﴾[2] ... على النبـيِّ عَـزَّ مَـا عنِـتم

(١٣١٤) وَرَبـنا بـنا أرَادَ اليُـسْرَا ... وَاخـتارَهُ النبـيُّ حِـيْنَ خيِّـرَا

(١٣١٥) وَقـالَ إذ أعْلـنَ في خيْـرِ الحِجَـجْ ... لِمَـنْ أتـاهُ: إفعَلـنْ وَلا حَـرَجْ

(١٣١٦) وَوَافـقَ ابْـنَ العَاص[3] حِيْنَ صَلىْ ... إمَـامَهُمْ وَمَـا أصَـابَ الغـسْلا!

(١٣١٧) وَلَـمْ يُعَـنفْ إذ أتـى قـرَيْظة[4] ... مَـنْ لَـمْ يـصَلِّ أوْ أصَـابَ حَظـهْ

(١٣١٨) وَإنْ تكـنْ لِلمَـاءِ يَـوْمًا فاقِـدَا ... تـيَمَّمَنْ، وَقـدْ تـصليْ قاعِـدَا

---

(١) ولتنأ: ولتبتعِد، ولا تتصِفْ بذلك.

(٢) وذلك في قول اللَّهِ ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ...﴾ [التغابن: ١٦]، وعَجُزُ البيتِ يُشِيرُ إلى قول المَولى ﷻ في وصفِ النبيِّ ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، وعَزَّ عليهِ: اشتدَّ وصَعُبَ، ومَا عَنِتم: ما أعنتكم وَشَقَّ عليكم.

(٣) ابنُ العَاص هو: عمرُو بنُ العاص رضي الله عنه، فعنه رضي الله عنه قال: (احتلمتُ في ليلةٍ باردةٍ في غزوةِ ذاتِ السلاسِلِ، فأشفقتُ إن اغتسلتُ أن أهلِكَ، فتيممتُ ثم صليتُ بأصحابي الصبحَ! فذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ، فقال: «يا عمرو، صليتَ بأصحابك وأنتَ جنبٌ؟!» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلتُ: إني سمعتُ اللَّهَ يقولُ: ﴿... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء]، فضحكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ! ولم يقلْ شيئًا). رواهُ أحمدُ وأبو داود وابنُ حِبَّانَ والحاكمُ والطبرانيُّ في «الكبير».

(٤) قريظة: من قبائل اليهُودِ، والمقصُودُ: غزوة بني قريظة، ويُعَنفْ: يشتد ويُخطئ، وأصَابَ حَظه أي: من الصَّلاة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قال النبي ﷺ لنا لما رجعَ من الأحزاب: «لا يصَليَنَّ أحدٌ العصرَ إلا في بني قرَيظة»، فأدرك بعضَهم العصرُ في الطريق، فقال بعضُهم: لا نُصلِّي حتى نأتيها، وقال بعضُهم: بل نُصلِّي، لم يُردْ منا ذلك، فذكِرَ للنبيِّ ﷺ، فلم يُعَنفْ واحدًا منهم). رواهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ وابنُ حِبانَ.

(١٣١٩) وَالقَصْرُ تيْسِيْرًا أتانا في السَّفرْ وَالصَّوْمُ تغنِي عَنهُ أيامٌ أخرْ

* * *

الفصلُ الثلاثون: خلقُ المَشُوْرَة

(١٣٢٠) وَاسْتَشِرِ الأكياسَ في أمُوْرِكْ فالأمْرُ إنْ شَاوَرْتَ فِيْهِ بُوْرِكْ

(١٣٢١) قَدْ شاوَرَ النبيُّ في حَيَاتِهِ كمَا دَعَاهُ اللَّهُ في آياتِهِ

(١٣٢٢) شَاوَرَ في الخرُوْجِ يَوْمَ بَدْر وَيَوْمَ إفكِهِمْ[1] لذاتِ الطهر

(١٣٢٣) وَزَوْجَهُ[2] شاوَرَ يَوْمَ الصُّلح فظفِرُوا مِنْ رَأيِهَا بالنجْح

(١٣٢٤) وَشَاوَرَ الأصْحابُ في حُرُوْبِهِمْ وَالسِّلم فاجْتازُوا عَلى كرُوْبِهِمْ

(١٣٢٥) وَالمُؤْمِنوْنَ أمْرُهُمْ شُوْرَىٰ فمَا شاوَرَ شَخصٌ مَرَّةً وَندِما

(١٣٢٦) وَمَنْ يُشاورْ يَكتسِبْ تَجاربا وَتعْطِهِ العُقوْلُ رَأيا صَائِبَا

❊ ❊ ❊

---

(١) يوم الإفك: حادثة الإفك، حين اتَّهمُوا ذاتَ الطهر السيِّدَة عائشة بنتَ أبي بكر، فبرَّأها اللَّهُ في سورةِ «النور».

(٢) زوجه: السيِّدَة أم سَلمَة ﵂، فقد استشارَها يومَ صلح الحُدَيبية، فأشارَتْ عليه بالخير والصَّواب.

الفَصْلُ الحَادِيْ وَالثَلاثُوْنَ : خلقُ صَوْن اللسَان

(١٣٢٧) وَوَاجِبٌ أَنْ يُحْفَظَ اللسَانُ عَنْ كُلِّ سوْءٍ أيُّهَا الإنسَانُ

(١٣٢٨) فكُلُّ مَا تلفِظُهُ يُسَجَّلُ وَالكاتِبان أحْصَيا ما تعْمَلُ

(١٣٢٩) وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ يَوْمَ الدِّيْنِ على وجُوْهِهم بغيْر لِيْنِ

(١٣٣٠) إلا الذِيْ قالوْهُ في الحَياةِ يُبْعِدُهُمْ عَنْ طرُق المَرْضَاةِ ؟

(١٣٣١) واللَّهُ أعْطاكَ لهُ قُفْلينِ أسْنانكَ البَيْضا مَعَ الشَّفْتَيْنِ

(١٣٣٢) فالكِذبُ لا يَرْضَى بِهِ مَوْلاكا فاهْجُرْهُ لا تقربْهُ مَا أحيَاكا

(١٣٣٣) وَاجْتنِبِ الغِيْبَةَ بئسَتِ الصِّفة هَلْ أكلُ لحْم مَيِّتٍ إلا سَفه ؟

(١٣٣٤) إنْ كنتَ غيْرَ كاذِبٍ[1] إغتبْتهْ أَوْ كانتِ الأخرَىْ فقد بَهتهْ

(١٣٣٥) لا تَمْش بَيْنَ الناس بالسِّعَايَة[2] فالذمُّ جَاءَنا في غيْر آيَة

(١٣٣٦) وَجَاءَنا عَن النبيْ في السُّنة لا يَدْخلُ النمَّامُ بَابَ الجَنة

(١٣٣٧) وَالمُؤمِنُ الحَقُّ الذِيْ لا يَلمِزُ[3] أخاهُ بالسُّوْءِ ، وَليْسَ يَنبزُ

---

(١) عن أبي هريرة ﷺ: (أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أتدرونَ مَا الغيبة؟» قالوا: اللَّهُ ورسوله أعلم، قال: «ذكرُكَ أخاكَ بما يكرَه»، قيل: أرأيتَ إن كان في أخي ما أقولُ؟ قال: «إن كان فيه ما تقولُ فقد اغتبته، وإن لم يكنْ فيهِ فقد بَهته»). رَواهُ أحْمدُ ومُسلمٌ والنسائيُّ والترمذيُّ وابنُ أبي شيبة وابنُ حِبَّان وأبو يعلى.

(٢) السِّعَاية: من أسماءِ النميمَةِ، وهي: نقلُ الحديثِ بينَ الناس بقصدِ الإفسادِ، وجاءَ ذمُّها في القرآن في مثل قولِهِ، في ذمِّ اليهُودِ: ﴿... كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة]، وفي ذمِّ الوليدِ بن المُغيرَةِ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم]، وفي ذمِّ امرأةِ أبي لهَب: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾﴾ [المسَد].

(٣) اللمزُ: العَيبُ، والأصلُ: العيبُ بالعَينِ أو اليَدِ أو الشَّفه، والنبزُ بالألقابِ: أن يَرْميَهُ أو يُناديَهُ بلقبٍ مَعيبٍ يكرَهُه، قال اللَّهُ ﷻ: ﴿...وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ...﴾ (الحُجُرَات: ١١).

(١٣٣٨) فالنبْـزُ بالألقـابِ في القـرْآنِ فِـسْقٌ يَكـوْنُ بَعْـدَ ذا الإيْمـانِ

(١٣٣٩) وَلا تكـنْ مِـنَ العـبادِ سَـاخِرَا[(١)] فـرُبَّ أشْـعَثٍ يَكـوْنُ خيِّـرَا!

(١٣٤٠) وَدَعْ تفاخـرًا فـذا لا يَـنفعُ واللَّـهُ يُؤْتِـيْ مَـنْ يَـشا وَيَنـزعُ

(١٣٤١) لا تَمْـدَحَنْ شَخـصًا بغيْـر حَـقِّ فالـزُّوْرُ وَالغِـشُّ طـريْقُ المَحْـق

(١٣٤٢) وَلا تـشَدَّقْ[(٢)] يـا أخِـيْ في الكلـم تكلفـا مُـسْتعْمِلا كـلَّ الفـم

(١٣٤٣) وَاحْـذرْ مِـنَ الغمُـوْسِ[(٣)] فِي الأيمانِ فإنــهُ يقــدَحُ في الإيمــان

(١٣٤٤) وَانطِـقْ بخيْـر دَائِمًـا لتغـنمَا وَاجْتـنِبِ الـشَّرَّ لِـئلا تـأثما

* * *

---

(١) السُّخرِيَة: الازدِراءُ والانتِقاصُ والاستِهزاء، والأشْعَثُ: غيرُ المُهتمِّ بشعَره ومَلبَسِه وهيأتِه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «رُبَّ أشعثَ مدفوع بالأبوابِ، لو أقسَمَ على اللَّهِ لأبَرَّه». رواهُ مُسلمٌ وابنُ حبانَ والحاكمُ واللفظ لِغيره.

(٢) التشَدُّقُ: مَلءُ الفم بالكلام تفاصُحًا وتقعُّرًا وتكلفًا.

(٣) اليمِينُ الغَمُوسُ: أن يحلِفَ المَرءُ باللَّهِ كاذِبًا وهُو يعلمُ، وكفارة هذا اليمِين: الغمْسُ في نار جَهنم، ويقدَحُ في الإيمان أي: يُضعِفه ويُنقِصُه.

الفَصْلُ الثانيْ وَالثلاثوْنَ: خلقُ كتمِ الأسْرَار

(١٣٤٥) لا تنشُرِ السِّرَّ وَكنْ كتوْما ... فإنْ نشَرْتَهُ ندِمْتَ يوْما

(١٣٤٦) فكتمُكَ السِّرَّ يُقضِّي المَصْلحَة ... وَيَجْعَلُ الآمَالَ مِنكَ ناجحَة

(١٣٤٧) وَيَجْلِبُ الخيْرَ وَيُعْمِي المُعْتدِيْ ... وَيَصْرفُ السُّوْءَ وَعَيْنَ الحَاسِدِ

(١٣٤٨) قدْ حَرَّمَ النبيْ على الزَّوْجيْنِ ... أنْ يَنشُرَا سِرَّهُما الاثنيْنِ

(١٣٤٩) كمْ غزْوَةٍ أخفى النبيُّ أمْرَها؟ ... وَرَّىْ[1] كأنهُ يُريدُ غيْرَها!

(١٣٥٠) وَخافَ يَوْما أنْ يُذاعَ سِرُّهُ[2] ... فأرْسَلَ الزُّبَيْرَ مَعْهُ صِهرُهُ

(١٣٥١) وَمَعْهُمَا المِقدَادُ عِندَ الرَّوْضَةِ ... فأُحْضِرَ الكِتابُ رَغمَ المَرْأةِ!

(١٣٥٢) كذا أبيْحَ الكِذبُ في الحرُوْبِ ... فخزِّنِ الأسْرَارَ في القلوْبِ

---

(١) وَرَّى: استعملَ الكناية في الكلام، ليفهمَ السَّامعُ غيرَ مقصُودِه، حتى لا تنكشفَ أسرَارُه، قال كعبُ ابنُ مالكٍ رضي الله عنه: «... ولم يكنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُريدُ غزوةً إلا وَرَّى بغيرها...». رواهُ البُخاريُّ وأبو داودَ والنسائيُّ ـ واللفظ لغيره ـ وابنُ أبي شيبة والدَّارميُّ.

(٢) صِهرُه: عليُّ بنُ أبي طالبٍ، والرَّوضَة: روضَة خاخ، وهي: مَوضع، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: (بعثني رسولُ اللَّهِ ﷺ أنا والزبيرَ والمقدادَ بنَ الأسودِ، قال: «**انطلقوا حتى تأتوا رَوضة خاخ، فإن بها ظعينة** (امرَأة) **ومعها كتابٌ، فخذوه منها**»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضةِ، فإذا نحن بالظعينة! فقلنا: أخرجي الكتابَ، فقالت: ما معيَ من كتابٍ! فقلنا: لتخرجنَّ الكتابَ، أو لنلقِيَنَّ الثيابَ، فأخرجته من عقاصِها (ضفائر شعرها)، فأتينا به رسولَ اللَّهِ ﷺ، فإذا فيه: من حاطبِ بن أبي بَلتعَة إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يُخبرُهم ببعض أمر رسول اللَّهِ ﷺ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يا حاطبُ، ما هذا؟**» قال: يا رسولَ اللَّهِ لا تعجلْ عليَّ، إني كنتُ امرَأً مُلصَقًا في قريش، ولم أكن من أنفسِها، وكان مَنْ معك من المهاجرين لهم قراباتٌ بمكة، يَحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسبِ فيهم، أن أتخذ عندَهم يدًا، يحمُون بها قرابتي، وما فعلتُ كفرًا ولا ارتدادًا، ولا رضًا بالكفر بعدَ الإسلام، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: لقد صدقكم، قال عمر رضي الله عنه: يا رسولَ اللَّهِ دَعني أضربْ عنقَ هذا المنافق، قال: «**إنه قد شهدَ بدرًا، وما يُدريكَ لعلَّ اللَّهَ أن يكونَ قد اطلعَ على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم!**»)، رواهُ أحمدُ والبُخاريُّ ومُسلمٌ وأبو داودَ والنسائيُّ والترمذِيُّ والبزارُ وأبو يعلى.

(١٣٥٣) وَكـنْ لِسِرِّ الغيْـر أيْـضا صَـائِنا وَلا تكـنْ لـهُ بنـشْرِ خائِـنا

* * *

الفصلُ الثالثُ والثلاثونَ: خلقُ النظافة

(١٣٥٤) وَالشرْعُ يَدْعُوْكَ إلى النظافة ... وَقاكَ رَبِّيْ شرَّ كلِّ آفة

(١٣٥٥) فالمَرْءُ كلمَا كان نظِيْفا ... كانَ بكلِّ موْضِعٍ خفيْفا

(١٣٥٦) وَكانَ محْبُوْبا لدَىْ مَوْلاهُ ... وَزَالَ عنهُ كلُّ ما آذاهُ

(١٣٥٧) فطهِّرِ الفؤادَ عَن كلِّ أذىْ ... وَنزِّهِ اللسَانَ عَنْ كلِّ بَذا [١]

(١٣٥٨) وَنظفِ الجسمَ مِنَ الأدْرانِ [٢] ... وَاهْتمَّ بالغسْلِ مَدَى الأزمَان

(١٣٥٩) وَاجعَلْ يَديكَ دَائِمًا نظِيْفة ... وَاسْتعْمِلنْ «صَابُوْنةً» وَليْفة

(١٣٦٠) وَقصَّ أظفارَكَ عِندَ سَبْعِ [٣] ... وَلا تطِلْ تكنْ شَبيْهَ السَّبع

(١٣٦١) وَاسْتعْمِلِ السِّوَاكَ لِلأسْنان ... أوْ فرْشَةَ المَعْجُوْن كلَّ آن

(١٣٦٢) وَسَرِّحِ الشَّعْرَ يَكنْ رَطِيْبا ... وَلتنتِفِ الإبْطَ وَمَسَّ طِيْبا

(١٣٦٣) وَالبسْ ثِيابًا دَائِمًا أنِيْقة ... في الرِّيْحِ وَالجَمَالِ كالحَدِيْقة

(١٣٦٤) وَنظفِ البَيتَ مَعَ الفِناءِ ... مِنْ جُمْلةِ الأقذارِ وَالأقذاءِ [٤]

❊ ❊ ❊

---

(١) البَذا والبَذاءَة: الكلامُ القبيحُ السَّيِّءُ.

(٢) الأدرَانُ: جَمعُ الدَّرن، وهو: القذرُ والوسَخ.

(٣) عندَ سَبع: كلَّ أسبوع، وحَبَّذا ليلة الجُمعةِ أو يومَها، وشَبيهَ السَّبع: مُشبِهًا الحيوانَ الكاسرَ في طول مخالِبه.

(٤) الأقذارُ: القاذورات، والأقذاءُ: جَمعُ قذى وقذاة، وهُوَ: ما ترمي به العينُ من رَمص، وما يسقط في الشرابِ من ذبابٍ أو غيره، ويُقصَدُ به هُنا: ما يكونُ في الأرض من أعوادٍ وأوراق وتراب وغيره.

الفصلُ الرَّابعُ وَالثلاثونَ: خلقُ العِنايَةِ بالصِّحَّة

(١٣٦٥) وَصِحَّةُ الأجْسَام مِنْ أغلى النعَمْ ... وَحِفظهَا في الشَّرْعِ أمْرٌ مُلتزَمْ

(١٣٦٦) قِيمَتهَا يَجهَلهَا السَّليْمُ! ... لكِنهَا يَقدُرُها السَّقِيمُ

(١٣٦٧) فاهْتمَّ بالصِّحَّةِ وَادْعُ رَبنا: ... بَارِكْ لنا يَا رَبِّ في قوَّاتِنا

(١٣٦٨) وَاحْرِصْ على الفؤَادِ وَالأعْضَاءِ ... وَالعَقل وَالنفس مِنَ الأدْوَاءِ

(١٣٦٩) وَحَسِّنِ الغِذاءَ وَالمَشْرُوْبا ... وَلتحْذر الفيْرَسَ وَالمِكرُوْبا

(١٣٧٠) وَمَارسِ الألعابَ وَالرِّيَاضَة ... لِيَطرُدَ الجسْمُ بِذا أمْرَاضَه

(١٣٧١) وَلتطلبِ الدَّوَاءَ وَالعِلاجَا ... إنْ أصْبَحَ الجسْمُ لهُ مُحْتاجا

(١٣٧٢) وَاسْمَحْ لِشَمْس الكوْن بالمُرُوْرِ ... وَلِلهَوَاءِ الطلق بالعُبوْرِ

(١٣٧٣) وَخصِّص الأداةَ وَالأغرَاضَا[1] ... فإنها قدْ تنقلُ الأمْرَاضَا

(١٣٧٤) وَخَمِّرِ[2] الطعَامَ وَالشرابَا ... وَفارق المَجذوْمَ وَالمُصَابَا

(١٣٧٥) وَاجْتنِبِ الْهَمَّ وَأمْرًا مُحْزنا ... وَأبْغِضِ اللوَاطَ بَعْدُ وَالزِّنا

(١٣٧٦) وَفارق المسْكِرَ وَالمُخَدِّرَا ... فكمْ أبادَا صِحَّةً وَدَمرَا؟

(١٣٧٧) وَاحْرِصْ على الذهَابِ لِلحَمَّامِ[3] ... في الليْل إنْ ذهَبْتَ لِلمَنامِ

---

(١) اجعل لكَ أدَواتٍ وأغرَاضًا شخصِيَّة خاصَّة بكَ، كالسِّوَاكِ والمِنشَفةِ وغيرهما، فلا تستخدِمْ أدَواتِ غيرِكَ، ولا تسمَحْ لِغيرِكَ باستعمَال أدَواتِك، محافظة على صحَّةِ الجميع.

(٢) خَمِّر الطعَامَ: غط إناءَه أو أغلقه، والمُصَابُ: المَريضُ بمرضٍ مُعْدٍ مثل الجُذام ـ وهو من عطف العام على الخاص ـ، قال ﷺ: «فرَّ من المجذوم فرارَك من الأسَدِ». رواهُ أحْمدُ وابنُ أبي شيبة.

(٣) اعرِضْ نفسَكَ على الخلاءِ قبلَ نومِكَ، ولا تنمْ حَاقِنا، فإنه يجلبُ الأمراضَ، فقد أوصى حكيم خليفته وصية وكان منها: إياكَ أن تدخِلَ طعامًا على طعام، ولا تجامعْ عجوزا، ولا تدخل حَمامًا على شِبع، ولا تأكل الفاكهة إلا في أوَان نضجها، وإذا تغدَّيتَ فنمْ، وإذا تعشيتَ فامش أربعينَ خطوة، ولا تأكلْ بشهوةِ عينيكَ بعدَ الشبع، ولا تنم ليلًا حتى تعرضَ نفسَك على الخلاء، إن احتجتَ إلى ذلك أو لم تحتجْ، واقعدْ على الطعام وأنتَ تشتهيه، وقمْ عنه وأنتَ تشتهيه.

(١٣٧٨) وَاهْــتمَّ بالقــوَاعِدِ الــصِّحية وَطــبقِ النــصَائِحَ الطبــية

* * *

الفصلُ الخامسُ والثلاثونَ: خلقُ الأمْنِ والسَّلامَة

(١٣٧٩) اللَّهُ وَحدَهُ الذِي يُسَلِّمُ ... يُؤَمِّنُ الخوفَ وَمِنهُ المَطعَمُ

(١٣٨٠) فعِشْ بذِكرِهِ وَكُن مُبَسْمِلا[1] ... وَاسْأَلهُ دَوْمًا رَاجيًا مُؤَمِّلا

(١٣٨١) وَابذُلْ مِنَ المَجْهُودِ مَا يَحْمِيكَا ... وَخُذْ مِنَ التدْبيرِ مَا يَقِيكَا

(١٣٨٢) وَاذكُرْ ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى﴾[2] ... وَطَبِّقِ اعْقِلْ وَالزَمِ التوَكلا

(١٣٨٣) وَالشَّرْعُ جَاءَنَا بِحِفظِ خَمْسِ[3] ... أحْكامُهَا وَاضِحَةٌ كالشَّمْسِ

(١٣٨٤) الدِّينُ وَالأعْرَاضُ وَالنفُوسُ ... وَمَعهَا العقُولُ وَالفلُوسُ

(١٣٨٥) قدْ شُرعَتْ مِنْ أجْلِهَا الأحْكامُ ... وَسُنتِ[4] الحُدُودُ يَا كِرَامُ

❊ ❊ ❊

---

(١) مُبَسْمِلا: قائِلًا: «بسم اللَّهِ الرَّحْمَن الرَّحيم»، أو: «بسم اللَّهِ الذِيْ لا يَضُرُّ معَ اسمِهِ شيءٌ في الأرض ولا في السَّماءِ...»؛ فعن أبان بن عثمان قال: سمعتُ عثمانَ بنَ عفانَ رضي الله عنه يقولُ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: **«ما من عبدٍ يقولُ في صباح كلِّ يوم، ومساءِ كلِّ ليلةٍ: بسم اللَّهِ الذي لا يضُرُّ مع اسمِه شيءٌ، في الأرض ولا في السماءِ، وهو السميعُ العليمُ ثلاثَ مرات فيضُرُّهُ شيءٌ»**. قال: وكانَ أبانُ قد أصابه طرَفٌ من الفالج، فجعلَ الرجلُ ينظرُ إليه! فقال له أبانُ: ما تنظر إليَّ، أما إن الحديثَ كما قد حدثتكَ، ولكني لم أقله يومَئذٍ، ليمضيَ اللَّهُ على قدَره. رواهُ أحْمدُ والبُخاريُّ في «الأدَبِ» والنسائيُّ والترمِذيُّ وابنُ ماجَه وابنُ أبي شيبة وابنُ حبانَ والحاكمُ.

(٢) قال اللَّهُ عز وجل: ﴿...وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا...﴾ [البقرة: ١٩٥]، **واعْقِلْ**: قيِّدْ وارْبط، والمعنى: افعَلْ مَا عَليكَ، وابذلْ قصَارَى جُهدِكَ، وأمِّنْ نفسَكَ مَا استطعتَ، فهذا هُوَ التوكلُ الكامِلُ، والشَّطرُ الثاني يُشِيرُ إلى ما رَواهُ عمرُو بنُ أميَّة رضي الله عنه قال: (قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ: أرْسِلُ ناقتي وأتوكل؟ قال: **«اعقِلها وتوكلْ»**). رواهُ ابنُ حِبَّانَ والبيهقيُّ والترمذِيُّ عن أنس والطبرانيُّ عن أبي هريرَة بلفظِ: **«قيِّدْهَا وتوكل»**.

(٣) **الخمسُ**: هيَ التي سُمِّيَت في الشريعةِ بالضَّرُوراتِ أو الكليَّاتِ الخمس، وقد ذكِرَتْ في البيتِ التالي.

(٤) **سُنتِ الحُدُودُ**: وُضِعَتِ وشُرعَتِ الحُدُودُ الزَّواجرُ، كالجَلدِ والقطع والرَّجم.

الفصلُ السَّادِسُ وَالثلاثُونَ: خلقُ الحِفاظِ على الدِّيْنِ

(١٣٨٦) الـدِّيْنُ خيـرُ نِعْمَـةٍ مِـن رَّبـي ... فاحْفظْـهُ يَـا أُخَـيَّ خَـوْفَ السَّلبِ

(١٣٨٧) اخـتـارَكَ اللَّـهُ لـهُ قـدِيما ... وَلَـمْ تقـدِّمْ طاعَـةً تقـدِيما!

(١٣٨٨) فقـوِّ إيمانَـكَ مـا اسْـتطعْتا ... بالـصَّبْر وَالـشُّكر إذا أطعْـتا

(١٣٨٩) وَالذكـر وَالـدُّعَاءِ وَالإخـلاصِ ... مُهـرْولا[١] في سُـبُل الخـلاصِ

(١٣٩٠) وَالحُـبِّ وَالأخـلاق وَالآدَابِ ... وَالـبُعْدِ عَـنْ مَعْـصِيةِ الـوَهابِ

(١٣٩١) وَجـالِسِ الأخـيَارَ أهْـلَ الفهْـم ... وَدَوْمـا انْهَـلْ مِـنْ دُرُوْس العِلْـم

(١٣٩٢) وَعَلـق القلـبَ ببَـيْتِ اللَّـهِ ... وَابْعُـدْ عَـن الفسَادِ وَالمَلاهِـيْ

(١٣٩٣) وَانـأ عَـن المَكـان غيْـر العَامِـرْ ... بالذكـرِ فالـشَّرُّ هُـناكَ حَاضِـرْ

(١٣٩٤) وَاحْـذرْ فـسَادًا إنْ تـرَ الـتلفازَا ... وَاسْـلكْ سَـبيْلَ مَـنْ نجَـا وَفـازَا

(١٣٩٥) وَإنْ أتـاكَ طائِـفُ الـشَّيْطان ... فاقطعْـهُ بالذكـر وَبالإيْقـان

(١٣٩٦) حَتـىْ وَلـوْ أعـادَ لا يُخِـيفُ ... وَلتـسْتعِذ فكـيْدُهُ ضَـعيفُ

(١٣٩٧) وَإنْ أتـى بـشُبْهَةٍ ليَفتِـنكْ ... فـأتِ إلى العَـالِمِ كـيْ يُلقـنكْ

(١٣٩٨) فاللَّـهُ قـدْ قـرَّرَ ذا تقريـرَا ... في قـوْلِهِ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[٢]

(١٣٩٩) وَاحْـذرْ مَـن التقلِـيْدِ لِلأجَانِـبِ[٣] ... وَاتـرُكْ لَهـمْ عَـادَاتِهمْ وَجَانِـبِ

(١٤٠٠) وَلـتأخذِ الـنافِعَ وَالمُفِـيدَا ... مَـا لَـمْ يَكـنْ نَهـيٌ أتـى أكِـيدَا

---

(١) مُهَرْولا: مُبَادِرًا مُسرعًا في الطرق التي تخلصُكَ وتزحزحُكَ عن جهنم، فاعِلا الطاعاتِ، تاركا المَعَاصي.

(٢) قال اللهُ ﷻ: ﴿... ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان]، وهو مثلُ قولِهِ: ﴿...فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧].

(٣) المَقصُودُ بالأجَانبِ: غيرُ المُسلمين، الذينَ يسكنونَ بلادًا غيرَ بلادِنا، ولهمْ عَادَاتٌ تخالفُ عَادَاتِنا وطِباعَنا.

(١٤٠١) شُــرْفتنا[(١)] تنظــرُ لِلحَــضَارَة لكِــنْ عَلــيْهَا وُضِــعتْ سِــتارَة

(١٤٠٢) تــدْخِلُ مــا يَخــدُمُ لا مَعِيْــبا وَتحْجُــبُ الغـُـبارَ وَالمكــرُوْبَا

(١٤٠٣) وَإنْ تــرِدْ زيــادةَ اليَقــيْن فــادْعُ بحكمَــةٍ لِهــذا الــدِّين

* * *

(١) الشُّرفة: النافِذة التي يُشرفُ منها المَرْءُ من الداخِل فيَرَى مَن بالخارج، والمَعنى: أنَّ دِيننا يبيحُ لنا الاستفادَة من الغير، والاطلاعَ على حَضارَاتِ سِوَانا، فيأخذ النافعَ المُفيدَ، ويترُكُ الفاسِدَ الضَّار، فلا نقلِّدُ تقليدًا أعمَى.

الفَصْلُ السَّابِعُ وَالثلاثُونَ : خلقُ الحِفاظِ على العِرْض

(١٤٠٤) وَكُنْ مُحَافِظًا على الأعْرَاضِ [١] وَعَنْ سَبِيْلِ الْهَتكِ في إعْرَاض

(١٤٠٥) فالعِرْضُ أغلى مَا لَدَىْ الأحْرَار وَالكَيَّ بالنار وَلا بالعَار

(١٤٠٦) وَأنتَ مَسْؤُوْلٌ أخِيْ عَنْ نفسِكا وَكُلِّ مَنْ تعُوْلُهُ مِنْ أهْلِكا

(١٤٠٧) فمُرْ قريْباتِكَ بالحِجَابِ وَسُدَّ لِلشيْطانِ كُلَّ بابِ

(١٤٠٨) لا تخضَعِ [٢] المَرْأة في المَقال وَلتخفِ زيْنةً عَن الرِّجالِ

(١٤٠٩) لا تخلُ بالمَرْأةِ غيْر المَحْرَم فالثالِثُ الشَّيْطانُ فاحْذرْ وَاعْلَمْ

(١٤١٠) وَغضَّ عَيْنيْكَ عَن العَوْرَاتِ فنظرَةٌ تفضِيْ [٣] إلى الزَّلاتِ

(١٤١١) وَلتتوَفرْ في الفؤَادِ الغيْرَة وَحَسِّن السُّلوْكَ والسَّريْرَة

(١٤١٢) فمَنْ أحَبَّ أنْ تشِيْعَ الفاحِشَة نخوَته [٤] مَاتتْ وَليْسَت عَائِشة

(١٤١٣) يمَسهُ مِنْ رَبهِ العَذابُ كمَا أتى بذلِكَ الكِتابُ

(١٤١٤) وَلتبْتعِدْ عَنْ تُهمَةٍ أوْ رَيْبِ وَاسْترْ على أخِيْكَ كُلَّ عَيْبِ

(١٤١٥) وَلا تحَققْ إنْ ظننتَ يوْما مُتهمًا شَخصًا ترَىْ أوْ قوْمَا

(١٤١٦) وَادْعُ بأتمِمْ رَبِّ مِنكَ السِّترَا في هَذِهِ الدُّنيا وَتلكَ الأخرَىْ

---

(١) الأعْرَاضُ: جَمعُ عِرْض، وهوَ: الشَّرَفُ والسُّمعة، والهَتكُ: الفضيحَة، وإعْرَاضٍ: ابتعَاد.

(٢) الخُضوعُ: الليِنُ والنعُومة في الحديثِ، مما يتسَبَّبُ في الفتنةِ وإثارة الشهوة، قال رَبُّنا ﷻ: ﴿... فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿...وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾ [النور: ٣١].

(٣) تفضِي: توصِلُ، والزَّلات: الأخطاءُ والمَعَاصي.

(٤) الفاحِشة: المعصيَة القبيحَة، ويُقصَدُ بها الزنا، وتشيعُ: تنتشرُ وتذيعُ، والنخوَة: العَظمَة والكِبرياءُ، والمقصُودُ عزَّتهُ وغيرَته، وليستْ عائشة أي: مَاتَتْ، وجَاءَت كلمة «عائشة» هُنا مناسِبة، لنتذكرَ عِفة السيِّدة عائشة وطهَارَتها، فليسَت عائشة هي التي تفعَلُ مثلَ هذا أو تحبُّه! قال اللَّهُ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ...﴾ [النور: ١٩].

الفصلُ الثامنُ والثلاثونَ: خلقُ الحفاظِ على النفس

(١٤١٧) وَالرُّوْحُ مِنْ أمْرِ الإلهِ[1] الخَالقِ ... وَهِيَ وَدِيْعَةٌ فَصُنْهَا وَارْفُقِ

(١٤١٨) فأغلِقِ البَابَ وَسُدَّ المَدْخلا ... إنْ نِمْتَ في البَيْتِ وَإنْ مِنكَ خَلا

(١٤١٩) وَاحْذرْ مَنامًا فوْقَ سَطحِ الدَّار ... إلا إذا أحِيطَ بالأسوار

(١٤٢٠) وَأغلِقِ الغازَ[2] وَأطفِ النارَا ... وَنحِّ مَا يُسَبِّبُ الأضْرَارَا

(١٤٢١) وَاحْمِ مِنَ البَرْدِ جَمِيْعَ الجِسْم ... فإنهُ يُؤْذيْكَ مِثلَ السُّمِّ

(١٤٢٢) وَلتحْمِهِ مِنْ شِدَّةِ الحَرَارَة ... فضَرْبَةُ الشَّمْسِ كمَا الشَّرَارَة

(١٤٢٣) لا تشْترِ الأكلَ إذا مَا انكشَفا ... كمْ ناقِلٍ لِمَرَضٍ قدْ وَقفا؟

(١٤٢٤) فاجْتنِبِ الدَّاءَ وَخفْ أسْبَابَهْ ... فالمَرْءُ قدْ تصْرَعهُ الذبابَة!

(١٤٢٥) لا تنزلِ المِياهَ مُسْتهيْنا ... إلا وَأنتَ مُتقنٌ يقيْنا

(١٤٢٦) لِلعَوْمِ فالماءُ عَظِيْمُ الغدْر ... فكمْ هَوَى[3] مَنْ فوْقهُ لِلقعرِ؟

(١٤٢٧) وَلا تقدْ مُسْتعْجلاً سَيَّارَتكْ ... أوْ مُرْهقا إنْ تبْتغِيْ سَلامَتكْ

(١٤٢٨) وَانظرْ إلى الإطارِ ثمَّ الزَّيْتِ ... وَالمَاءِ وَالبَنزيْنِ عِندَ البَيْتِ

(١٤٢٩) لا تكسِرَنْ إشارَةَ المُرُوْرِ ... فرُبَّما أفضَى إلى القبُوْرِ!

(١٤٣٠) إنْ غُمَّتِ[4] الرُّؤْيَا فقِفْ عَنْ سَيْر ... وَاحْذرْ أخِيْ مِنْ خطأٍ لِلغيْر

(١٤٣١) وَانظرْ إذا مَا تعْبُرُ الطرِيْقا ... مُنتبِها مُسْتيْقظا مُفِيْقا

(١٤٣٢) وَالطفلُ لا يَخرُجُ في الغُرُوْبِ ... وَالبابَ لا يَفتحُ لِلغريبِ

---

(١) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

(٢) وأغلق الغازَ: وأغلقْ كلَّ ما يتسبَّبُ في اشتعال الحرائق، كالمَوقِدِ والكهرُباءِ وغيرهما.

(٣) هَوَى: سَقط من أعلى إلى أسفل، والقعْرُ: القاع.

(٤) غمَّتِ الرُّؤيَا: تعسَّرَتْ وصَعُبَتْ، بسببِ الأمطار أو الضَّبابِ، أوانطفاءِ أضواءِ الطريق أو السَّيَّارة.

(١٤٣٣) وَلْـيكن الخـرُوْجُ [١] في جَمَاعَـة   وَلْـيَحْذر الـسِّكيْنَ وَالـوَلاعَة

(١٤٣٤) وَلا يـنمْ وفي يَدَيـهِ الغمَـرُ [٢]   وَقـرْبُهُ مِـنَ الـدَّوَاءِ خطـرُ!

* * *

(١) الخروج: خروج الطفل من البيتِ بعيدًا عن أهلِه، خشية الضياع أو الأخطار.

(٢) الغمَرُ: آثار الطعام ودَسَمُه، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ «من نامَ وفي يدِه غمَرٌ، ولم يغسله، فأصابَه شيءٌ، فلا يلومَنَّ إلا نفسَه». رواهُ أحمدُ وأبو داود والنسائيُّ والترمذيُّ وابنُ ماجه وابنُ أبي شيبة والبيهقيُّ.

الفصلُ التاسِعُ وَالثلاثُونَ: خلقُ الحِفاظِ على العَقل

(١٤٣٥) وَالعَقلُ فِيْنا جَوْهَرُ الجَوَاهِرِ اختَصَّهُ اللَّهُ بِنُورٍ بَاهِرِ
(١٤٣٦) إذ كَرَّمَ اللَّهُ بِهِ الإنسَانا ففَضْلُهُ زَادَ على مَنْ كانا
(١٤٣٧) يُعَرِّفُ المَرْءَ بِذِي الإنعامِ[(١)] وَيَفصِلُ الإنسَ عَنِ الأنعامِ
(١٤٣٨) تكلِيْفُنا مَناطُهُ[(٢)] عَلَيهِ وَرَاجِعٌ حِسَابنا إلَيهِ
(١٤٣٩) كَمْ جَاءَتِ الأسماءُ[(٣)] فِي الكِتابِ كالحِجْرِ وَالنُّهَىْ أوْلِي الألبَابِ؟
(١٤٤٠) وَحفظُهُ فرِيْضَةٌ في الشَّرْعِ فَصُنْهُ مَا اسْطعتَ بكلِّ دِرْعِ
(١٤٤١) وَحَرَّمَ الإسْلامُ كلَّ مُسْكِرِ وَأوْجَبَ الجَلدَ لِشُرْبِ المُنكَرِ
(١٤٤٢) سَمَّى الخُمُوْرَ الأمَّ لِلخبائِثِ[(٤)] مُدْمِنهَا يَشْملُ كلَّ عَائِثِ
(١٤٤٣) وَمَنْ يُجَنِّنْ[(٥)] غيْرَهُ وَلَمْ يَقِ فدِيَةٌ، فَبَعْدَهُ مَاذا بَقِيْ؟

---

(١) ذو الإنعامُ: صاحِبُ الإكرَام والتفضُّل، وهُوَ اللَّهُ ﷻ، والأنعَامُ: البهائم.
(٢) مَناطهُ: مَدَارُهُ، فهوَ مُتعَلقٌ ومُرتبط به.
(٣) وَرَدَتْ أسماءُ العَقل «الحِجْر، النهى، اللبّ» في القرآن في مواضِعَ، منها قولُ اللَّهِ ﷻ: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ [الفجر]، وقوله: ﴿...إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤، ١٢٨]، وقوله: ﴿...إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الرَّعد: ١٩، الزُّمر: ٩).
(٤) عن عثمانَ بن عفان ﷺ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «اجتنبوا أمَّ الخبائثِ، فإنه كان رجلٌ ممَّنْ قبلكم يتعبدُ ويعتزلُ الناسَ، فعَلِقته (عَشِقتهُ) امرأة، فأرسلتْ إليه خادمًا، فقالت: إنا ندعُوك لشهادةٍ، فدخل، فطفِقتْ كلَّما يدخلُ بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأةٍ وضيئةٍ جالسة، وعندَها غلامٌ، وبَاطية فيها خمرٌ، فقالتْ: إنا لم ندْعُكَ لشهادةٍ! ولكن دعوتك لتقتلَ هذا الغلامَ، أو تقعَ عليَّ! أو تشربَ كأسًا من هذا الخمر! فإن أبيتَ صِحْتُ بكَ وفضحتك! قال: فلمَّا رأى أنه لا بدَّ له من ذلك، قال: اسقيني كأسًا من هذا الخمر، فسقته كأسًا من الخمر، فقال: زيديني، فلم يزلْ حتى وقع عليها! وقتل النفسَ! فاجتنبوا الخمرَ، فإنه واللَّهِ لا يَجتمعُ الإيمانُ وإدمانُ الخمر في صدر رجل أبدًا، ليُوشكنَّ أحدُهما يُخرجُ صاحبه». رواهُ ـ موقوفًا ـ النسَائِيُّ والبيهقيُّ في «السنن» ورواهُ ـ مرفوعًا ـ ابنُ حبَّانَ ـ بلفظه ـ والبيهقيُّ في «الشُّعَب». مُدمِنها: المُداومُ عليها عائثٌ: مُفسِد.
(٥) جَننَ المَرءُ غيرَه: أتلفَ عقله فصَيَّرَهُ مَجنونا، ولم يَقِ: لم يَصُنْ، والدِّيَة: ما يُؤخذ من القاتِل وعاقِلتِهِ =

(١٤٤٤) وَغــذِّهِ بـالعِلمِ وَالمعَـارِفِ مُلازِمًـا أَهْـلَ العُقـول وَاعْكُـفِ

(١٤٤٥) وَالجِسْمُ وَالنفسُ إذا مَا سَلِما لِصِحَّةِ العْقـلِ تكـنْ ذِيْ سُلَمَا

(١٤٤٦) وَخفْ عَلَيْهِ يَا أَخِيْ أَنْ يَشْطحَا[1] وَاحْفظهُ نحْـوَ شُـبْهَةٍ أَنْ يَجْنحَا

(١٤٤٧) وَلا يَخُضْ في ذاتِهِ[2] المُقدَّسَة وَقـاكَ رَبـيْ شَـرَّ كُـلِّ وَسْوَسَة

* * *

= في قتل الخطأ لِيُعطى لأولياءِ المقتول، ومَنْ أتلفَ عقلَ إنسان فعَليهِ الدِّيَة كامِلة، لأنه كأنمَا قتله!

(١) وخفْ على عقلِكَ أنْ يشطحَ مُفكرًا في أشيَاءَ لا يستوعِبُها، أو لا يُحِيط بها، فقدرَاتهُ مَحدُودَة، فاضبطهُ بالشرع، والشبهة: مَا يُلقيهِ شيطانٌ جنيٌّ أو إنسِيٌّ، من فكر مسمُوم، قد يُؤدِّيْ إلى الكفر والزَّندَقة، ويجنح: يميل وينحَرف.

(٢) واحْذرْ على عقلِكَ أنْ يخوضَ مُفكرًا في الذاتِ الإلهيَّةِ، فالتفكيرُ في مخلوقاتِ اللَّهِ يُقوِّي الإيمانَ، والتفكيرُ في ذاتِ اللَّهِ قد يُؤَدِّي إلى الكفر! قال ﷺ: «يأتي الشيطانُ أحدَكم، فيقولُ: منْ خلقَ كذا؟ منْ خلقَ كذا؟ حتى يقولَ: من خلقَ ربَّكَ!؟ فإذا بلغه فليستعِذ باللَّهِ ولينَته». رَوَاهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ والنسَائيُّ.

الفصلُ الأربعونَ: خلقُ الحِفاظِ على المالِ

(١٤٤٨) وَالمَـــالُ نِعْمــةٌ مِــنَ الــرَّزَّاقِ وَزيْـــنةٌ طيـــبةُ المَـــذاقِ

(١٤٤٩) وَهُـــوَ بحَـــقٍّ عَــصَبُ الحــياةِ وَنافِـــعٌ في حَالِـــنا وَالآتِ

(١٤٥٠) وَالــشَّرْعُ لا يَعِــيْبُ جَمْــعَ المالِ مَهْمَــا يَكُــنْ مَــنْ خالِص الحَــلالِ

(١٤٥١) فاجْعَلْــهُ مَــا اسْــتطعْتَ في يَــدَيْكا لا سَــيِّدًا مُــسَيْطِرًا عَلَــيْكا

(١٤٥٢) وَلتحْرِصَــنْ أخِــي على مَــا يَــنفعُ وَخــفْ عَلَــيْهِ كُــلَّ مَــا يُــضَيِّعُ

(١٤٥٣) وَاجْمَعْــهُ مِــنْ حِــلٍّ وَدَعْ مُشْتبهَا[١] وَلا تُـــبذرْ وَلْـــتكنْ مُنتَـــبها

(١٤٥٤) إنْ مَلَكَـــتْ يَـــدَاكَ يَـــوْما تـــلَّا[٢] وَجَـــاءَهُ الإسْـــرَافُ مِـــنكَ اخـــتلَّا

(١٤٥٥) وَأخْــرجِ الــزَّكاة ثُــمَّ الــنفقةْ مَــا نقَــصَتْ أمْوَالُــنا مِــنْ صَــدَقة

(١٤٥٦) وَأحْكِـــمِ الأقفــالَ في الإغْــلاقِ وَاحْــذرْ أخِــي مِــنْ حِــيَلِ الــسُّرَّاقِ

(١٤٥٧) لا تَجْمَــعِ الأوْرَاقَ[٣] فِــيْ مَكَــانِ وَاحْــذرْ تعِــشْ في الأمْــنِ وَالأمَــانِ

(١٤٥٨) لا تنـــزلِ الـــسُّوْقَ بكـــلِّ المالِ وَوَزِّعِ البَـــيْضَ على الـــسِّلالِ

(١٤٥٩) وَاحْــذرْ مِــنَ التوْقِــيْعِ فــوْقَ الــوَرَقِ إنْ فارغــا أوْ أنــتَ لَــمْ تدَقِّــقِ

(١٤٦٠) فَـــرُبَّ توْقـــيْعٍ بحُـــسْنِ نِـــيةْ يَقْـــضِيْ على الـــسُّمْعَةِ وَالـــنقدِيه

(١٤٦١) أوْ يمْــــلأُ الـــسُّجُوْنَ بالآهـــاتِ أوْ يُلْحِـــقُ الأحْـــيَاءَ بالأمْـــوَاتِ!

(١٤٦٢) تَحَــرَّ إنْ أقرَضْــتَ يَــوْمًا شَخْــصَا وَاكْــتبْ وَأشْــهدْ لا تُخالِــفْ نَــصَّا

---

(١) المُشتبهاتُ والمُتَشابهاتُ: ما التبسَ أمرُهَا عليكَ، فلم تتأكدْ أهِيَ حلالٌ أم حرام؟ والتبذيرُ: الإسرَافُ.

(٢) التلُّ: الكومة من الرَّمل، والجمعُ: تِلالٌ، والمعنى: إنْ ملكتَ أموالا كثيرَة ضخمة، واختلَّ: انفرَط عِقدُهُ ونفِدَ من الإسرَافِ وعدم المُحَافظةِ عليه!.

(٣) الأوراقُ أي: الأوراقُ ذاتُ القيمة، كالشهاداتِ وعُقودِ الملك، أو الأوراقُ النقديَّة المَاليَّة.

(١٤٦٣) كَـمْ مَدَحُـوا هَـذا وَمَـا عابُـوهُ ؟ وَجَـاءَ في القرْآن ﴿فَٱكۡتُبُوهُ﴾[١]

(١٤٦٤) إنْ كـانَ هَـذا الأمْـرُ لاسْـتِحْبَابِ فـذِمَمُ الخلـقِ إلى الخـرَابِ!

(١٤٦٥) لَـمْ يَحـمِ قانـونٌ مُغفلِيـنـا قَـدْ ضَـاعَتِ الحُقـوْقُ وَابْتلِيْـنا!

(١٤٦٦) وَاحْفـظ لكـلِّ مَالـكٍ أمْـوَالهْ وَادْعُ بـ: أصْـلحْ رَبَّـنا أحْـوَالهْ

(١٤٦٧) جَنـبْهُ مِـنكَ الـضُّرَّ وَاحْـذرْ غِـشَّا وَسَـرْقةً وَحَـسَدًا أوْ ترْشَـىْ

* * *

(١) قال اللَّهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ...﴾ [البقرة: ٢٨٢].

خاتمة الألفيّة

(١٤٦٨) تَمَّتْ بحَمْدِ اللَّهِ ذي الألفِية وَاكتملتْ هَادِيَةً مَهْدِية
(١٤٦٩) إذ حَوَتِ[1] الأخلاقَ وَالآدابا وَفتحَتْ لِلخيْر بابا بَابا
(١٤٧٠) وَأقبَلتْ مُشْرقةً كالشَّمْس جالبةً سَعادَةً لِلنفس
(١٤٧١) أبْياتُها نجُومُ ليلٍ تهدِيْ وَطعْمُهَا حَلاوَةً كالشَّهْدِ!
(١٤٧٢) ﴿وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾[2] فعذبتْ وَقويتْ دَليلا
(١٤٧٣) وَسُهِّلتْ وَامْتنعَتْ ألفاظهَا فَلَانَ فهْمُهَا وَخفَّ حِفظهَا
(١٤٧٤) تعْدَادُها[3] ألفٌ وَخَمْسُمَائةْ قدْ أحْسَنتْ وَمَا بِهَا إسَاءَة
(١٤٧٥) في مِئةٍ أتتْ مِنَ الفصُولِ فانغرَسَتْ في القلبِ كالنصُوْلِ[4]
(١٤٧٦) أنتَ الذِيْ وَهبْتنِيْها مُلهِما وَقبْلها وَبَعْدُ كنتَ مُفهِما
(١٤٧٧) فامْننْ إلَهِيْ وَلتكنْ مَقبُوْلة خالصَةً مَرْفوْعةً مَوْصُوْلة
(١٤٧٨) وَارْضَ بها عَنْ عَبْدِكَ الخَطاءِ وَأسْبلِ السِّترَ مَعَ العَطاءِ
(١٤٧٩) وَسَهِّلِ اللهُمَّ نزْعَ الرُّوحِ وَهَبْ لنا الرَّيْحَانَ تِلوَ[5] الرَّوْحِ
(١٤٨٠) وَلقنِ اللسَانَ مِنك الحجَّة[6] وَثبِّتِ القلبَ على المَحَجَّة

---

(١) حَوَتِ الأخلاقَ: جَمعتها واشتَمَلتْ عليها.
(٢) اقتبَاسٌ من قول الحقِّ ﷻ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤﴾ [الإنسَان].
(٣) تعدَادُها: عددُ أبياتِ هذهِ القصِيدَةِ، وأيُّ البيتين يَرُوقُ أكثرَ؟ أهذا البيتُ، أم لو قلتُ:
تعْدَادُها ألفٌ وَنصْفُ ألفِ قدْ أشْبَهتْ جُنوْدَنا في الصَّفِّ؟
(٤) النصُولُ والأنصُل والنِصَال: جَمعُ نصْل، وهُو: حَدِيدَة السَّهم والرُّمح والسَّيفِ والسِّكين، وقد يُرادُ به السَّهمُ نفسُه.
(٥) تِلوَ: بعدَ ووَرَاء، والرَّوحُ: الرَّاحَة والرَّحْمة، والرَّيْحَانُ: الرِّزقُ الحَسَنُ، أو رَائِحَة الرَّيحَان، وفيهِ إشارَة إلى قول رَبِّنا ﷻ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ [الواقعة].
(٦) الحُجَّة: البُرهَانُ، والمَحَجَّة: الطريقُ، والمَقصُودُ بهما: كلمة التوحيدِ وطريقُ الإيمان.

(١٤٨١) وَاختِمْ لنا فضْلًا بحُسْنِ الخَاتِمَة وَاسْلُكْ بنا سُبْلَ النفوْسِ السَّالِمَة
(١٤٨٢) وَكُنْ لنا في وَحْشَةِ القبُوْرِ وَضَمَّةِ الأَضْلاعِ وَالصُّدُوْرِ
(١٤٨٣) وَثبِّتِ المَنطِقَ إذ نقوْلُ: اللَّهُ[1]، وَالإسلامُ، وَالرَّسُوْلُ
(١٤٨٤) وَالطفْ بنا إذا دَعَا المُنادِيْ[2] وَعادَتِ الأَرْوَاحُ في الأجْسَادِ
(١٤٨٥) وَفرِّجِ الكرُوْبَ وَالشَّدائِدَا وَاجْعَلْ لنا القرْآنَ رَبِّيْ قائِدَا
(١٤٨٦) أظِلَّنا في العَرْشِ بالظلالِ وَعَظِّمِ الطاعَاتِ كالجبالِ
(١٤٨٧) وَآتِنا صَحَائفَ الأعْمالِ مُيَمَّنا وَليْسَ بالشمالِ
(١٤٨٨) وَيا رَحْيمُ ثقِّلِ المِيْزَانا وَأذهِبِ الهُمُوْمَ وَالأحْزَانا
(١٤٨٩) وَبيِّضِ الوُجُوْهَ كاللآلِيْ وَخَفِّفِ الحِسَابَ في المَآلِ
(١٤٩٠) وَأذنْ لِنسْقىْ مِنْ يَدِ الحَبِيْبِ كأسًا هَنِيْئا مُزِجَتْ بالطيْبِ
(١٤٩١) وَلا تفرِّقْ بينهُ وَبَيْننا سُرَّ القلوْبَ وَأقِرَّ الأعْيُنا
(١٤٩٢) وَأطلِقِ[3] الأرْجُلَ فوْقَ الجسْرِ نجُوْزُ كالبَرْقِ بدُوْنِ خسرِ
(١٤٩٣) لِجَنةِ الفِرْدَوْسِ نِعْمَ المُسْتَقرّ في مَقعدٍ عِندَ مَلِيْكٍ مُقتدِرْ
(١٤٩٤) ألحِقْ بنا الأحْبَابَ وَالذرِّيَّة في أنفسٍ رَاضِيَةٍ مَرْضِيَّة
(١٤٩٥) وَاجْعَلْ وَجُوْهَنا إلَهِيْ ناضِرَة[4] مُسْفِرَةً ضَاحِكَةً مُسْتبْشِرَة

(١) اللَّهُ والإسلامُ والرَّسُولُ: إجَاباتُ أسئلةِ القبر: مَنْ ربُّكَ؟ ومَا دِينكَ؟ ومَاذا تقولُ في الرَّجل الذي بُعِثَ فيكم؟.

(٢) أي: كنْ لنا برَحْمتِكَ، حينَ نلبِّي نداءَ المَلكِ بعْدَ النفخ في الصُّور، لنخرُجَ مِنَ القبور، كمَا قال اللَّهُ ﷻ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق].

(٣) أطلِقِ الأرجُلَ: ائذنْ لها أن تنطلقَ مُسرعَة مع المتقين، الجسرُ: الصِّراط، ونجُوزُ: نمُرُّ بسلام إلى الجنة.

(٤) ناضِرَة ومُسفِرَة: مُنيرَة مُشرقة، قال المولى ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس].

(١٤٩٦)	وَمِـنْ بهـاكَ مَكـنِ الأبْـصَارَا	فالـشَّوْقُ قـدْ ذوَّبـنا انـتِظارَا
(١٤٩٧)	وَصَـلِّ يـا رَبَّ الـوَرَىْ وَسَـلمِ	على الرَّسُـوْل الأكـرَم المُعَلِّـمِ
(١٤٩٨)	وَآل بيـتِهِ المُطهَّـرينا	وَصَـحْبِهِ الكِـرَامِ أجْمَعيْـنا
(١٤٩٩)	وَكـلِّ مَـنْ يَـسْلكُ دَوْمـا دَرْبَهمْ[1]	مُتَّـبِعًا لِلهـدْيِ إذ أحَـبَّهمْ
(١٥٠٠)	وَكـلِّ مَـنْ يقـوْلُ في دُعـاهُ:	«عَـبْدُ العَزيْـزِ» ارْحَمْـهُ يَـا اللَّـهُ

* * *

وكان الفرَاغ منها بالقاهرة، في:

٤ جمادَى الأوْلى سنة ١٤٣١هـ

المُوافق ١٨ أبريل سنة ٢٠١٠ م

عبد العزيز أحمد عبد العزيز

(أبو أنس)

(ت: ٠١٢/٤٠٠٨٣٢٤)

(ت: ٠١٠/١٩٢٥٩٠٣)

* * *

(١) يَسلكُ دَرْبَهم: يسيرُ في طريقِهم، والهدْيُ: سُنة النبيِّ ﷺ.


فهرسُ الموضوعات



فهرس الألفيَّة

❊ ❊ ❊